

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com



www.jilrc.com ISSN 2311-5181

العام السابع - العدد 65 - يونيو 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)
د. بوطي محمد نورالدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر)
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
د. يزيد شويعل (جامعة المدية، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: د. صونيا عيواج (جامعة باتنة 1، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- د. بالأموشي عبد الرزاق (جامعة الوادي، الجزائر)
د. بن الأخضر محمد (جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر)
د. جاب الله يوسف (جامعة المدية، الجزائر)
د. زين العابدين عبد الحفيظ (جامعة خميس مليانة، الجزائر)
د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف 2، الجزائر)
د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. قاسمي وفاء (جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر)
د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م. علاء كامل صالح العيساوي (جامعة البصرة، العراق)
د. إخلاص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان)
د. أميرة سامي محمود حسين (مصر)
د. بلمداني نوال (جامعة معسكر، الجزائر).
د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)
د. بوطي محمد نورالدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر)
د. حُسام موسى محمد شوشة (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس)
د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)
د. سماح بلعيد (جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر)
د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة، الجزائر).
د. مزرارة نعيمة (جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2)
د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)

التدقيق اللغوي:

- د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).
د. فانتن عدّي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة :

social@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • صيانة وترميم التراث الأثري من هوية إلى علم قائم بذاته، قاضي محمد (جامعة طاهري محمد بشار)
- 27 • قضايا لاجئي الحروب في الخطاب الإعلامي الأوروبي... السياقات والضوابط ، منير طي (جامعة العربي التبسي)
- 45 • رقمنة الإبداع الثقافي من أجل ثقافة ديمقراطية، نزهة مصباح السعداوي (جامعة تونس)
- 57 • رقصة أحواش : بين عراققة الذاكرة التاريخية ورهانات الهوية، خديجة الزاهير (جامعة القاضي عياض) - محمد اوها (جامعة الحسن الثاني)
- 69 • تطبيقات المنهج التطوري على التراث الإسلامي من المستشرقين إلى القراء الحديثين (دراسة تحليلية نقدية) بن السايح خديجة - ميلود حميدات (جامعة الأغواط)
- 89 • أهمية التراث الثقافي ودوره المؤثر في التنمية من منظور العلوم الاجتماعية، عبد الكريم جندي (جامعة ابن طفيل)
- 105 • الأنماط السلوكية (أ، ب، ج) وعلاقتها بفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي: دراسة ميدانية بمدينة المدية، حاج كولة عقيلة (جامعة لونيبي علي البليدة 2)
- 127 • نظرية الذات لكارل روجرز، اشريف مزور (أكاديمية فاس)
- 137 • دور الوقف الإسلامي في تفعيل الرعاية الصحية: (البيمارستانات في المغرب والأندلس)، خديجة خيري عبد الكريم خيري (جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، السودان)

مقالات باللغات الأجنبية

- 155 • Analysis of University Students' Errors in English Language Prepositions (A Case Study of 1stYear English Language Students, the Faculty of Languages & Linguistics), Sharif Yousif KhatirAso, Sudan University of Science and Technology, Abdallah Adam Osman (Algazoly/University of Zalingei, Sudan)

□ الافتتاحية

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم :

يأتي العدد الخامس والستون (65) من مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية حاملا بين ثناياه جملة من البحوث التي من شأنها أن تساهم في إثراء البحث العلمي وتسليح المهتمين بقضايا العلوم الإنسانية والاجتماعية بسندات وخلفيات معرفية قائمة على منظور علمي موضوعي يطرح جملة من الإشكاليات المعرفية بغية مد جسور التواصل بين الباحثين وتشكيل رؤى علمية و مرجعية متكاملة تتوافق مع أهدافها .

لقد ساهم انفتاح المجلة على مختلف الباحثين من مختلف أقطار الوطن العربي في تشجيع الراغبين في نشر بحوثهم ومقالاتهم دون أي حواجز أو عوائق ووفق شروط علمية وموضوعية تهدف بواسطتها إلى خدمة البحث العلمي الجادّ والسمو بالأمانة العلمية وهو طموح المجلة دائما. ولعل هذا العدد يوضح جودة وتنوع البحوث في مختلف التخصصات قدّمها باحثون وأكاديميون من دول عربية مختلفة على غرار الجزائر، السودان، المغرب، تونس استجابة لاحتياجات القارئ واهتماماته البحثية.

وقد اتسمت بالدقة والموضوعية وجدية الطرح. ولا يفوتنا أن نوصل شكرنا إلى هيئة المجلة ومحكميها على جهودهم المبذولة في خدمة البحث العلمي فهم رسل الغايات العلمية ونتمنى دوام فضلهم ورعايتهم. كما لا يفوتنا أن ندعو المنشغلين بالبحث العلمي للمساهمة بمنجزاتهم العلمية وتقديم إضافاتهم للأعداد القادمة في إطار تخصص المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / د. جمال بلبكي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

صيانة وترميم التراث الأثري من هواية إلى علم قائم بذاته

Maintenance and restoration of archaeological heritage from a hobby to a stand-alone science

د. قاضي محمد/جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر

Dr Kadi Mohamed: Tahri Mohamed University - Bechar -Algeria/

Abstract:

The field of archeology has experienced a tangible development, in particular in the technical apartment, so that the desired objective of archeology does not only lie in the search and exploration of buried treasures, but goes further. beyond to highlight the material and aesthetic values of the latter, which brought this specialization out of this space. Simple scientist to further expand his objectives and results, and among the most important technical tools on which archeology is based, we refer to the specialty of maintenance and restoration, which in turn has gone from a simple practice not based on controls carried out by some interested in material heritage, to an autonomous science governed by principles and supervised by rich specialists composed In this regard, as for the importance of maintenance and restoration, it may be limited to the importance of the archaeological heritage and its leading role in promoting the economic movement of many countries thanks to the tourist attraction, which has led archaeologists to focus on the field of maintenance and restoration to properly treat the confidentiality of archaeological materials that the person has personified in the past, his art or even his religious beliefs and even his habitations, which he built with simple materials, and techniques which testify of time and space and hide in their details and the conception of their spaces the relation of this person with his environment and his environment.

Keywords: Maintenance and restoration - Restoration theories - Restoration schools - Archaeological heritage.

ملخص:

شهد مجال علم الآثار تطوراً ملموساً خاصة في شقه التقني، فأصبحت الغاية المرجوة من علم الآثار لا تكمن فقط في البحث والكشف عن الكنوز المدفونة، بل تتعدى ذلك إلى إبراز ما تحمله هذه الأخيرة من قيم مادية وجمالية، وهو ما جعل هذا التخصص يخرج من هذا الحيز العلمي البسيط ليتوسع أكثر في أهدافه ونتائجه، ومن أهم الأدوات التقنية التي يركز عليها علم الآثار، نشير إلى تخصص الصيانة والترميم الذي تطور بدوره من مجرد ممارسة لا تستند لضوابط يقوم بها بعض المهتمين بالتراث المادي، إلى علم قائم بذاته تحكمه مبادئ ويشرف عليه آثريون مختصون متكونين في هذا المجال، أما بالنسبة لأهمية الصيانة والترميم فيمكن حصرها في أهمية التراث الأثري ودوره البارز في دفع الحركة الاقتصادية لعدد الدول بفضل الاستقطاب السياحي، وهو ما جعل الأثريين يركزون على مجال الصيانة والترميم للتعامل الصحيح مع خصوصية المواد الأثرية التي جسدت عليها الإنسان في الماضي فنونه أو حتى معتقداته الدينية وحتى مساكنه التي شيدها بمواد بسيطة، وبتقنيات تشهد على الزمان والمكان وتخفي في تفاصيلها وتصميم فضاءاتها علاقة ذلك الإنسان ببيئته ومحيطه.

الكلمات المفتاحية: الصيانة والترميم- نظريات الترميم- مدارس الترميم- التراث الأثري.

مقدمة:

يعد الاستثمار في التراث الأثري أحد أهم المشاريع المربحة في الاقتصاديات المعاصرة، وهذا ما جعل هذا القطاع يأخذ حيزاً كبيراً من الاهتمامات في دول عديدة، ليس فقط لكونه يعكس هوية الشعوب والحقب التاريخية والحضارية التي مروا بها، وإنما باعتباره كنز يمكن استخدامه كعجلة لدفع حركة التنمية، وهذا الوجود الذي تملية أهمية التراث الأثري، ساعد في ظهور شخصيات ومنظمات عالمية تسهر على حفظ هذا التراث من خلال صيانته وترميمه، حيث شهد القرنين 18م و19م حركة ثقافية كبيرة في أوروبا، أين أصبح المثقفون والمهتمون يناشدون ويطالبون بالمحافظة على التراث الإنساني، وذلك باعتماد مناهج علمية وتقنيات وظيفية صحيحة، بعدما كانت أعمال الصيانة والترميم في الماضي لا تخضع لأسس علمية تحفظ هوية وسلامة الأثر، هذا الواقع الحضاري وتراكم أحداثه شكل كرونولوجية لأهم المحطات التاريخية لتطور أعمال الصيانة والترميم، وبناءً على ما سبق تطرح هذه الورقة البحثية الإشكاليات التالية: ما هو مفهوم الصيانة والترميم في المنظور الأثري؟ وماهي أهم المراحل التي مر بها للوصول إلى الصورة التي آل إليها اليوم؟ وبغية الإحاطة بجميع التشعبات التي يمكن لها إثراء الورقة البحثية حاولنا التطرق لإشكالية ثانوية مهمة ألا وهي: هل تنوع نظريات

الصيانة والترميم هو مؤشر للتطور الذي شهده هذا المجال أم هو نتيجة حتمية لتدشئة الثقافة لمنظري مدارس الترميم والخاضعة بدورها لتأثير البيئة العمرانية ومميزاتها؟

للإجابة على الإشكال المطروح، اعتمدنا منهجين المنهج التاريخي والتحليلي من خلال تعقب أهم المحطات التاريخية والجوهرية التي كان لها أثر في تحديد الصورة التوافقية التي يمكن أن يكون عليها الجانب العملي للصيانة والترميم، كما عمدنا إلى تحليل أهم التوجهات الفكرية التي وضعت حيزاً تنظيمياً لهذا العلم.

تحديد المفاهيم:

* الصيانة والترميم:

ارتبط مفهوم الصيانة والترميم ببعضهما البعض إلى درجة أنهما أصبحا يؤديان نفس الوظيفة في نظر العديد من الباحثين، حيث أستعمل المصطلحان في اللغة الفرنسية وهي دلالة على مجموعة من التدابير التقنية من حفظ وترميم دقيق بهدف إطالة عمر الأثر، كما أنها إجراءات جمالية من خلال التنظيف وإضافة العناصر المهمة، وهناك من المختصين من رأى أن الصيانة والترميم هما عمليتين مكملتين لبعضهما البعض، وأيضاً هما وسيلتان للمعالجة ترتكزان على البحث والفهم والحفاظ على المدى الطويل للمواد المكوّنة للأثر مع إبراز نواحيها المختلفة¹.

* الصيانة:

تعني مجموع العمليات التي ترمي في تكاملها إلى إطالة وجود الأثر بالحيلولة دون وقوع ضرر به²، وتعرف أيضاً بأنها عملية يسعى من خلالها الأثري إلى توقيف الضرر والتلف الذي وقع فعلاً أو محتمل وقوعه، أما الهدف الرئيسي من الصيانة هي إطالة عمر اللقى والمعالم الأثرية على حدٍ سواء وذلك بتهيئة وسط الحفظ

¹-ماري بريدكو، الحفظ في علم الآثار الطرق والأساليب العلمية لحفظ وترميم المقتنيات الأثرية، ترجمة: محمد أحمد الشاعر، المجلد 22، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المكتبة العامة، مصر، 2002، ص. 07.

²- ف. فينياس و ر. فينياس، تقنيات الترميم التقليدية، اليونسكو، باريس، 1977، ص. 03.

وجعله مناسب لإطالة واستمرارية عمر الأثر¹، من خلال العمل الدوري وبصفة مستمرة للحفاظ على التراث المادي والتدخل على محيطه بغية حمايته من التلف².

* الترميم:

حضي مصطلح الترميم باهتمام العديد من الباحثين في ميدان ترميم الآثار، وقد أجمع غالبيتهم على المعنى الذي يدل عليه مصطلح ترميم بأنه يطلق على الأعمال التطبيقية والميدانية التي يقوم بها المرممون، من أجل حماية التراث الأثري من التلف، فالترميم لا يعني التجميل أو تجديد الأثر ولكن إعادته بقدر الإمكان إلى حالته الأصلية من خلال عملية علاج تتضمن التخلص من مظاهر التلف الظاهرة عليه³، فهي عملية جراحية وتدخل مباشر على الأثر، وتشمل حذف الإضافات اللاحقة وقد تذهب حتى إلى إعادتها إلى حالتها الأصلية⁴، وهذا ما يؤكد ميثاق البندقية 1964م في مادته 09 حيث عرف الترميم على أنه: "عملية متخصصة تعتمد على احترام المواد الأصلية، وكل أعمال إضافية يجب أن تكون مميزة بشكل واضح، وهذا ما يجعل من الترميم عملية تهدف إلى إعادة الأثر بقدر الإمكان إلى حالته الأصلية"⁵.

كما جاء في الوثيقة الثامنة لحماية وإحياء المراكز التاريخية التي أصدرتها إيكوموس سنة 1987م وهي وثيقة مكملّة لميثاق البندقية: "أن عملية الترميم هي عملية متخصصة بدرجة عالية وهدفها حماية وكشف القيمة الجمالية، تستند على احترام المادة الأصلية، ويجب أن تسبق أي عملية ترميم دراسة أثرية وتاريخية للأثر"⁶.
والجدير بالذكر أن مصطلح الصيانة في مدلوله هو أعم وأشمل من مصطلح الترميم، وإن كان مصطلح الترميم يعتبر أقدم استخداماً من مصطلح الصيانة في مجال حماية التراث الأثري⁷.

¹-ICOM, "Résolution à soumettre à l'Approbation des membres de l'ICOM-CC", l'Occasion de la Conservation de la XVème Conférence Terminologie de la Conservation Restauration de Patrimoine Culturel Matériel, Triennial, New Delhi, 22- 26 Septembre 2008, S.P.

²- ايزيس مكي الدين عبده فهد، تجربة الترميم والحفاظ على التراث في إيطاليا أوفتوحا دراسة وإمكانية تطبيقها في فلسطين عراق بورين -حالة دراسية-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة نابلس، فلسطين، 2010، ص. 55.

³- عمار زهير حيدر، مقدمة في علم الترميم الأثري، "صفحات الترميم الأثري في سورية"، العدد الأول، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية، 2013م، ص. 09.

⁴- ماري برديكو، المرجع السابق، ص. 06.

⁵- Charte de Venise, 1964, Article 09.

⁶- هزار عمران وجورج دبورة، المباني الأثرية ترميمها صيانتها والحفاظ عليها، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 1998، ص. 146.

⁷- محمد عبد الهادي، دراسات علمية في ترميم وصيانة الآثار غير العضوية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997، ص. 22.

1. تطور مصطلح الترميم والصيانة:

اختلف العديد من الباحثين حول المراحل التاريخية التي تكشف عن التاريخ الفعلي لنشأة مصطلح ترميم وصيانة الآثار لعدم توفر وثائق يمكن الرجوع إليها، أما عن تطور مصطلح الترميم أو Restauration بالفرنسية أو Restauration بالإنجليزية كلها مصطلحات اشتقت من الكلمة اليونانية Stau-ros والتي تعني إصلاح وتدعيم، ومعناه عند اليونانيين هو حماية الوطن من الأعداء، وبالنسبة للقواميس والمعاجم اللغوية في القرنين السابع والثامن عشر، فقد ورد ذكر مصطلح Restore ومعناه يصلح أو يرمم شيء ذا قيمة تعرض للتلف، ومن مجموع هذه القواميس نذكر قاموس لتفسير الكلمات الإنجليزية "لجونسون سامووال "J.Samuel" والذي أعدّه عام 1855م، جاء فيه أن كلمة Restor تعني أي فعل وتدخل على التحفة الأثرية في حالة تلف وإرجاعها إلى حالتها الأصلية¹.

2. المحطات التصحيحية لممارسة الصيانة والترميم:

شهدت المباني التاريخية والأثرية عمليات ترميم عشوائية لا تقوم على أسس علمية تحفظ للأثر طابعه الأصلي ولا قيمته التاريخية والفنية، مما نتج عنها في أغلب الأحيان فقدان التحف الأثرية ومباني تاريخية، إذ تنافس الفنانون والمعماريون في إظهار براعتهم الفنية على حساب الفن الأصلي للأثر، وهذا ما جعل سمات التغيير في الأثر تغلب في المحافظة على الطابع الأصلي²، وفي خضم هذا الصراع ظهرت العديد من المدارس، التي أرادت أن تنظم عمليات الترميم من خلال طرح أفكار جديدة، ويعدّ الباحث الإنجليزي "جون راسكين" "J.Ruskin" من أوائل المهتمين بهذا الموضوع، وبالضبط في سنة 1879م أين قام رفقة "وليام موريس" "W. Morris" بإنشاء جمعية لحماية الأبنية التاريخية القديمة، كما طرح مجموعة من التوجهات تصبّ كلها في الطريقة المثلى للتعامل مع المباني الأثرية، حيث كان يعتبر الآثار كالمخلوقات الحية تولد وتنمو وتشيخ وتموت، وأنّه من واجب المجتمع أن يتعامل معها بواقعية، وتركها لمصيرها المحتوم والذي هو الاندثار³.

وفي نفس التوجه ظهرت حركة جديدة سنة 1900م تزعمها الباحث النمساوي "ألويس ريغل" الذي انتقد بشدّة الترميمات التي كان يقوم بها المرممون والفنانون على حد سواء في القرن 19م، حيث كان يرى أن المباني التاريخية والمواقع الأثرية أو حتى المدن القديمة تكتسي قيمة تاريخية أو فنية أو معمارية وجب المحافظة عليها وترميمها بطرق علمية، وعليه طرح جملة من التدابير من خلال توجهه الجديد وأهم ما تضمن هذا المنهج

¹- نفسه، صص. 22-24.

²- محمد عبد الهادي، المرجع السابق، ص. 23.

³- توفيق سيد، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1983، د.ص.

الجديد هو استبدال عمليات الترميم بالحفظ النقي الذي لا يتدخل على المعالم وإنما يحفظها كما هي¹، وفي نفس التيار ذهب المتخصص في أعمال الترميم "مريبي" "S. Mériemée" بوضع أعمال الترميم في إطارها الصحيح².

تبعاً لهذه الأحداث المتسارعة تطور الترميم في السنوات الأخيرة من مهنة بسيطة إلى علم مهم ومكمل لعلم الآثار، ولم يعد يعتمد على المهارة اليدوية التي يمتلكها الفنانون، وأضحى يؤكد على ضرورة فهم علم الآثار ودراسته، والتطلع لأهم العلوم المساعدة له والإلمام بجميع تقنيات الترميم سواء منها التقليدية أو المعاصرة³، هذه الجهود المنصبة في عمليات الترميم اكتسبت شرعية دولية عندما قررت اليونسكو دخول معترك الترميم والمحافظة على الآثار، مما أدى إلى ظهور منظمات وهيئات عالمية تسهر على حفظ الآثار، وتمكنت من وضع أسس متفق عليها تحدد القواعد الأساسية للترميم، إذ نشرت هذه القواعد والأسس في نشرات وبنود لمواثيق دولية على غرار ميثاق البندقية 1964م، والميثاق الدولي لسنة 1972م، وفي وثائق ثانوية أو موسمية كتلك التي صدرت عن جمعيات الترميم من المجلس العالمي للمتاحف ICOM بوثيقة تحت عنوان: "المرمم، تعريف المهنة"⁴.

3. النظريات التطبيقية في الترميم:

➤ تمهيد:

شهد القرنين 18م و19م حركة ثقافية كبيرة في أوروبا، حيث أصبح المثقفون والمهتمون يناشدون ويطالبون بالمحافظة على ما هو موجود من شواهد وأوابد على حضارات خلت وانجازات بشرية كانت هي الأعظم، وهو المطلب الذي ساهم في كثرة أعمال الترميم التي كانت لا تخضع لأسس علمية ولا تحكمها ضوابط، فقد تنافس الفنانون المعماريون في إظهار براعتهم الفنية على حساب الفن الأصلي للأثر، وهذا ما جعل سمات التغيير في الأثر تغلب على الطابع الأصلي⁵، وهو ما نتج عنه في غالب الأحيان ضياع تحف فنية ومعمارية لا يمكن استرجاعها، ونتيجة لهذا الوضع اجتمع مجموعة من الباحثين والمهتمين بالتراث، وكذا المعماريين والفنيين في طرح العديد من النظريات والتي تم تفعيلها والعمل بها وتطويرها بوضع أسس علمية وتطبيقية محددة وواضحة

¹- ايزيس معي الدين، المرجع السابق، ص. 44.

²- محمد عبد الهادي، المرجع السابق، ص. 24.

³- كرونين. ج. أم و روبنسون. و. س، أساسيات الترميم الآثار، ترجمة: عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2005، ص. 10.

⁴- كرونين. ج. أم و روبنسون. و. س، المرجع السابق، ص. 10.

⁵- محمد عبد الهادي، المرجع السابق، ص. 23.

الهدف¹، ولتوسيع نطاق التقيد بما جاءت به هذه النظريات ظهرت مدارس في الترميم يلتزم بمبادئها المرممون في مشاريعهم الأثرية.

❖ أهم النظريات الترميم

يعد الترميم من أهم العمليات التطبيقية التي شغلت بال الباحثين، وقد برزت أهمية هذا الموضوع في كثرة الأبحاث التي أسست لمجموعة من النظريات، والتي اختلفت في توجهاتها، ولكنها اشتركت في جوهرها بضرورة حماية التراث الأثري.

1.3 نظرية وحدوية الأسلوب لإيفن إيمانويل فيولي لودوك:

بحلول النصف الثاني من القرن 19م ومع تزايد أعمال الترميم العشوائية، التي لم تحكمها أي ضوابط، ظهرت شخصية إيفن إيمانويل فيولي لودوك (1814-1879م)، هو من عائلة بورجوازية، كان تكوينه عصاميا في فن الهندسة المعمارية، وما ساعده في تحقيق الخبرة والمعرفة بهذا الميدان هو تنقله الدائم بين فرنسا وإيطاليا، اشتهر لودوك بمواقفه العملية في ميدان الترميم، التي أهلته لأن يصبح من المختصين في فن العمارة الفرنسية، خاصة المتأثرين بالفن الغوطي، وكانت المصادر القديمة منبع توجهاته، حيث لم يكفي لودوك بطرح أو تأسيس بعض النظريات في فن العمارة، وإنما كان معروفا بإنجازاته في ترميم العمائر القديمة، ومن أشهر الأوابد التي عمل على ترميمها كاتدرائية "نوتردام" بباريس، كما أشرف لودوك على ترميم تحصينات القرون الوسطى الدفاعية لمدينة "كاركاسون"²، هذا الاحتكاك الدائم بالعمائر القديمة واندماجه بالتركيبة البشرية لبعض الدول الأوروبية خاصة فرنسا وإيطاليا حفزه للتخصص أكثر في مجال ترميم المعالم القديمة³، وتمهيدا لطرح نظريته في اشكالية ترميم المباني الأثرية التي يمكن شرحها من خلال مفهومه عن الترميم " أن ترمم مبنى هو أن تعيد تأسيسه في الوضعية الكاملة، والتي من الجائز أنها لم تكن موجودة أبدا في أي فترة تاريخية سابقة"، وفي فترة لاحقة قام لودوك بطرح مفهوم خاص به حول الترميم، والذي عرف "بالنقاء الطرزي" أو "وحدوية الأسلوب"، ونشره في بعض أعماله، وترتكز نظرية لودوك في الترميم على مصطلح وحدوية الأسلوب، وهو ما يتجلى في مقولته " عملية ترميم مبنى ليست بالضرورة المحافظة عليه أو إعادة بنائه بصورة

¹ - نفسه، ص. 21.

² - عبد الله حلاوة، تطور مفهوم الترميم، مهد الحضارات، العدد الثاني، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، سوريا، 2007. ص. 69.

³ - Laurent Antoine, *Aspect théorique de la restauration du patrimoine*, rapport de recherche bibliographique, école nationale supérieure des sciences de l'information et des bibliothèques, p.21.

كاملة بقدر ما كان موجود عليه"¹، في هذا الصدد يرى لودوك أن عمليات الترميم التي تحترم أصالة المبنى هو طرح حديث، أما جوهر الترميم الذي كان معروفا منذ القديم هو الترميم وفق ما تتطلبه الفترة التي يوجد فيها الأثر بطرح آخر، هنا فتح لودوك الباب على مصراعيه لعمليات التجديد، وكل الأعمال التي تصبوا لبلوغ القيمة الوظيفية للمبنى وتحقيق قيمة جمالية من شأنها أن تزيد من إعجاب الناس بهذه المباني التي شيدت في العصور القديمة.

2.3 نظرية جون روسكين (1819م-1900م):

هو كاتب ورسام وناقد فني بريطاني ولد بلندن تلقى تكوينه الجامعي بجامعة أكسفورد²، قاد حركة قوية ضد لودوك ومنهجه القائم على الوحدة الأسلوبية، من خلال توجهه المستقى من كتاباته عرف بأب المحافظة، نستشف هذا الموقف في أحد كتاباته:

"LES SEPT LAMPES DE L'ARCHITECTURE"، أين وصف المباني التاريخية بالإنسان وهذا ما يستوجب المحافظة عليها وتركها تموت دون التدخل عليها، إلا أنه لمح إلى إمكانية الترميم في بعض الحالات القليلة، بشرط أن يتوفر مبدأ الحد الأدنى من التدخل، وفي نفس الكتاب لم يكتف روسكين بالإشارة إلى ضرورة المحافظة على المباني الأثرية دون التدخل عليها، وإنما نبه كذلك أن البنائيات القديمة تعد مدرسة تخطيطية وجب الاستلها من تفاصيلها، هذه الملاحظات والمواقف جعلت روسكين يعتبر عملية الترميم عملية كذب وخداع وتبقى أهمية المبنى في قدمه³، من أشهر مواقف روسكين اتجاه الترميم يتبين في قوله "لا نملك أي حق بلمس أبنية الزمن الماضي، فهي ليست ملكا لنا، إنها ملك لهؤلاء الذين بنوها، وكل أجيال البشرية التي ستلحق بنا"⁴.

من خلال دراسة مواقف جون راسكن نفهم بأنه كان يرفض رفضا قاطعا أعمال الترميم، خاصة منها التي كانت معتمدة في زمانه، التي كان يغلب عليه التجديد، وقد عرف هذا التوجه بمرحلة الحفاظ على قيم القدم في المبنى.

في سنة 1900م ظهرت شخصية لويس ريفل أحد أهم الشخصيات تأثيرا على المجتمع الأوروبي في منهج تفكيره وتصوراتها في سبل التعامل مع التراث الأثري، حيث كان من أكبر المعارضين لطبيعة الترميم التي كانت متبعة في

¹-Ibid.

²- عبد الله حلاوة، المرجع السابق. ص.68.

³- Laurent (A)" Op, Cit, p.21 .

⁴- عبد الله حلاوة، المرجع السابق. ص.71.

القرن 19م، التي لا تحفظ أصالة المبنى وطرح مجموعة من المبادئ تهدف إلى الحفاظ على النسيج التاريخي دون أي تدخلات، أي أن يكون الحفاظ نقياً إلى أقصى الحدود الممكنة، ووضع ريغل معياراً خاصاً به لتحديد أهمية الأثر ألا وهي¹:

➤ **قيمة التقادم:** يرتكز هذا المبدأ على احترام الأثر وطبيعته، قوامها عدم التدخل على هذه المعادلة الطبيعية التي تنتهي بحتمية زوال الأثر، وعارض كل أشكال الترميم التي تهدف إلى معالجة التلف الطبيعي بهدف إنقاذ الأثر بنتائج تتدخل على أصالة التراث الأثري.

➤ **قيمة التاريخية:** تضم تحت مظلتها القيم الفنية والمعمارية والجمالية، والتي يجب الامتناع عن التدخل فيها، باعتبارها وثيقة تاريخية يجب الحفاظ على صحتها ونقاؤها قدر الإمكان.

3.3 النظرية المعاصرة لكاملو بواتو (Camillo Boito): (1863م - 1914م)

هو كاتب ومؤرخ معماري إيطالي درس في إيطاليا في معهد الفنون الجميلة لمدينة البندقية وفي ألمانيا وبولونيا، عمل مدرساً للعمارة في جامعة ميلان الإيطالية، قام بواتو بدراسة نقدية للنظريتين السابقتين، حيث خرج بنتيجة مفادها أن الترميم هو عملية حتمية يجب القيام بها لإنقاذ الآثار من الاندثار والزوال، إلا أن الترميم القائم على إيجاد الوحدة الأسلوبية يعد خطئاً لأنه لا يحفظ الأصل، كما شدد بواتو على ضرورة الفهم أن الترميم الدقيق الذي ينتج عنه انسجام القديم والحديث هو مغالطة يجب تفاديها إلى درجة أن بواتو يفضل الترميم الخاطئ على الناجح كونه يسمح لنا بالتمييز بين ما هو أصلي وما هو مضاف²، كما أكد بواتو على مبدأ إلغاء الإضافات التي حدثت مع تعاقب العصور خاصة بالنسبة للمباني، وكان لأبحاث بواتو تأثيرات عميقة في إيطاليا إلى أن درجة أن فكرته تبناها فيما بعد "جوستافوفانونو" 1873-1947م³، فكانت بمثابة أساس ميثاق الترميم الذي نشر عام 1941م، إذ ورد في مادته الخامسة إلغاء الإضافات، كما طرح بواتو بعض الحلول العملية عند حتمية الترميم، حيث أكد هذا الأخير على ضرورة الترميم بمواد تسمح للمشاهد أن يميز بسهولة بين الأجزاء المعاد عملها والأجزاء الأصلية القديمة والعمل على رفع مستواها الحسي ووضع كتابات عليها، كل هذه الاقتراحات تم إقرارها فيما بعد في ميثاق أثينا⁴، ومن مبادئ بواتو أن كل الإضافات يجب أن تكون ظاهرة ومميزة عن الأصلية، ويمكن تطبيق هذا المبدأ باستعمال لون مغاير.

¹- ايزيس مكي الدين عبده فهد، المرجع السابق ص 44.

²- Laurent (A) " Op, Cit, p.21 .

³- تشيزاري براندي، نظرية الترميم، ترجمة: حسن رفعت فرغل، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للآثار، مصر، 2009م، ص 36.

⁴- Ludovic Roudet, *l'intervention minimale en conservation-restauration des bien culturel*, mémoire de master en conservation-restauration des bien culturel, Université paris1 ; 2006-2007, p. 45.

4.3 نظرية الترميم لتشيزار براندي:

براندي مؤرخ وفيلسوف إيطالي، ولد بمدينة سينا الإيطالية، التحق بجامعة فلورنسا لمواصلة مشواره الجامعي الذي بدأه بمسقط رأسه، وهو الأمر الذي أكسبه ثقافة عميقة خاصة في مجال الفلسفة والتاريخ والقانون، وهو ما يظهر جليا في جل أعماله، يعد المؤرخ شيزار براندي الأب الروحي للمرممين والمعماريين الإيطاليين¹، بالرغم من أنه متخصص في تاريخ الفن وليس في مجال ترميم المباني والمعالم التاريخية والأثرية على حد سواء، حيث استطاع أن يضفي روحا فلسفيا من خلال وجهة نظره للتراث الأثري وطرق التعامل معه²، من هذه الزاوية يعرف براندي الترميم على أنه: "المرحلة المنهجية التي يتم من خلالها التعرف على هوية العمل الفني من خلال كيانه المادي وقطبيه الرئيسيين الجمالي والتاريخي تمهيدا لنقل تلك القيم للمستقبل"³، ينتقد براندي طرق الترميم التقليدية، خاصة ما تعلق منها بمحاولة المرمم لإعادة الأثر إلى حالته الأصلية لأنها تلغي البرهة الزمنية، وهو مصطلح اعتمده براندي ليعبر عن الفترة الزمنية الفعلية التي يعيشها الأثر منذ نشأته وصولا إلى لحظة خضوعه لعمليات الترميم دون إهمال خصائصه، فمن بنى بنيانا في فترة زمنية لا يمكن معاودته أو حتى معرفة أقطاب هذا العمل، وبالتالي لا يمكن إعادة الشيء لأصله، كما يؤكد براندي أنه ليصبح الترميم عملا شرعيا يجب ألا ينتج عنه قابلية الزمن للعودة للوراء، لدى يجب على المرمم ألا يقدم ترميمه كعمل سري خارج الزمن تقريبا، بل يجب أن يسمح بتعريف نفسه بوضوح كحدث تاريخي وهو بالفعل كذلك، لأنه عمل إنساني، وليس إقحاما في مسار نقل العمل إلى المستقبل، كما أكد براندي في هذا الصدد ان الترميم هي عملية منفردة لا يمكن تعميمها على كل البقايا الأثرية⁴، يعتمد شيزار براندي في نظريته التي طرحها في مؤلفه نظرية الترميم على مجموعة من المبادئ والتي هي على النحو الآتي:

- الاستراتيجية أي قابلية الترميم للاسترجاع.
- احترام أصالة العمل الفني.
- الاهتمام بوجود انسجام طبيعي كيميائي بين المواد القديمة المستخدمة في العمل الفني، والمواد المستعملة في الترميم في حالة اللجوء للعمل الميداني.
- تحقيق الوحدة الافتراضية للعمل الفني: من أمثلة تطبيقاتها الميدانية نذكر تقنية ملئ الفجوات بلون مغاير يرى براندي أنه من المستحسن ملئ فجوات المباني بالزجاج لتسمح للناظر بالوصول للوحدة الافتراضية.

¹- ايزيس معي الدين عبده فهد، المرجع السابق، ص. 63.

²- نفسه.

³- تشيزارى براندي المرجع السابق ، ص، 43.

⁴- تشيزارى براندي المرجع السابق ، ص، 43..

- الزمن والعمل الفني للترميم: يلخصه براندي في مبدأ جوهرى وهو ان فهم الأثر يتطلب وضعه في إطاره الزمني.
 - الترميم والقضية التاريخية الجمالية وهي ازدواجية أو مقارنة يجب على المرمم بلوغها بحفظ أصالة الأثر المرمم برمزيته التاريخية دون إهمال الجانب الجمالي، والذي بدوره يعد أحد أهداف الترميم .
 - الفضاء المكاني للعمل الفني: ويقصد به محيط الأثر، حيث يعتبره براندي في نظريته جزء لا يتجزأ من روح المبنى الأثري أو التاريخي.
 - الترميم الوقائي: هو الذي يهتم بحفظ الأثر في محيطه الأصلي، ومحاولة تحقيق درجة من الانسجام التاريخي والفني والجمالي.
4. مدارس الترميم:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية شهد العالم العديد من التحولات لا سيما منها الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية، حيث أولت الدول أهمية كبيرة للتراث الأثري باعتباره تراث إنساني مشترك من شأنه أن يوافق بين الشعوب ويجمعها في حيز واحد، كما أن التعرف على هذا التراث أصبح أمراً ضرورياً ينهي الشعور بالفخر والاعتزاز¹، وبغية تجسيد هذا التوجه الحديث للحياة الثقافية في العالم شهد مجال ترميم المباني الأثرية والاعتناء بها وتيرة غير مسبوقه فسارعت العديد من الدول لترميم معالمها والترويج لها، فكان لزاما على الدول اعتماد مبادئ واضحة في الترميم، استجابة لهذا المطلب الثقافي ظهرت مجموعة من المدارس قامت بطرح مجموعة من النظريات المتعارضة في أفكارها، نظرا لاختلاف حيوي جاء نتيجة لرؤية وفلسفة مغايرة بين كل الدول، بيد أن هناك ضوابط عامة ومواثيق دولية تتبع في جميع المدارس العالمية في الترميم لتكون مرجعا لعمليات الترميم المحتملة، وهذه المدارس هي:

1.4 المحافظون:

هي مدرسة نشأت وتطورت في إيطاليا، هذه البيئة بخصوصياتها التاريخية والأثرية المنفردة في كثرة المباني التاريخية المحافظة على عناصرها المعمارية والزخرفية، وهذا الزخم الأثري كان له الأثر البالغ في رسم معالم وتوجهات هذا المذهب الذي يعتبره العديد من المهتمين بالتراث الأثري بأنه توجه مثالي في طرحه، تجريدي في مبادئه²، نظرا لما يحمله من أفكار ومبادئ، حيث يؤكد المحافظون على ضرورة التعامل مع التراث الأثري

¹- Bouabaould Mohammed (N.) et autre, *L'Archéologie Préventive en Afrique (Enjeux et Perspective)*, Acte du colloque de Nouakchott 01 – 02 Février, SÉPIA, France, 2008, p.28.

²- شرقي الرزقي، مبادئ أساسية لإرساء دعائم مدرسة وطنية في الترميم الأثري، مجلة دراسات تراثية، العدد الأول، الجزائر، 2007، د ص

بموضوعية وعقلانية، من خلال تفضيل أعمال الصيانة دون اللجوء إلى أعمال الترميم، ومن الأسس التي وضعها المحافظون عند التعامل مع التراث الأثري:

➤ عدم التدخل على التراث الأثري والاكتفاء بصيانتته وتوفير بيئة مناسبة لحفظه والعمل على تنظيفه بصفة دورية¹.

➤ دمج التراث المعماري في الحركة التطورية للمؤسسات الثقافية مع منح المباني الأثرية وظائف تناسب خصوصياتها المعمارية والرمزية، التي تحفظ عناصرها المعمارية.

ان المدرسة الإيطالية أو المحافظون لهم منهجا علميا متميزا، فالأثر عندهم كائن حي يتم التعامل معه على هذا الأساس، وتعد المدرسة الإيطالية من أكثر المدارس في العالم تمسكا بالأمانة الأثرية والفنية عند التعامل مع الأثر، لهذا غالبا ما يستعمل عندهم مصطلح الصيانة الشاملة، حيث تركز فلسفة الإيطاليين في الترميم والمحافظة على تهيئة جميع الظروف الخارجية للمحافظة على التراث الأثري الخاضع لأعمال الترميم، وللمدرسة الإيطالية أسلوبها الخاص عند التعامل مع المباني الأثرية، إذ يركز المحافظون على ضرورة المحافظة على روح الأثر واحترام قدسيته إلى أبعد حد ممكن، حيث يقول البروفيسور "جوزيبي فانفوني" بصفته خبير الترميم العالمي ورئيس المركز المصري- الإيطالي للترميم والأثار، وخريج المعهد الوطني للفن والترميم في إيطاليا يقول عن الترميم في المدرسة الإيطالية² "نحن نحرص على المراحل التي تسبق الترميم بشكل لا يقل عن مراحل الترميم الفعلية، فنقوم بدراسة الأثر من الناحية التاريخية والمعمارية بالرجوع إلى الكتب والمصادر الخاصة، ثم نقوم بالتسجيل والتوثيق والتصوير الفوتوغرافي لأدق التفاصيل...أما بالنسبة للأسلوب الخاص و الخامات المستخدمة في الترميم لا أحد يتدخل فيها، ولا أصرح بها، ولكن هناك أسسا وثوابت نتعامل من خلالها في ترميم الأثار ومن أهمها الحفاظ على الشكل القديم والأصلي للأثر، ولا يمكن استكمال أي جزء في الأثر، إلا إذا كان هناك ما يدل عليه، ونحن نتبع أسلوبا خاصا في الترميم باعتماد ترميم بشكل دقيق جدا بنفس الدرجات اللونية القديمة فتبدو من بعيد وكأنها أصلية، لكن عند الاقتراب منه يتضح الفرق بين القديم والحديث، ولعلنا ابتدعنا هذا الأسلوب حتى يتسنى للمرممين اللاحقين معرفة الفرق بين القديم والجديد والتعامل على هذا الأساس" هي مجموعة ثوابت تؤكد أن توجه المحافظين في الحماية يرفض الترميم بكل أشكاله، مع تركيز الحماية على الفضاء المكاني للأثر بخصوصياته الطبيعية والبشرية.

¹- ابراهيم محمد عبد الله، مبادئ ترميم وحماية الأثار، دار المعرفة الجامعية، جامعة الاسكندرية مصر، 2014، ص.63.

²- ايزيس معي الدين عبده فهد، المرجع السابق، ص.ص. 63-64.

2.4 المجددون:

تزايد عدد المهتمين بالتراث الأثري وباختلاف مراتبهم الاجتماعية وتخصصاتهم العلمية والعملية، هذا العامل كان له أثره على واقع التراث الأثري في العديد من المجالات، ومن المقاربات التي أسالت الكثير من الحبر هو تأسيس منهج يمكن الارتكاز عليه حين التدخل على الأثر في حال عرضه على عمليات الترميم ومن الفئات الفاعلة في رسم معالم توجه حديث كفيل بتحقيق الأهداف المرجوة من الترميم نجد الفنانين الذين حاولوا توظيف أسس فنية في التعامل مع التراث الأثري، وهو الدافع الذي ساهم في ترسيخ طابع التجديد في أعمال الترميم، حيث يركز مفهومهم للترميم على مجموعة من المبادئ، ومن أهمها، أن هذه المدرسة ترى بإجازة تجديد المباني التاريخية والأثرية، وبالتالي يصبح الترميم عملية منفردة لا تخضع لضوابط، يرى منظرو مدرسة المجددين أن غاية الترميم هو تحقيق القيمة الجمالية للتراث الخاضع للترميم حتى ولو كان ذلك على حساب القيمة التاريخية والأثرية، لأن المرمم مطالب بالحفاظ على "الطرز لا على الأطلال"، للإشارة تزعم الولايات المتحدة الأمريكية هذا التيار التي أقدمت على تجديد منزله أروقة "أتال" (ATTALES)، الواقعة "بأغورة أئينا"، وبطابقه من الأعمدة المتطابقة فوق بعضها بعضاً، ناهيك عن دكاينه التجارية، حيث يعتبر الترميم عند المجددين مجرد لون من الألوان الفنية الاستعراضية ليس إلا، أما موقفهم من النظرية السابقة أو العقلانيون، فيرى رواد هذا التوجه أن الأثر المدمر المعرض للترميم يرافقه وصف كاذب للشيء المدمر باعتبار إنه لمن المستحيل إحياء الموتى، وعلى هذا الأساس أن يرمم شيء كانت له عظمة وجمال منتشي بالروح التي تهيمها يدا وعينا العامل لا يمكن استعادتها، كما لا يمكن إعطاء روح أخرى في وقت آخر ليصبح المبنى عندها مبنى جديداً¹، ومن الإرهاصات التي ارتكزت عليها مدرسة المجددين مواقف بعض المهندسين، ومن بينهم المعماري الإنجليزي "جيمس وايت" 1746-1813 الذي تزعم مبدأ تغيير التصميم أو ما أصطلح عليه "تغيير الطراز" وهو مبدأ يسمح للمعماري بإحداث تغييرات جوهرية على المبنى، وإضافة عناصر إنشائية أو زخرفية من شأنها أن تحقق الهدف المرجو من التدخل على المبنى، وفي نفس السياق ذهب المعماري الإنجليزي "سكوت" W.Skoot منتقداً أعمال الترميم في أحد كتاباته حيث ذكر "إنني أجد نفسي دائم الرغبة في حذف كلمة ترميم من قواميس اللغة وكتب العمارة وتاريخ الفنون"²

¹- عبد الله حلاوة، المرجع السابق، ص 70.

²- محمد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 24.

3.4 العقلانيون

شكل مجال الترميم هاجسا كبيرا للعديد من دول العالم نظرا للاختلاف الكبير الذي كان قائما بين المدرستين الرائدتين في الترميم سواء المحافظين أو المجددون وهو نفسه السبب الذي ساهم في ظهور تصور جديد للترميم، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه الفكري، المطبق في بادئ الأمر على نطاق محدود جدًا، وتحديدا بالمدرستين الغربيتين الفرنسية وجارها البريطانية، قبل أن يمتد تأثيره الإيجابي إلى معظم المدارس الحديثة عبر العالم. وذلك في أعقاب اختتام أشغال الندوة الدولية بأثينا لعام (1931)، حيث تحقّق الإجماع الدولي بشأنه¹، وهو مذهب عقلاني وسيط يوافق بين المدارس السابقة ومبدأه التوفيق بين حفظ أصالة الأثر وتأهيله لمسايرة المعاصرة بكل معانيها، أما بخصوص الترميم يرى العقلانيون أن الترميم هي عملية مسموحة في بعض الحالات لكن بشرط أن تتسم بالانزان، ولا يرفض أي عملية تخدم مصلحة الأثر شريطة أن يكون التدخل موضوعي في طرحه عقلاني في تطبيقه²، يسعى إلى تحقيق أهداف هذه المدرسة الذي يرتكز أساسا على تحقيق مقاربة الوفاء لأصالة الأثر، وحسن تسيير التراث الأثري من خلال دمجها، دمجا إيجابيا في الحياة العامة المعاصرة، باستخلاص أهم القيم التي يتضمنها الموروث الأثري والتي سوف تعود بالإيجاب على المجتمع، ومن المبادئ الأساسية التي طرحها العقلانيون عند ضرورة الترميم وجوب الابتعاد عن تزوير الحقائق بتجنب الابداع وكثرة الإضافات، والاكتفاء بالحد الأدنى من التدخل، الذي يسمح بإمكانية التمييز بين ما هو أصلي وما هو مضاف في عمليات الترميم، وضرورة استعمال المواد الأصلية في عمليات الترميم من خلال العمل بمبدأ "الأثر يقترح العلاج" فيشترط أن تكون المواد المستعملة في الترميم مواد مدروسة لتتفاعل إيجابيا مع المواد الأصلية للأثر وتمنحه أكثر صلابة واتزان، ومن خلال مضمون هذا البند تم التأكيد على ضرورة العمل بمبادئ الترميم الإيحائي³، وفيه يتم الاكتفاء بإصلاح العيب الظاهر دون التماهي في الترميم ومس الجوانب السليمة أو المساس بأصالة الأثر، ويبقى الترميم حتمية لا تقوم بها إلا في حالة استنفاد كل الحلول، مع الحرص على الدراسة الأولية لتفادي نتائج عكسية على العينات الأثرية التي خضعت لعمليات الترميم⁴، وكحوصلة لمجموع المبادئ التي طرحها العقلانيون عند التعامل مع التراث الأثري الظاهر عليه مظاهر التلف يصبح مفهوم الترميم هو إطالة عمر الأثر إلى أطول عمر افتراضي يمكن الوصول إليه، ومسؤولية المرمم في هذه الوضعية تكمن في إيصال هذا

¹ - شرقي رزقي، المرجع السابق، د ص

² - شرقي رزقي، المرجع السابق، د ص

³ - الطيب جقلول، الترميم الإيحائي منهجا لترميم بقايا المواقع الأثرية، مجلة دراسات وأبحاث، عدد 08، الجزائر، د ص

⁴ - إبراهيم محمد عبد الله، دراسات علمية في علاج وصيانة الأثار المعدنية، دار المعرفة الجامعية، جامعة الاسكندرية مصر، 2014، ص.78.

التراث للأبناء والأحفاد بدون حذف أو إضافات إلا بالقدر الضروري للحفاظ على سلامة الأثر في شكله ونمطه، علينا أن نعتبر أنفسنا كحامل رسالة ليس له أن ينقص أو يضيف حرفاً، هذه المبادئ باجتماعها جاءت متكاملة بتوفيقها بين أقطاب المحافظة الترميم والصيانة مستجيبة لمشهد أثري متنوع في قيمه وحالة حفظه وأماكن تواجده.

خاتمة:

شكل موضوع الترميم جدلاً كبيراً في أوساط المهندسين المعماريين والفنانين والمرممين تمخض عنه ميلاد مجموعة من المدارس متبنيه جملة من النظريات تنوعت في طرحها وفي زاوية تحديد أهدافها، كان للوسط العمراني الأثر البالغ في تحديد أقطاب الحماية والحفظ، وكذا في تحديد الطريقة المثلى لتجسيد مشاريع الحفظ تلبية للحاجة الاجتماعية المرجوة من استغلال التراث، وأيضاً استجابة للضرورة الاقتصادية المتمثلة أساساً في بلوغ الجذب السياحي الأثري، هذا النقاش الحاد والجدل الكبير الذي دار بين هذه المدارس أسس لميلاد مهنة الترميم ترعاها الدول، أبرمت لأجلها موثيق واتفاقيات بغية تحديد مفهوم الصيانة والترميم وتحديد أهدافها وتقنين الطريقة العملية الصحيحة التي يجب أن تكون عليها، ولتطبيق مخرجات هذه الموثيق والاتفاقيات تم إنشاء معاهد متخصصة لحماية التراث الأثري وفق ما طرحته مدارس الترميم من مبادئ وغايات.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- (1) الطيب جقلول، الترميم الإيحائي منهجاً لترميم بقايا المواقع الأثرية، مجلة دراسات وأبحاث، عدد 08، الجزائر.
- (2) تشيزاري براندي، نظرية الترميم، ترجمة: حسن رفعت فرغل، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للآثار مصر، 2009م.
- (3) توفيق سيد، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1983.
- (4) ف. فينياس و ر. فينياس، تقنيات الترميم التقليدية، اليونسكو، باريس، 1977.
- (5) كرونين. ج. أم و روبنسون. و. س، أساسيات الترميم الآثار، ترجمة: عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2005.

(6) ماري برديكو، الحفظ في علم الآثار الطرق والأساليب العلمية لحفظ وترميم المقتنيات الأثرية، ترجمة: محمد أحمد الشاعر، المجلد 22، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المكتبة العامة، مصر، 2002.

(7) محمد عبد الهادي، دراسات علمية في ترميم وصيانة الآثار غير العضوية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997.

(8) هزار عمران وجورج دبورة، المباني الأثرية ترميمها صيانتها والحفاظ عليها، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 1998.

قائمة الدوريات والمجلات:

(1) شرقي الرزقي، مبادئ أساسية لإرساء دعائم مدرسة وطنية في الترميم الأثري، مجلة دراسات تراثية، العدد الأول، الجزائر، 2007.

(2) عبد الله حلاوة، تطور مفهوم الترميم، مهد الحضارات، العدد الثاني، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، سوريا، 2007.

(3) عمار زهير حيدر، مقدمة في علم الترميم الأثري، "صفحات الترميم الأثري في سورية"، العدد الأول، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية.

قائمة الرسائل الجامعية:

(1) ايزيس محي الدين عبده فهد، تجربة الترميم والحفاظ على التراث في إيطاليا أورفتوحا دراسة وإمكانية تطبيقها في فلسطين عراق بورين -حالة دراسية-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة نابلس، فلسطين، 2010.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

قائمة الدوريات والمجلات:

- 1) Bouabaould Mohammed (N.) et autre, **L'Archéologie Préventive en Afrique (Enjeux et Perspective)**, Acte du colloque de Nouakchott 01 – 02 Février, SÉPIA, France, 2008.
- 2) ICOM, "**Résolution à soumettre à l'Approbation des membres de l'ICOM-CC**", l'Occasion de la Conservation de la XVème Conférence Terminologie de la Conservation Restauration de Patrimoine Culturel Matériel, Triennial, New Delhi, 22- 26 Septembre 2008.

قائمة التقارير:

1) Laurent Antoine, **Aspect théorique de la restauration du patrimoine**, rapport de recherche bibliographique, école nationale supérieure des sciences de l'information et des bibliothèques.

قائمة الموثيق:

1) **Charte de Venise**, 1964.

قائمة الرسائل الجامعية:

1) Ludovic Roudet, **l'intervention minimale en conservation-restauration des bien culturel**, mémoire de master en conservation-restauration des bien culturel, Université paris1 ; 2006-2007.

قضايا لاجئي الحروب في الخطاب الإعلامي الأوروبي... السياقات والضوابط Refugee wars issues in European media discourse ... contexts and controls

د. منير طبي / جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر

Dr Mounir Tabbi / L'Arabi Tebessi University - Tebessa, Algeria

Abstract:

In an article by Heba Yassin published in the Saudi Al-Hayat newspaper, she affirmed that the media are a fertile platform for spreading hate speech and incitement against and spreading refugees, what reflected negatively on the situations of migrants and refugees whose numbers have doubled in recent years due to conflicts and wars, especially in the Middle East, speech of intolerance and incitement spread, and contributed to The terminology used in the media when dealing with contributed to addressing refugee issues and the tendency to portray them in a criminal manner, by affecting the interaction of citizens, governments and countries with them. Therefore the various media had approach these issues with more care, professional ethical controls.

Key words :Refugee issues, media, media discourse, professional controls, ethical controls.

ملخص :

في مقال لهبة ياسين نشر في صحيفة الحياة السعودية أكدت فيه اعتبار وسائل الإعلام ساحة خصبة لبث خطاب الكراهية والتحريض ضد اللاجئين وانتشاره، ما انعكس سلباً على أوضاع المهاجرين واللاجئين الذين تضاعفت أعدادهم خلال السنوات الأخيرة بفعل النزاعات والحروب لاسيما في الشرق الأوسط، وانتشر خطاب التعصب والتحريض، وساهمت المصطلحات المستخدمة في الإعلام عند تناول قضايا اللاجئين والميل إلى تصويرهم في صورة إجرامية، بالتأثير في تعامل المواطنين، الحكومات والدول معهم. لذلك كان على وسائل الإعلام المختلفة تناول مثل هذه القضايا بمزيد من الحرص والضوابط المهنية والأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: قضايا اللاجئين، وسائل الإعلام، الخطاب الإعلامي، الضوابط المهنية، الضوابط الأخلاقية.

مقدمة

وفق الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونسكو" باللغة العربية، فإن نسبة اللاجئين الذين يتوجهون إلى أوروبا من كل مكان حول العالم لا تتجاوز 6%، أما فيما يتعلق باللاجئين السوريين، فإن معظمهم متواجد في الدول المجاورة مثل تركيا ولبنان والأردن والعراق، وقد وصل بالفعل إلى أوروبا ما يقارب مليون لاجئ عبر البحر عام 2015، ولكن هذا العدد لا يمثل سوى 0.3% من مجموع سكان القارة.

قضية اللاجئين: أسباب التدفق وعوامل الجذب والطرده

منذ آلاف السنين، منح الناس الهاربين من الصراع حق اللجوء في أراضٍ أجنبية، وظهرت وكالة الأمم المتحدة التي تساعد اللاجئين، والتي تعرف أيضاً باسم مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، في أعقاب الحرب العالمية الثانية لمساعدة الأوروبيين الذين شردتهم الصراعات، وفي 14 كانون الأول/ديسمبر عام 1950، تأسست مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وحصلت على ولاية لمدة ثلاث سنوات لاستكمال مهمتها ومن ثم حلها، وفي العام التالي، في يوم 28 يوليو، تم اعتماد اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين، والتي تعتبر بمثابة الأساس القانوني لمساعدة اللاجئين، وأيضاً ليسترشد بها النظام الأساسي لعمل المفوضية، وبدلاً من إنهاء عملها بعد ثلاث سنوات، ظلت المفوضية تعمل منذ ذلك الحين لمساعدة اللاجئين، وفي الستينيات نتج عن إنهاء الاستعمار في أفريقيا أول أزمة من أزمات اللاجئين العديدة في

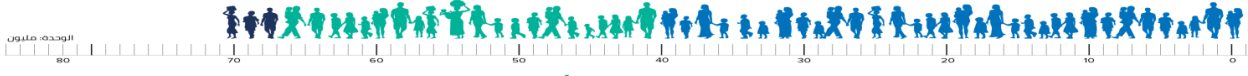
تلك القارة التي تحتاج إلى تدخل المفوضية، وعلى مدى العقدين التاليين، قدمت المفوضية المساعدة في أزمات النزوح في آسيا وأمريكا اللاتينية، وبحلول نهاية القرن برزت مشاكل جديدة للاجئين في أفريقيا، وحدثت موجات جديدة من اللاجئين في أوروبا نتيجة سلسلة الحروب في البلقان، وفي عالم يشهد فيه نزوح 42,500 ألف شخص قسرا يوميا نتيجة الصراع، يبقى عمل المفوضية أكثر أهمية من أي وقت مضى.¹

فعلى الصعيد الإفريقي مثلا تستضيف كينيا 250 ألف لاجئ تقريبا من أكثر من 11 بلدا مزقتها الحروب، ينتهي هؤلاء اللاجئين إلى الصومال والسودان وإثيوبيا ومنطقة البحيرات العظمى، ويوجد مخيمان رسميان للاجئين في كينيا هما "داداب" الذي يقع على مقربة من الحدود الصومالية وبه 150 ألف لاجئ تقريبا، ومخيم "كاكوما" الواقع في شمالي كينيا قرب الحدود السودانية وبه 83 ألف لاجئ تقريبا، وتتبع الحكومة الكينية خطة لتسكين اللاجئين في المخيمات تقضي بمرور اللاجئين بإجراءات بت أوضاعهم، على أن يلتزموا فور الانتهاء منها بالإقامة في المخيم، ريثما يتم التوصل إلى حل دائم لمشكلتهم، ولكن لأسباب عديدة (منها انعدام الأمن في المخيمات والمشاكل الصحية وعدم التكيف مع الحياة في المخيمات) يتحدى كثيرون من اللاجئين هذا الشرط، فيشقون طريقهم إلى المدن الكينية.²

¹ الأمم المتحدة، اللاجئون، الموقع الرسمي على الوب، 2015، على الرابط <https://www.un.org/ar/sections/issues-depth/refugees/index.html>

² اتحاد اللاجئين في كينيا، إدارة شؤون اللاجئين في كينيا، نشرة الهجرة القسرية، النزوح في إفريقيا: الجذور والموارد والحلول، برنامج دراسات اللاجئين والمجلس الترويجي للاجئين والمشروع العالمي المعني بأوضاع النازحين داخليا، ص14، 2003، على الرابط <https://www.fmreview.org/sites/fmr/files/FMRdownloads/ar/pdf/NHQ16/NHQ16.pdf>

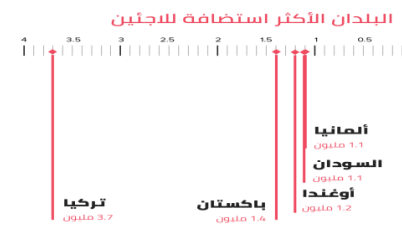
70.8 مليون نازح قسرياً حول العالم



3.5 مليون طالب لجوء

25.9 مليون للاجئين

41.3 مليون نازح داخلياً حول العالم



أين يعيش اللاجئون والنازحون قسراً حول العالم؟



حوالي 80% من المهجرين حول العالم يعيشون في البلدان النامية

37,000 شخص يضطرون للفرار من ديارهم يومياً هرباً من الصراعات والاضطهاد

341,800 طالب لجوء جديد سجلت فيزويلا أعلى عدد في طلبات اللجوء في 2018

3.9 ملايين شخص من عهدي الجنسية ولكن يعتمد بوجود ملايين آخرين

توزيع النازحين قسرياً حول العالم بالأرقام/ المصدر

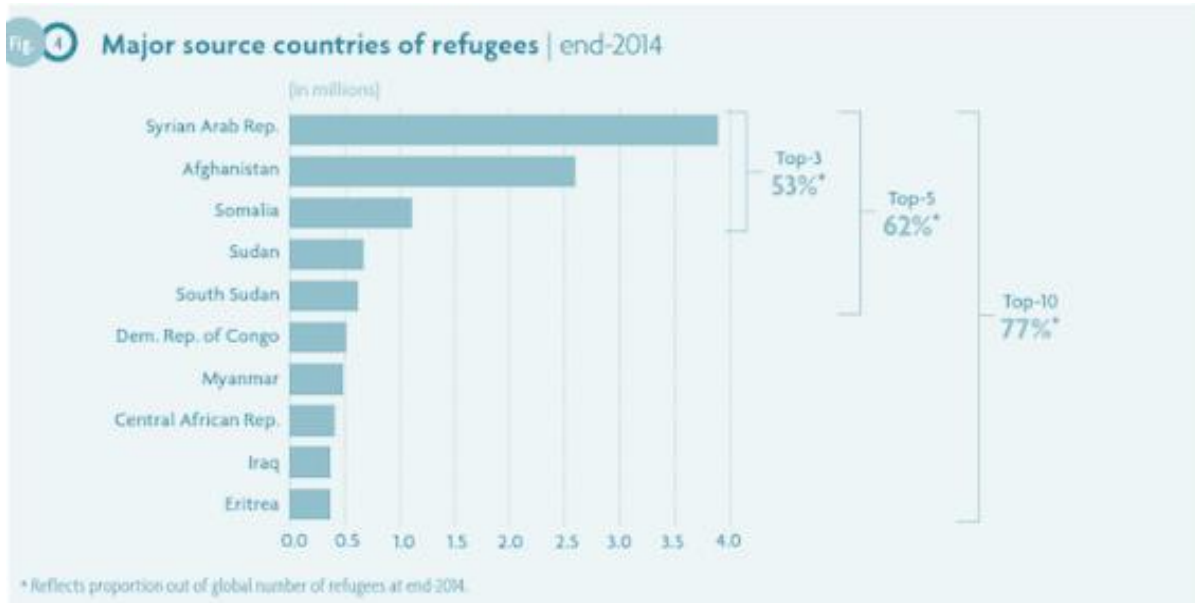
<https://www.unhcr.org/ar/4be7cc27207.html>

منذ بداية عام 2015 زادت النسبة المئوية للاجئين القادمين إلى أوروبا بشكل ملحوظ، بالمقارنة مع مراحل سابقة من الهجرة، حيث وصل الشواطئ الأوروبية نصف مليون مهاجر، وهو يمثل ضعف ما وصل في 2004، وهو أكبر عدد في التاريخ، كما تحمل رحلات المهاجرين مخاطر كبيرة حيث توفي 3 آلاف شخص، وما يميز هؤلاء المهاجرين أنهم يبحثون عن ملجأ، فيم كانت دوافع غالبية المهاجرين سابقاً اقتصادية، فإن مستقبل الذين وصلوا إلى أوروبا ينقصه الوضوح، وهذا العدد الهائل من الوافدين لأوروبا سبب ضغوطاً كبيرة حتى على أعلى الدول استعداداً لاستقبالهم في قدرتهم على الوفاء بمقاييس الاتحاد الأوروبي لاستقبال ومعاملة الطلبات، فأزمة سوريا عامل مهم جداً في التدفق، حيث إن شخصاً واحداً من بين خمسة أشخاص للاجئين سوري، كما أن هناك ملايين من ليبيا والسودان والصومال وأفغانستان والعراق واليمن، يهجرون من بلادهم بسبب سيطرة العنف والأزمات.¹

إن التنوع في التدفق المستمر للاجئين من ناحية القوميات والجنسيات، أضافت تحدياً كبيراً لدول الاتحاد الأوروبي باللجوء، كي تحدد من هو اللاجئ بحق الذي يتأهل ويستحق الحماية، ومن الذي لا يستحق بناءً على الألفية القانونية، ولا بد تقييم كل وافد والاستماع لادعاءاتهم، وهي غالباً عملية طويلة وتأخذ مصادر كثيرة

¹ إيهاب حسين الشويخ، الدبلوماسية الأوروبية تجاه قضية اللاجئين العرب كما تعكسها شبكة يورونيوز الإخبارية، رسالة ماجستير، أكاديمية الإدارة والسياسة، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2016، ص 92.

وتؤدي لتزاحم في انتظار قرارات اللجوء، حتى أن هؤلاء الذين قد ترفض طلباتهم فإن لهم فرصة البقاء، لأن نسبة العائدين لبلدانهم هي قليلة، فهناك عوامل جذب ودفع إضافة إلى عوامل طرد للاجئين خاصة اللاجئين السوريين أهمها: استمرار العنف وعدم الاستقرار في البلاد الأصلية والتي جعلت الرجوع للبلد مستحيلا، إضافة إلى تدهور الظروف في بلدان اللجوء الأول (الأردن ولبنان)، والتي قامت بتشديد المراقبة على حدودها وتقنين الدخول لها.¹ أما عن عوامل الجذب فهي كثيرة أهمها: استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من قبل اللاجئين جعلت بعض الأشخاص الذين لا يرغبون في الذهاب إلى أوروبا يغيرون آراءهم، بعدما جاءت أخبار من أصدقائهم بأنهم قد وصلوا بنجاح لأوروبا، وحصلوا على حق اللجوء في ألمانيا والسويد، فقد ساعدت مواقع التواصل الاجتماعي على انتشار قصص نجاح اللاجئين وبسرعة؛ وانطلاق بعض المبادرات مثل (ايرنب من أجل اللاجئين) في ألمانيا والنمسا، سهلت على اللاجئين استقبالهم كما قدمت لهم مساعدات؛ إلى جانب إن الفوضى على الحدود الأوروبية سهلت عملية عبور اللاجئين لدول أوروبا، حيث إن طلبات اللاجئين تأخذ وقتا كبيرا للرد عليها، وفي هذا الوقت قد يسافر اللاجئ من بلد لآخر داخل أوروبا.²



مخطط يوضح أهم الدول المصدرة للاجئين / المصدر: <https://www.aljumhuriya.net/ar/33874>

قضايا لاجئي الحروب في وسائل الإعلام الأوروبية...كيف هي؟

¹ المرجع السابق، ص 105.

² المرجع السابق، ص 105-106.

لم يعد الإعلام قاصراً على المفهوم التقليدي له من حيث نقل المعلومة فقط دون اعتبار لقيمتها وأثرها، بل باتت الممارسة الإعلامية بكافة مستوياتها وأنواعها عبارة عن رسالة مسئولة وواعية تحمل في طياتها نشر المعلومة المفيدة والمؤثرة، وتوضح أبعادها ومسبباتها وآثارها وآليات الحلول والعلاج وطرق الوقاية والسلامة، وتوجيه الفرد والأسرة والمجتمع نحو سلوكيات إيجابية، وتحذيره من أخرى سلبية، كذلك نشر الثقافة والفكر من خلال الانفتاح على الماضي واستشراف المستقبل، والانفتاح على حضارات وثقافات الأمم المختلفة، ووصل الأمر إلى دور ترفيحي للإعلام ومساعدة المواطنين على تبني قيم وسلوكيات شرائية من خلال النشاط الإعلاني للرسائل الإعلامية المختلفة، هذا المفهوم الشامل لدور الإعلام يتعاظم بشكل مستمر في ظل حالة التطور الهائلة في وسائل الاتصال بشكل عام.¹

وتكمن أهمية الإعلام بوسائله المختلفة (المسموعة والمقروءة والمرئية...)، كونه أحد أهم الوسائل الحديثة في مخاطبة المجتمعات الإنسانية والتأثير على سلوكياتها، وبالتالي يُؤثر على نتائجها الفكرية والإبداعي، بما يتميز به من قدرة فائقة في التأثير، من خلال مخاطبة الحدث وتحليل مجريات الأحداث، وأصبح الإعلام أحد المكونات الأساسية المتحركة في حركة الإنسان، خصوصاً بعد تسارع حركة الانفجار المعرفي، وبناء عليه فإن الإعلام اليوم لم يعد مجرد ناقل لخبر، بل تعداه إلى القيام بدور التعليم والتوعية والتوجيه والإرشاد في كافة مناحي الحياة، مما يعطيه المزيد من الأهمية والخطورة في آن معا، وهذا يقودنا إلى ضرورة التنبيه من السلبيات التي تحدد بمختلف القضايا المطروحة فيه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر "قضية اللاجئين".²

يلعب الإعلام من دون أن يتنبه دوراً في نشر خطاب الكراهية خلال طرحه قضايا المهاجرين وهناك محتوى يحمل في طياته ذلك التحريض، ما ينبغي التصدي له ومواجهته العاملين وتوعيته في الحقل الصحافي والإعلامي بآثاره، وبناء المبادرات للتوعية باستخدام المصطلحات التي تجنب الحز على الكراهية، وهذا الأمر كان مبعث اهتمام تحالف الأمم المتحدة للحضارات التابع لمنظمة الأمم المتحدة، والذي نظم في القاهرة مؤتمراً حول «انتشار خطاب الكراهية ضد المهاجرين واللاجئين في وسائل الإعلام»، بالتعاون مع «البرنامج المصري لتطوير وسائل الإعلام»، في إطار مبادرة «لا لنشر الكراهية»، ضمن سلسلة من المؤتمرات في هذا الصدد، إذ سبقها

¹ حسن محمد عبد الرحمن أبو حشيش، الإعلام وقضية اللاجئين، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر حول اللاجئين نظمتها وزارة اللاجئين في غزة، الجامعة الإسلامية بغزة، 2007، على الرابط <http://site.iugaza.edu.ps/hhahesh/extra> /الإعلام-وقضية-اللاجئين/

² هيثم محمد أبو الغزلان، دور الإعلام الفلسطيني في تبني قضايا اللاجئين الفلسطينيين، موقع شبكة أخبار اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، على الرابط <http://laji-net.net/arabic/default.asp?contentID=9159>

مؤتمران في نيويورك وباكو وبروكسل بهدف التركيز على تجارب الهجرة، ومحاولة صياغة توصيات لوقف القصص السلبية ضد المهاجرين واللاجئين والتخفيف من تأثير خطاب الكراهية.¹

"هكذا يتحول اللاجئون إلى مجرمين" أو "كل شخص من عشرة يحصل على المساعدة الاجتماعية، هو سوري"، أو "بعد 1300 حصة - أربعة من خمسة لاجئين يرسبون في فحص اللغة (الألمانية)"، كلها أمثلة عن عناوين عريضة كثيرة اعتمدها مؤسسة "بيلد" الإعلامية أثناء تغطيتها ملف اللاجئين، وهي التيمة التي تحولت لدى "بيلد" ولدى بعض وسائل الإعلام الأخرى إلى موضوع رئيسي بامتياز، ولا يخفى على أحد أن العناوين المذكورة لها حمولة سلبية واضحة، فإذا أخذنا مثلا العنوان حول حصص اللغة الـ1300 المنشور بتقرير صادر في السابع من شهر يناير/ كانون الثاني لهذا العام، فقد نفهم أن 80 بالمائة من لاجئي ألمانيا يخفقون في اجتياز هذا الفحص، لكن عند قراءة المقال الذي يستند في مضمونه على أرقام رسمية صادرة عن مكتب الهجرة واللاجئين، فسوف نكتشف أن النسبة المذكورة تخص فئة الأميين من بين اللاجئين فقط، أي من لا يعرف القراءة والكتابة، وهي أصلا نسبة تدنو من الـ20 في المائة من بين مجموع العدد العام.²



أحد العناوين الخاصة باللاجئين السوريين في مؤسسة "بيلد" الإعلامية/ المصدر: موقع التلفزيون الألماني دوتشه فيله باللغة العربية، ومع ذلك صيغ العنوان وكأن الأمر يتعلق بمجموع اللاجئين، الأمر الذي يضعنا أمام أكثر من علامة استفهام، وعند مواجهة رئيس تحرير مجموعة "بيلد" الإعلامية، يوليان رايشلت، اعتبر الأخير أن عنوان المقال "ليس دقيقا" ولكنه ليس "خاطئا على الإطلاق"، وفق ما جاء في موقع "بيلد بلوغ" المتخصص

¹ هبة ياسين، الإعلام والتواصل الاجتماعي وتنامي خطاب الكراهية والتحريض ضد اللاجئين، 2017، على الرابط [https://lebanon360.org/mobile-article-](https://lebanon360.org/mobile-article-desc_156564)

desc_156564_الإعلام%20والتواصل%20الاجتماعي%20وتنامي%20خطاب%20الكراهية%20والتحريض%20ضد%20اللاجئين

² وفاق بنكيران، لماذا تلاحق السلبية صورة اللاجئين في الإعلام الألماني؟، موقع التلفزيون الألماني دوتشه فيله باللغة العربية، 2018، على الرابط <https://www.dw.com/ar/لماذا-تلاحق-السلبية-صورة-اللاجئين-في-الإعلام-الألماني/a-44777060>

في رصد ومراقبة "التجاوزات التحريرية" في وسائل الإعلام الألمانية، ويشدد الموقع على أن عنوان المقال يقوم على بتر المعلومات والإحصائيات الرسمية عن قصد من سياقها العام، متجاهلاً أن الأمر من جهة يتعلق بفئة الأيمن دون غيرهم، ومن جهة أخرى بطبيعة الفحص المعني الذي على ضوءه يحصل اللاجئ على شهادة "B1"، التي هي الدرجة الثالثة في ترابية فحص اللغة المفروض على اللاجئين للحصول على أوراق الإقامة وفرصة عمل، وبالتالي فإن مستواه يتطلب معارف أكبر من الفحوص التحضيرية "A1" و "A2".¹

موقع "بيلد بلوغ" المتخصص في رصد ومراقبة "التجاوزات التحريرية" في وسائل الإعلام الألمانية/ المصدر موقع التلفزيون الألماني دوتشه فيله باللغة العربية، في المقابل يعتبر موضوع التغطية الإعلامية مشروع بحث وحملة دعوية أدرجا خلال عام 2017، من أجل تعزيز حقوق اللاجئين في التواصل والبحث عن سبيل آمن في عملية المرور عبر الدول الأوروبية، وتعتقد الجهات المنسقة لهذا المشروع وهي الرابطة العالمية المسيحية للتواصل-منطقة أوروبا (WACC Europe) ولجنة الكنائس المعنية باللاجئين في أوروبا (CCME)، أن الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام للاجئين والمهاجرين تلعب دوراً مهماً في جس نبض النقاش العام، وفي آخر المطاف اتخاذ قرارات استقبال وقبول اندماج اللاجئين والمهاجرين في بلدان الاستضافة الجديدة، وعلى هذا الأساس تمت صياغة مشروع البحث هذا من أجل تقييم التغطية الإعلامية للاجئين والمهاجرين في أوروبا، لاسيما في اليونان وإيطاليا وإسبانيا وصربيا والمملكة المتحدة والسويد والنرويج، بالإضافة إلى ذلك نظمت مقابلات مع ممثلي

¹ وفاق بنكيران، مرجع سابق.

شبكة اللاجئين ووسائل الإعلام، شملت كذلك لقاءات تشاورية تهدف إلى جمع هذه المجموعات معا لمراجعة نتائج هذا البحث.¹ والتي كانت نتائجها الأساسية هي:²

- حوالي ثلاث أرباع من القصص التي تم تحليلها في هذا المشروع والتي تتحدث عن مواضيع تتعلق بالهجرة واللجوء، لا تشير بشكل دقيق إلى حالات فردية للاجئين والمهاجرين، ولا تعكس أصواتهم ولا تشير إلى تجاربهم؛

- إن فئة النساء بالإضافة إلى مجموعات أخرى من الأشخاص تظل غائبة وبشكل غير متواز في وسائل الإعلام التي تغطي أخبار اللاجئين والمهاجرين، فحوالي 21 بالمئة من المقالات تشير إلى اللاجئين أو المهاجرين، وهناك إشارة للمرأة ونسبة 27 بالمئة فقط، وهذا يعني أن كل الأشخاص الذين يشار إليهم في المقالات الإعلامية هناك فقط نسبة 6 بالمئة من النساء اللاجئات؛

- لا تعبر وظيفة المهاجرين ودورهم في نشرات الأخبار سوى عن نطاق واسع من التهميش، ففي الغالبية العظمى من الحالات (67 بالمئة من العينة الكلية)، المهاجرون واللاجئون هم موضوع القصة، وفي 3 بالمئة من الحالات يقدمون كخبراء، أما 43 بالمئة من المقالات التي تتحدث عن لاجئ أو مهاجر فإن مهنتهم غير مذكورة، في حين أن 27 بالمئة من الحالات "المهنة" الوحيدة التي تذكر هي مهاجر أو لاجئ.

وعلى هذا الأساس خرج هذا البحث بمجموعة من التوصيات للمهنيين من الإعلاميين والمنظمات الإعلامية في أوروبا أهمها:³

- التقيد بالمبادئ الأساسية الخمسة للصحافة الأخلاقية: الدقة والنزاهة والإنسانية.
- احترام المبادئ التوجيهية المكونة من خمس نقاط بشأن التغطية الإعلامية للهجرة: حقائق لا انحياز، معرفة القانون، إظهار الإنسانية، التحدث مع الجميع، تجاوز الكراهية.
- ضمان استخدام أفضل وأكثر اتساقا للإشارات إلى التشريعات الوطنية والدولية المتعلقة بحقوق الإنسان وقانون اللاجئين.
- مواصلة استخدام المصطلحات الصحيحة وتجنب استخدام المصطلحات التي لها دلالة سلبية في السياق المحلي.

¹ الرابطة العالمية المسيحية للتواصل ولجنة الكنائس المعنية بالمهاجرين في أوروبا، أحداث تغيير في الخطاب: كيف تصور وسائل الإعلام اللاجئين والمهاجرين في أوروبا، 2017، على الرابط http://www.refugeesreporting.eu/wp-content/uploads/2017/10/Highlights_RefugeesReporting-AR.pdf

² المرجع السابق.

³ المرجع السابق.

- إدراج المزيد من اللاجئين والمهاجرين كأفراد في قصص عن قضايا اللاجئين والهجرة، واستخدام المزيد من الاقتباسات المباشرة من اللاجئين والمهاجرين أنفسهم.
- ضمان إعطاء جميع مجتمعات اللاجئين والمهاجرين الذين يعيشون في أوروبا حيزاً مناسباً في الأخبار، وذلك لتحسين الاندماج الاجتماعي.
- البحث عن الأخبار التي تركز على المساهمة الإيجابية للاجئين والمهاجرين في البلدان المضيفة والترويج لها.
- تدريب الصحفيين لتعزيز الحساسية الثقافية من أجل تحسين التوازن الجنساني (بشكل متساو بين الرجال والنساء) في التغطية الإعلامية للهجرة.
- السعي لمزيد من التنوع في غرفة الأخبار، بما في ذلك المزيد من الأشخاص الذين لديهم خلفية لاجئين/مهاجرين في غرف الأخبار وفرق التحرير.

دراسات في التناول الإعلامي لقضايا اللاجئين حول العالم

هناك العديد من الدراسات التي تناولت المعالجة الإعلامية أو التناول الإعلامي لموضوعات اللاجئين، حيث عالجت مختلف سياقات تلك المعالجات ومختلف الضوابط المهنية والأخلاقية الواجب مراعاتها في هذه المعالجات، نذكر منها دراسة مؤسسة مهارات والشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان ووحدة البحث والتوثيق، بعنوان التغطية الإعلامية لقضايا اللاجئين (لبنان، الأردن، مصر والمغرب).

وانطلقت الدراسة من أن قضية اللاجئين والمهاجرين تعتبر من أكثر القضايا الإنسانية حساسية وأهمية وإهمالاً في الوقت عينه في الإعلام، فلقد عانت الغالبية العظمى من اللاجئين والمهاجرين من الاضطهاد والعنصرية والتجاهل أو الاستهداف في أحيان كثيرة، شارك الإعلام في هذا الوضع بالتجاهل وعدم وضع قضاياهم في دائرة الاهتمام والضوء، أو بإهمال نشر ثقافة قبول الآخر، والتوعية بحقوق اللاجئين والمهاجرين وضرورة معاملتهم إنسانياً، وأحياناً المباشرة أخرى بالتحريض المباشر وغير المباشر ضدهم، وهدفت هذه الدراسة إلى البحث في حجم ونوعية التغطية الإعلامية التي قامت بها وسائل الإعلام في لبنان والأردن ومصر والمغرب تجاه قضايا اللجوء والنزوح، وتجيّب الدراسة على الأسئلة التالية: ما هي وسائل الإعلام الأكثر تغطية لقضايا اللاجئين؟ وما هي أكثر المواضيع المرتبطة باللاجئين التي تمت تغطيتها وفي أي سياق؟ ومن يتحدث عن

اللاجئين وإلى أي درجة يبدو اللاجئون لاعبين أساسيين في هذه التغطيات؟ وهل ساهم الإعلام في إعطاء معلومات ذات صلة ومفيدة للاجئين؟¹ وقد خرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج والخلاصات أهمها:²

✓ رغم أن حملات التضامن مع النازحين حظيت باهتمام إعلامي إلا أن بوادر القلق والخوف من التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية وخاصة على اليد العاملة، بدأت تغير من مشاعر المجتمعات المضيفة (لبنان والأردن) تجاه هذا الواقع، مع انخفاض قدرة المجتمعات المحلية على تحمل هذه الأعباء؛

✓ برز تحول في الخطاب من مساند إلى مناوئ بسبب أعمال العنف والخوف من تزايد الجريمة (لبنان والأردن)، والواضح أن علاقة النازحين بالمجتمع المضيف بدأت تتأثر سلباً في الاتجاهين، ففي لبنان مثلاً أن 67% من السوريون يشعرون بأنه غير مرحب بهم وأنه لا قيمة للسوري في لبنان حيث يعامل معاملة سيئة؛

✓ احتل الجانب الخدماتي حيزاً كبيراً من التغطية، حيث ساهمت زيادة الضغط على الخدمات الأساسية من قبل النازحين في دفع بعض المجتمعات إلى المطالبة بإبعاد مخيماتهم عنها، لأنه لا يمكن لفقراء العيش عند فقراء؛

✓ بروز خطاب إعلامي عنصري تجاه النازحين السوريين (لبنان) "مراحيضهم تلوث البردوني"، إضافة إلى المطالبة بإبعادهم للحفاظ على السياحة خاصة في مناطق كانت تشبه بشانزليزيه لبنان (شارع الحمراء)، الذي تغيرت تركيبته الديمغرافية وأصبح مسرحاً "للتسول والمشاهد غير الراقية"، وأصبحت "سوداء" في إشارة مبطنة إلى تقاليد جديدة في اللباس، وهذا ما دفع العديد من النازحين إلى التعبير علناً عن رغبتهم بالهروب من الذل والعنصرية والانتهاكات والاعتداءات الجنسية، وعجزهم عن طلب الحماية من أحد؛

✓ لم يتح للاجئين الفرصة الكافية للتعبير عن قضاياهم رغم أن التغطية الإعلامية في وسائل الإعلام اللبنانية أعطت الفرصة للنازحين لطرح معاناتهم ومطالبهم ورغباتهم بشكل واضح، إلا أن هذه الفرص كانت ظرفية ومرتبطة إما بحدث أمني أو بعاصفة ثلجية أو برد فعل على تدابير حكومية لتنظيم اللجوء؛

✓ من الأكد أن التغطية الإعلامية ساهمت في تقديم معلومات عن النزوح كان لها انعكاساتها في حملات الدعم والتضامن من قبل المجتمعات المضيفة.

وفي دراسة أخرى لحسناء حسين بعنوان قضية اللاجئين في الخطاب الإعلامي الأوروبي: السياقات والأهداف، نشرت في مركز الجزيرة للدراسات. وتبحث الدراسة في العلاقات النسقية بين الممارسات الخطابية لوسائل الإعلام الأوروبي في معالجة قضية اللاجئين؛ الفارين من الحرب في سوريا والعراق باتجاه أوروبا؛

¹ مؤسسة مهارات وآخرون، التغطية الإعلامية لقضايا اللاجئين (لبنان، الأردن، مصر والمغرب)، 2016، ص4، على الرابط <http://maharatfoundation.org/media/1489/final.pdf> التغطية-الإعلامية-لقضايا-اللاجئين-

² المرجع السابق، ص91-92.

والممارسات الاجتماعية والأيدولوجية التي يولدها هذا الخطاب ويعيد إنتاجها، وتعالج الدراسة قضية اللاجئين الفارين من الحروب في الإعلام الأوروبي باعتماد نظرية الأطر الخيرية؛ التي تسعى إلى استقصاء محددات الخطاب الإعلامي وإبراز أهدافه في معالجته لهذه القضية، ونظرية "صناعة الإذعان"؛ التي تحدد استراتيجيات الخطاب الدعائي والأبعاد الأيدولوجية لبعض وسائل الإعلام اليمينية على وجه الخصوص، ودور منتج هذا الخطاب في تحديد قيم المعالجة الإخبارية لأزمة اللاجئين وقولبة وتنميط تمثالاته لـ"الأنا" و"الأخر"، وكذلك الثوابت والمرتكزات والرهانات التي تتحكم في الخطاب، وانطلقت الدراسة من حقل استفهامي في محاولة لفهم محددات الخطاب الإعلامي الأوروبي واستراتيجياته في معالجة قضية اللاجئين، ومن أبرز هذه التساؤلات: ما السمات الخيرية والدلالية التي اتسم بها الخطاب الإعلامي الأوروبي في معالجة قضية اللاجئين؟ وهل استراتيجيات الخطاب الإعلامي تختلف من حالة إعلامية لأخرى؟ وما أشكال الحقل المعجمي والبنية التركيبية؛ التي استند إليها هذا الخطاب؟ وما الدلالات التي يحملها وتداعياته على صورة اللاجئين المنقولة في الإعلام الأوروبي؟¹

توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات فيما يخص المعالجة الخيرية لتغطية أزمة اللاجئين في وسائل الإعلام الأوروبية، ومن أبرزها: طوفان النزعة الأيدولوجية في الخطاب الإعلامي لاسيما في وسائل الإعلام اليمينية، التي استندت بشكل ملحوظ في عملية بنائها إلى الثنائيات الضدية بين الأنا (تغطية عنصرية)، والهائم وأحادية الرأي الخاصة بالطبقة المسيطرة (تغطية دعائية مسيطرة)، بالإضافة إلى نزوع هذا الخطاب إلى التعقيم على تجارب وآمال ومعاناة هؤلاء، والتركيز على الجوانب المعلوماتية في معالجة الأزمة (تغطية مختزلة)، و"الخلط بين السياسة وعلم الوجود (الانتولوجيا)"، حتى في خطاب وسائل الإعلام اليسارية (الفرنسية على وجه التحديد)، والذي جرى توظيفه بشكل كبير في إطار النزاعات والمزايدات السياسية بين اليمين واليسار قبيل الانتخابات الإقليمية في البلاد، أو في إطار العقلانية الزائدة على حساب العاطفة والاهتمامات الإنسانية "حالة ألمانيا".²

كما نجد دراسة أخرى أعدها أنس نديم كردي من مركز حرمون للدراسات المعاصرة بعنوان اللاجئين السوريين والخطاب الإعلامي: دراسة لثلاث قنوات تلفزيونية عالمية ناطقة باللغة العربية. وهدفت الدراسة إلى معرفة كيفية تناول ثلاث محطات تلفزيونية لقضية لجوء السوريين إلى الخارج، إذ يفترض أن ثمة دور لهذه

¹ حسناء حسين، قضية اللاجئين في الخطاب الإعلامي الأوروبي: السياقات والأهداف، مركز الجزيرة للدراسات، 2016، على الرابط <http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2015/12/201512239408698397.html>

² حسناء حسين، مرجع سابق.

القنوات في تشكيل رأي عام حول هذه القضية، وهي قناة TRT التركية الناطقة باللغة العربية وقناة DW الألمانية، وقناة BBC، وقد اختار الباحث وسائل إعلام تلفزيونية، لأن التلفاز أضحى يصل إلى كل بيت بفعل التكنولوجيا الحديثة، يضاف إلى ذلك ما يميز التلفزيون عن بقية وسائل الإعلام بفعل عوامل الصورة المتحركة والصوت المتوافرين فيه، والتأثير الذي يحدثه في الجمهور، وجاءت التساؤلات على الشكل الآتي: ما مصادر الخبر التي اعتمدها القنوات لتغطية قضية اللاجئين؟ وما الأساليب الإخبارية التي اتبعتها القنوات التلفزيونية محل الدراسة لقضية اللجوء؟ وما اتجاه الأخبار الذي قدمته القنوات محل الدراسة بخصوص قضية اللجوء؟ وما النطاق الجغرافي لتغطية أخبار اللاجئين في القنوات محل الدراسة؟ وما أكثر الدول التي جرى التركيز عليها من بين الدول التي استضافت اللاجئين؟ وما أساليب الإقناع التي اعتمدها القنوات التلفزيونية للتأثير في المتابع لقضية اللاجئين السوريين؟ وما الأساليب التي اتبعتها القنوات محل الدراسة لإبراز قضية اللاجئين؟ وما الجوانب التي ركزت عليها القنوات التلفزيونية في تغطيتها لقضية اللاجئين السوريين؟ وما الفروق بين تغطية القنوات محل الدراسة من حيث الشكل والمضمون لقضية اللجوء؟ وهل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طرائق تغطية قنوات TRT/ DW/ BBC لقضية اللاجئين من حيث الشكل والمضمون؟ وهل توجد علاقة ارتباط خطية ذات دلالة معنوية بين وسائل الإقناع المتبعة في تقديم الخبر واتجاه الخبر.¹ وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث هي:²

✓ وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طرق تغطية قنوات TRT/ DW/ BBC لقضية اللاجئين من حيث الشكل والمضمون، ووجود علاقة ارتباط خطية ذات دلالة معنوية بين وسائل الإقناع المتبعة في تقديم الخبر واتجاه الخبر.

✓ احتلت القناة التركية المرتبة الأولى في تغطية أخبار اللجوء، إضافة إلى اعتماد النشرات الثلاث تغطية مختلفة من حيث الشكل، إذ اعتمدت القناة البريطانية على النشرات الطويلة الممتدة من 40 وحتى 60 دقيقة، بينما اعتمدت القناة التركية على النشرات المتوسطة، من 20 وحتى 40 دقيقة، في حين بينت الدراسة أن القناة الألمانية اعتمدت النشرات القصيرة التي تمتد حتى 20 دقيقة.

✓ ركزت القنوات الثلاث في أغلب نشراتها الإخبارية على زمن للخبر يمتد من دقيقتين وحتى أقل من ثلاث دقائق، ما يعني أن تغطية القنوات لم تقتصر على تقارير سريعة إخبارية، ولكنها خصصت زمن لا يستهان

¹ أنس نديم كردي، اللاجئين السوريون والخطاب الإعلامي: دراسة لثلاث قنوات تلفزيونية عالمية ناطقة باللغة العربية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2018، ص 3-4، على الرابط <https://harmoon.org/wp-content/uploads/2018/03/Syrian-refugees-and-media-discourse.pdf>

² المرجع السابق، ص 37-39.

به، لإعطاء صورة كاملة عن اللاجئين، والاعتماد أكثر على التحليل والتفسير، والإسهاب في معاناة هؤلاء اللاجئين وقصصهم.

✓ اعتمدت القنوات الثلاث على إعطاء الصورة المتحركة (الفيديو)، الزمن الملائم في تغطيتها لأخبار اللاجئين السوريين، أكثر من الصورة الثابتة، كما جاءت أخبار النشرة معظمها، في الثلث الأوسط، ما يعني أن قضية اللاجئين السوريين غير محورية لدى القنوات الثلاث، وهي ليست قضية مهمة وغير مهمة.

✓ اعتمدت القنوات التلفزيونية مفردة اللجوء في تغطيتها لقناة اللاجئين السوريين، وهو ما يعد موقفا إيجابيا لهذه الوسائل، وتصدرت الكلمات الإيجابية قائمة اهتمامات النشرة الإخبارية، بينما جاءت الكلمات السلبية في القائمة الأقل تكرارا، كما ركزت قناتا بي بي سي وتي آر تي، على المقدمة التلخيصية كثيرا، في حين ركزت القناة الألمانية على المقدمة الوصفية، وكان لافتا عدم اعتماد القنوات الثلاث على مقدمات أخرى بخلاف ذلك.

✓ اعتمدت القنوات الثلاث في مصادرها لاستقاء أخبار اللاجئين من المراسلين، ما يعطي دلالة على الاحترافية والمهنية لدى القنوات، كون المراسل هو عمود الوسيلة الإعلامية، ويعطي صدقية عالية للقنوات، لاستقاء معلوماتها الخاصة بعيد من الشائعات والمغالطات، كما كانت للأخبار التي تحمل صفة الجدة، النصيب الأكبر في تغطية أخبار اللجوء، ما يعكس حرص القنوات الثلاث على اعتماد قيمة الجدة، التي تعد من أهم عناصر الخبر لأن الخبر القديم يفقد قيمته، خصوصا في ظل التكنولوجيا السريعة في هذا العصر.

✓ كان الحدث والشخصية والموضوع محور التركيز في الخبر في قناة بي بي سي ودوتشيه فيله، ما يعني تناول الموضوع من جوانبه كافة، بينما نجد أن القناة التركية ركزت على الشخصية في تناول أخبار أكثر، وقد يرجع ذلك إلى تسليط الضوء على الاتفاقات الموقعة بين تركيا والاتحاد الأوروبي بخصوص اللاجئين، وأبرزها اتفاق "إعادة اللاجئين".

✓ سلطت القنوات الثلاث الضوء على اللاجئين داخل البلد خصوصا، بإجمالي واحد وثلاثين خبرا من أصل اثنين وخمسين، وكان الحديث عن الاندماج وتمكين اللاجئين الأكثر استخداما خصوصا في القناة الألمانية، كما خاطبت القنوات الثلاث الجمهور بطريقة عقلانية، إذ ركزت على الأساليب العقلية، وتصدرت القناة البريطانية ذلك؛

✓ اتخذت قناتا بي بي سي ودوتشيه فيله اتجاها سلبيا في تغطية قضية اللاجئين السوريين، بينما اعتمدت القناة التركية الاتجاه الإيجابي، وإن لم يكن أيضا بنسب غالبية، ويتعارض هذا الاتجاه مع النسق العام للقنوات الذي بدأ إيجابيا من خلال الاعتماد على مفردات تحمل طابعا إيجابيا، والاستخدام المتكرر للحديث عن الاندماج.

✓ كانت أولوية النشرة جغرافيا هي القارة الأوروبية إذ حصدت سبعة وثلاثين خبرا من أصل اثنين وخمسين، وجاءت القناة التركية في القنوات، بينما لم تحصد قارتا أفريقيا وأوقيانوسيا أي تكرار.

كما نجد دراسة أخرى لمنال المزهرة بعنوان التغطية الصحفية لأزمة اللاجئين السوريين في الأردن: دراسة تحليلية على الصحف اليومية: الرأي، الدستور والعرب اليوم. وهدفت الدراسة إلى الكشف عن أسلوب تغطية الصحافة الأردنية لأزمة اللاجئين السوريين في الأردن، ومعرفة المواضيع التي تم تغطيتها حول هذه الأزمة، والأنماط التي استخدمت في تغطية المواضيع المتعلقة بها، واشتملت عينة الدراسة الصحف: الرأي، الدستور والعرب اليوم، وأشارت النتائج إلى ضعف الاهتمام بتغطية أزمة اللاجئين السوريين في الأردن في الصحف الأردنية، وضعف عرض جوانب الأزمة المختلفة التي خلفتها بشكل خاص، حيث تركزت التغطية على مواضيع تتعلق بالزيارات للمخيمات والمساعدات المقدمة للاجئين، وتقارير عن أعدادهم واستمرار تدفقهم، والاجتماعات التي تعقد لمتابعة أوضاعهم، وافتقرت إلى التفاصيل وإلى طرح التبعات المختلفة التي خلفتها هذه الأزمة المرتبطة بشكل مباشر بالمواطن الأردني بشكل عام، كما أظهرت الدراسة أن الأنماط الصحفية المستخدمة في طرح هذه الأزمة اقتصرت على الأخبار والتقارير الإخبارية، بينما أهملت الاعتماد على التقارير والتحقيقات والمقالات، التي ربما تساهم مساهمة فعالة في معالجة بعض المشكلات التي يواجهها اللاجئون السوريون في الأردن في عدة قطاعات، كالتعليم والصحة والبيئة وغيرها.¹

خاتمة:

في الأخير لا يمكننا إلا أن نقول أن الإعلام بوسائله المتنوعة وبأشكاله المختلفة يقوم بدور كبير ومهم في قضايا اللاجئين، وعليه مسؤولية كبيرة في تقديم الصورة الإيجابية لهؤلاء اللاجئين، ولكن وكما يؤكد ذلك الموقع الرسمي لليونسكو باللغة العربية "هناك للأسف نقص في المعلومات الدقيقة المتاحة للجميع في الإعلام، حيث تهيمن الروايات والمعلومات الخاطئة، ما يزيد من صعوبة هذه التحديات، ففي أحسن الحالات التي يتطرق فيها الإعلام لقضية اللاجئين، يصور اللاجئون على أنهم ضحايا ويسلط الضوء على الآثار الإنسانية المترتبة على قضيتهم، أما في أسوأ الحالات التي يتم فيها تناول هذه القضية، فيركز الإعلام على التحديات الناجمة عن التدفق المفاجئ للغرباء والتهديد المصاحب لذلك، ولكن يكاد الإعلام لا يذكر الفوائد المتعددة التي

¹ منال المزهرة، التغطية الصحفية لأزمة اللاجئين السوريين في الأردن: دراسة تحليلية على الصحف اليومية: الرأي، الدستور والعرب اليوم، دورية إعلام الشرق الأوسط، جامعة جورج ستايت، 2016، على الرابط https://jmem.gsu.edu/files/2014/07/JMEM_2016_Arabic_Al-Rai_Al-

يقدمها هؤلاء الغرباء للدول المستضيفة، كما لا يذكر تجارب الأفراد المتعلمين التي لا تعد ولا تحصى، والمتلهفين للعمل والإنتاج، بحثا عن حياة جديدة، وبالتالي المساهمة الإيجابية في مجتمعاتهم الجديدة".

قائمة المراجع :

- 1- الأمم المتحدة، اللاجئون، الموقع الرسمي على الأنترنت، 2015، على الرابط
<https://www.un.org/ar/sections/issues-depth/refugees/index.html>
- 2- اتحاد اللاجئين في كينيا، إدارة شؤون اللاجئين في كينيا، نشرة الهجرة القسرية، برنامج دراسات اللاجئين والمجلس النرويجي للاجئين والمشروع العالمي المعني بأوضاع النازحين داخليا، 2003، على الرابط
<https://www.fmreview.org/sites/fmr/files/FMRdownloads/ar/pdf/NHQ16/NHQ16.pdf>
- 3- أنس نديم كردي، اللاجئون السوريون والخطاب الإعلامي: دراسة لثلاث قنوات تلفزيونية عالمية ناطقة باللغة العربية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2018، على الرابط
<https://harmoon.org/wp-content/uploads/2018/03/Syrian-refugees-and-media-discourse.pdf>
- 4- إيهاب حسين الشويخ، الدبلوماسية الأوربية تجاه قضية اللاجئين العرب كما تعكسها شبكة يورونيوز الإخبارية، رسالة ماجستير، أكاديمية الإدارة والسياسة، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2016.
- 5- حسن محمد عبد الرحمن أبو حشيش، الإعلام وقضية اللاجئين، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر حول اللاجئين نظمتها وزارة اللاجئين في غزة، الجامعة الإسلامية بغزة، 2007، على الرابط
<http://site.iugaza.edu.ps/hhashesh/extra/الإعلام-وقضية-اللاجئين/>
- 6- حسناء حسين، قضية اللاجئين في الخطاب الإعلامي الأوروبي: السياقات والأهداف، مركز الجزيرة للدراسات، 2016، على الرابط
<http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2015/12/201512239408698397.html>
- 7- الرابطة العالمية المسيحية للتواصل ولجنة الكنائس المعنية بالمهاجرين في أوروبا، إحداث تغيير في الخطاب: كيف تصور وسائل الإعلام اللاجئين والمهاجرين في أوروبا، 2017، على الرابط
http://www.refugeesreporting.eu/wp-content/uploads/2017/10/Highlights_RefugeesReporting-AR.pdf
- 8- منال المزهرة، التغطية الصحفية لأزمة اللاجئين السوريين في الأردن: دراسة تحليلية على الصحف اليومية: الرأي، الدستور والعرب اليوم، دورية إعلام الشرق الأوسط، جامعة جورج ستايت، 2016، على الرابط
https://jmem.gsu.edu/files/2014/07/JMEM_2016_Arabic_Al-Rai_Al-Dustor_Mazahra.pdf

- 9- مؤسسة مهارات وآخرون، التغطية الإعلامية لقضايا اللاجئين (لبنان، الأردن، مصر والمغرب)، 2016، على الرابط <http://maharatfoundation.org/media/1489/tغطية-الإعلامية-لقضايا-اللاجئين-final.pdf>
- 10- هبة ياسين، الإعلام والتواصل الاجتماعي وتنامي خطاب الكراهية والتحريض ضد اللاجئين، 2017، على الرابط https://lebanon360.org/mobile-article-desc_156564_الإعلام%20والتواصل%20الاجتماعي%20وتنامي%20خطاب%20الكراهية%20والتحريض%20ضد%20اللاجئين
- 11- هيثم محمد أبو الغزلان، دور الإعلام الفلسطيني في تبني قضايا اللاجئين الفلسطينيين، موقع شبكة أخبار اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، 2012، على الرابط <http://laji-net.net/arabic/default.asp?contentID=9159>
- 12- وفاق بنكيران، لماذا تلاحق السلبية صورة اللاجئين في الإعلام الألماني؟، موقع التلفزيون الألماني دوتشه فيله، 2018، على الرابط <https://www.dw.com/ar/الإعلام-الألماني/a-44777060>

رقمنة الإبداع الثقافي من أجل ثقافة ديمقراطية

The role of digital space in the democratization of cultural creativity

د.نزيمه مصباح السعداوي/جامعة تونس

Dr. Neziha Mesbah saadaoui/ university of Tunis

45

ملخص:

تطرح هذه الورقات إشكالية الإبداع الثقافي في خضم تحولات المجتمع الهائلة، وتبحث في دور الفضاء الرقمي في تكريس الديمقراطية الثقافية باعتبار دور هذه الأخيرة في خلق ثقافة معرفية وفكر نقدي من خلال حرية النفاذ للفعل الثقافي. إذ شهدت جل المجتمعات في الآونة الأخيرة انتشار ممارسات ثقافية جديدة بفضل انتشار التقنيات الاتصالية الحديثة التي خولت عبر المدونات والمنتديات من فتح فضاء شاسع أمام الخلق والإبداع وفتح المجال لأشكال تعبيرية جديدة لدى فئة الشباب كموسيقى الراب والفنون التشكيلية باستعمال تقنية ثلاثية الأبعاد...

يبحث يعالج هذا العمل في أهمية المعطى الرقمي الذي خول إمكانية تفاعل المجتمع المدني عبر المشاركة في الأنشطة الثقافية وانتشارها على أوسع نطاق وهو بذلك يعتبر أداة قوية ذات مشاركة فعالة وعفوية وبالتالي فتح الآفاق أمام أشكال تعبيرية جديدة.

الكلمات المفتاحية: الإبداع الثقافي، الرقمنة، الديمقراطية الثقافية، الفضاء الافتراضي، التفاعل.

ABSTRACT

This article offers some reflections on the approach to cultural democratization which aims strengthen artistic and cultural creation in order to realize critical knowledge and offer the opportunity to each creator to disseminate his work to a wide audience through the virtual space.

First of all, we make a sociological focus that aims to explain the place of cultural creation in the history of humanity. Secondly, we analyze the role of the digital space in the realization of cultural democracy

Key words: Cultural creation, democratization of culture, digital, virtual space, cultural interaction, emancipation

مقدمة :

يعيش العالم على وقع تحول رهيب لم تسلم منه أدق جزئيات حياة البشر، بحيث أصبح يصعب مع هذا التحول المذهل أخذ مهلة تأمل للتفكير في إمكانية الانخراط في هذا التيار أو الهروب منه، فكل أشكال التفاعلات بين الأفراد والمجموعات تنضوي تحت إلزامية التطور والانفتاح والانصياع لنسق التجديد والإضافة في شتى الميادين حتى لا يبقى الفاعل الاجتماعي خارج الزمن ويحكم عليه بالفناء.

فكل الأشكال التعبيرية والأنماط الفكرية تعمل جاهدة لكي تواكب هذا التحول وهو ما نلمسه في مختلف أشكال الإبداع الثقافي الذي انخرط في هذا السياق وأخذ أشكالاً جديدة وفقاً لهذه لتحويلات الهائلة ومتسماً في ذلك بطبيعة المرحلة.

فمن مرحلة الإبداع الشفوي إلى مرحلة الإبداع الرقمي مرورا بفترة التصنيع، شهدت الممارسات الثقافية أشكالاً مختلفة واعتمدت آليات متعددة من أجل الوصول إلى متلقٍ.

إن تناول إشكالية "الإبداع الثقافي"، تبدو مسألة في غاية الأهمية خصوصا في خضم ما تشهده المجتمعات من تحولات هائلة على جميع الأصعدة، فقد كن الفعل الثقافي ولأزال خير شاهد على تحولات المجتمعات البشرية عبر التاريخ، فهو يعكس طبيعة المجتمع من خلال مختلف أشكال التعبير وأساليب التفاعل بين الأفراد والمجموعات، وهو ما سجلته البشرية خاصة مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حيث كان للتطور التقني الصناعي الأثر الكبير في مختلف المستويات خاصة مجالات الاتصال والتواصل مما أدى إلى تنشيط حركة التفاعل داخل المجتمعات.

ومع ظهور الثورة الرقمية، أصبحنا نتحدث عن طبيعة مجتمعات جديدة كمجتمع المعلومات حيث تمثل المعلومة قوة فاعلة، أو المجتمع الافتراضي إذ يمثل الفضاء الافتراضي المساحة الحرة لكل التفاعلات بين الأفراد والمجموعات... ومع تغيير في طبيعة المجتمعات تظهر ثقافة جديدة تعبر عن هذه التحويلات. لقد ظهرت الثورة الرقمية محدثة ذلك تعبيرا عميقا وجوهريا في أنماط الإنتاج والتوزيع والسلع والخدمات الثقافية وكذلك أساليب وطرق الاستفادة منها وبالتالي فاعلين جدد. في هذا السياق سنحاول البحث في ثلاث مسائل رئيسة ذات صلة بما شهده الإبداع الثقافي عبر تطور البشرية.

أهم الإشكاليات :

- سنبحث في عمق أزمة الفعل الثقافي في خضم التحويلات المجتمعية؟
- ما مصير الإبداع الثقافي مع هذه التغيرات في نسق الإنتاج الفكري وآليات نشره؟ هل لازالت الثقافة مؤشرا على اختلاف الشعوب وتطورها؟

- هل الحديث عن أزمة الثقافة هو حديث عن أزمة المجتمع؟ وما الذي دفع البعض إلى الحديث عن أزمة الثقافة؟ هل هي إشارة منهم إلى اندثار الإبداع الفني؟ أم إلى تدهور الأثر الفني؟
- كما سنطرح قضية الدور الذي تلعبه الرقمنة في نشر الثقافة الديمقراطية، هل يمكن أنتكون الثورة الرقمية حافزا لإعادة إحياء الإبداع الثقافي؟ وهل يمكن أن يلعب الرقمي دورا في نشر هذا الإبداع والانفتاح على الآخر والتعريف بالخصوصية الإبداعية لكل فاعل ثقافي؟

الإبداع الثقافي: لحظة تاريخية في حياة البشرية

يأتي الإبداع الثقافي في الكلمة شعرا ونثرا كما يقوم في اللون والتشكيل وفي المادة المكتوبة التي تصور الحياة كالقصاص والمسرحيات ويكون في إبداع الحركة والموقف والصورة. وفي البناء الفكري فلسفة وإنتاج فكر وفي الموروثات الشعبية والتزيين وتكوينات الخط وهو بكل هذه الأشكال يعطي لمحة عن طبيعة المجتمع الذي يحتضنه.¹

عرف الإبداع لثقافي تحولات عبر العصور غيرت مساره على مستوى الإبداع والتلقي، كانت الشفوية انطلاقة الأولى إلى أن جاء عهد التدوين ليسجل مرحلة جديدة في تطوره. لم يتوقف هذا التحول عند مستوى معين، حيث يشهد أكبر انبثاق من خلال تفاعله مع التطور الهائل في مجال التكنولوجيا والاتصال. ولئن اعتبر العمل الثقافي بمختلف تجلياته مقوما أساسيا من مقومات الفعل الإنساني، فهو نتاج تلتقي فيه لغة الفكر لترتقي بفعل اليد إلى ما هو ترجمة لرؤية الفنان وموقفه إزاء المعطيات الحسية المادية والوجدانية القائمة بين الفكر والمادة.

فالفن بذلك معطى مادي وحسي يتوق إليه المبدع، من حيث يجد فيه سبيلا يفرض ناموسا يتسنى له من خلاله إنشاء فعل الإبداع والخلق الذي يحققه التآلف داخل العلاقة الجدلية القائمة بين الفكر والمادة، وهي بذلك علاقة انفعالية تلازمية تربط الفنان بوشائج روحية عميقة، وروابط حسية تستمد ماهيتها من مرجعية مادية بصرية محسوسة أو مرجعية فكرية.

ولكن سؤال ما الإبداع الثقافي يتطلب دائما البحث في سبيل تطويره فكريا وماديا حسب العصر ورهاناته، إذ تغيرت المسارات والآليات في مجال الإبداع الثقافي وبالتالي المفاهيم والمصطلحات.

مرحلة التصنيع وكونية الثقافة:

من الثقافة الخصوصية إلى الثقافة الكونية، أصبحت كل الممارسات تلقب بالعمل الثقافي وانتقلنا من التميز الثقافي إلى التعميم الثقافي وأخذ الإبداع الثقافي أشكالا جديدة معبرة أكثر ما يمكن عن طبيعة التحول

¹اليونسكو(2005) اتفاقية حماية تنوع أشكال التعبير الثقافي وتعريفها . http://www.unesco.org/ar/convention_2005 .

المجتمعي التي تميل في أغلبها إلى الطابع لاستهلاكي حيث العمل على تنوع المادة الثقافية وتكثيفها نزولاً تحت طلب السوق، فانتقلت بذلك البشرية من مرحلة الإبداع إلى مرحلة التصنيع ومن مستوى تذوق الأثر الفني إلى مستوى استهلاك الإنتاج الثقافي ومن مرحلة النوع الثقافي إلى مرحلة الكم الثقافي ومن الثقافة المعرفية (العالمية) إلى الثقافة الشعبية التي تلامس أكثر ما يمكن من المستهلكين، وانتقلنا من المعنى الثقافي إلى القيمة المادية .

هذا التحول لا نلمسه فقط في الإبداع الثقافي بل نلاحظه في أفضية التفاعل الثقافي الذي انتقل هو الأخير (بدوره) من المسارح والمعارض إلى شاشات التلفزيون والاسطوانات. لقد شغلت المسألة بال الكثير من الباحثين خصوصاً في مجال علم اجتماع الثقافة، حيث تطرق الباحث الفرنسي (Edgard Morin) إلى أزمة الثقافة

التي استفحلت خاصة مع موجة التصنيع في القرنين التاسع عشر والعشرين، كما أشار إليها المفكر الألماني Thedor Adorno وكذلك Horkheimer. عندما تحدثا عن تصنيع الثقافة أو ثقافة التصنيع، وهو مصطلح صاغه الفيلسوف الألماني وعالم الاجتماع النقدي Thedor Adorno (1895-1973)¹. وهو من أهم مصطلحات النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. ففي كتاب "جدل التنوير" (1947) ظهر لأول مرة مفهوم جديد في علم الاجتماع النقدي أطلق عليه Adorno "تصنيع الثقافة"، حيث رأى بأن هناك مصانع تنتج ثقافة، بالرغم من أن الثقافة لم تكن يوماً ما إنتاجاً صناعياً، كما هي اليوم.

لقد كانت مسألة التصنيع الثقافي سبباً في نزاع صفة الإبداع عن كل عمل ثقافي واستبدال بالإنتاج من أجل توفير أكثر ما يمكن من السلع الثقافية التي غزت السوق، أي البحث عن الوفرة عوض الجودة. وتحول الإنتاج الثقافي والفني الذي يضخه المجتمع الصناعي التقني المتقدم إلى آلية مستوعبة للمجتمع الصناعي المغترب وفكره التخديري الذي يتمثل في ثقافة شعبية جماهيرية تشبع حاجات جماعية ولكنها تتحول إلى وسيلة هيمنة وتسلط وذلك بسبب تطور آلي لتصنيع، تطوراً لاعقلانياً وسيطرتها غير المباشرة التي تظهر في المشاركة الجبرية للملايين في عملية الإنتاج والاستهلاك وموافقهم عليها دون مقاومة.

وبذلك، كان لوسائل الإعلام والاتصال الحاضنة لبث مثل هذه المنتوجات، الآلية لترويجها لأكثر ما يمكن من المستهلكين، والخطورة التي تسببها تكمن في السلع الثقافية التي تخلق حاجات نفسية لا يمكن إشباعها إلا من خلال المنتجات الصناعية، الشيء الحاسم، كما يقول Thedor Adorno ليس بيع الثقافة والفنون والاتجار بها، وإنما الطريقة التي تتغير بها الفنون والثقافة لتصبح منتجات سلعية تعرض كبضاعة مصنعة، وكذلك تغير الثقافة لتتحول إلى بضاعة شعبية رائج².

¹ ادورنو والنظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، ابراهيم الحيدري،

إن صياغة Adorno لمفهوم "الثقافة المصنعة" أعطتها بعداً أيديولوجياً شمولياً يبيّن بوضوح قوتها وسيطرتها وآثارها التي تظهر في المشاركة الجبرية للملايين في عملية الإنتاج والاستهلاك وموافقتهم عليها دون مقاومة.

من الثقافة المعرفية إلى الثقافة الجماهيرية

تاريخياً، لم تكن الثقافة يوماً بضاعة أو إنتاجاً صناعياً واسعاً كما هي اليوم، فمنذ القديم وحتى منتصف القرن الماضي (ق 20) بقيت الثقافة بناءً فوقياً حتى في عصر التنوير واتخذت محتوى ارتبط بالبنية الفوقية وأنتجت تاريخاً وأدباً وفنونا، ولكن منذ الحرب العالمية الثانية اندمجت التكنولوجيا بالثقافة، عن طريق الإنتاج الآلي الواسع وإعادة الإنتاج والاستهلاك، وأصبحت شيئاً واحداً لا يمكن التمييز بينهما.

إن عولمة الثقافة عن طريق الزعة الاستهلاكية ووسائل الاتصال والإعلام وهيمنة الشركات متعددة الجنسيات جعلت من الصعب التمييز بين الإنتاج الصناعي ومحتواه الثقافي وحوّلته إلى بضاعة. لقد تحوّل الإنتاج الثقافي والفني إلى آلية مستوعبة للمجتمع الصناعي وفكره التخديري الذي يتمثل بثقافة شعبية جماهيرية تشبع حاجات جماعية ولكنها تتحول إلى وسيلة هيمنة وتسلط وذلك بسبب تطور التكنولوجيا تطوراً لاعقلانياً وسيطرتها غير المباشرة على الناس. فالثقافة المصنعة تُنتج اليوم بمصانع تباع سلعاً ثقافية مغرية تهدف إلى التلاعب بأفراد المجتمع وجعلهم سلبيين وعاجزين عن طريق استهلاك المتع السريعة التي تبثها وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي تنتزع الأفراد من واقعهم وتجعلهم يركضون لاهثين وراء بضائع المدينة البراقة بغض النظر عن ظروفهم المعيشية وحاجتهم إليها. والخطورة التي تسببها تكمن في السلع الثقافية التي تخلق حاجات نفسية لا يمكن إشباعها إلا من خلال المنتجات الصناعية.

تحوّلت الثقافة في المجتمع الصناعي اليوم إلى بضاعة واتخذت معنيين، الأول له محتوى واضح ينتج وباستمرار تواريخ وأدباً وصوراً وموسيقى من أجل عرضها للبيع في السوق. أما الثاني فيتمثل في الإنتاج الآلي الواسع وإعادة الإنتاج والتوزيع بطريقة تكنولوجية، بحيث أخذت التكنولوجيا تندمج بالثقافة بالتدرج حتى أصبح تأثيرها واضحاً وأخذت تنتج أفلاماً وأجهزة استنساخ وتسجيل أغانٍ وألحان كاسيتات ودسكات وغيرها. وهذا يعني أن محتويات الثقافة أنتجت بوسائل تكنولوجية وأعيد إنتاجها وتوزيعها بنفس الطريقة.

يرى Bourdieu Pierre أن آليات التلفزيون المعقدة تشكل خطراً على مستوى الإنتاج الثقافي فحسب، بل أصبحت تهدد حياة السياسة والديمقراطية أيضاً. والمشكلة، كما يقول Bourdieu أن التلفزيون ومعه الصحافة هي وسائل مدفوعة بمنطق الركض واللاهث وراء مزيد من الجمهور.¹ وفي هذا السياق نفسه يقر الباحث الفرنسي بوجود مصطلح جديد في إطار الثورة الصناعية وهو الثقافة الشعبية.

تغمر الأسواق اليوم ثقافة شعبية تجارية لا تنبع من حاجة الجماهير التي تستهلكها، وإنما من شركات رأسمالية كبرى عابرة للقارات تصنعها وتسوّقها وتدعمها وسائل إعلام ودعاية مبرمجة ومكثفة ومغرية تجعل

¹ Sur la télévision, Pierre Bourdieu, 1996 <http://www.dailymotion.com/video/XK/FK>, consulté le 23 :02 :2017

الإنسان يركض وراءها، ويعمل متخصصون من فنيين وصحفيين ومصورين بالدعاية والإعلان لتجاري الأخاذ لتسويق هذه الثقافة الشعبية وترويجها وغسل العقول وتشكيلها وفق مقاسات استهلاكية معينة تساعد على خلق ميول لتقبل البسيط والساذج وحتى الرديء وتشكيل عقل شعبي جمعي.

تلتقى الثقافة الشعبية المصنعة دون تفكير وحسّ جمالي رفيع وتسيطر على آليات توجيهه وتحريكه اجتماعيا وسياسيا ضد مصالحه وبوسائل وأساليب ناعمة تدغدغ عواطفه وتثير غرائزه لأكثر بدائية. وكنموذج آخر للثقافة الشعبية المؤجلة يأتي Adorno أمثلة عديدة، منها موسيقى الجاز في أميركا. فموسيقى الجاز لا تبقى مصدر اللربح فحسب، ل أنها لا تستطيع رفع الاغتراب الذي يعاني منه الزوج، بل وتقوم بتقويته وترسيخه، فالجاز أصبح بضاعة بالمعنى المطلق للكلمة وذلك لأن وظيفته الاجتماعية لاتعدو أن تجعل المسافة التي تفصل بين الفرد المغترب وحضارته قصيرة وبأيدولوجية أقل ما يقال عليها شعبية.

إن لجاز في الحقيقة يوصل شعورا خاطئا يتمثل بالعودة إلى الطبيعة، في الوقت الذي ينبغي أن يكون الجاز نتاجا اجتماعيا رقيقا يحوّل الفنتازيا الفردية إلى فنتازيا اجتماعية، ومن جهة أخرى، فإن تنوع موسيقى الجاز إنما يعكس تحررا جنسيا كاذبا وتتحول رسالته إلى عملية "إخصاء"، ل أنه يربط بين مايعدبه من تحرر و ما يقوم به من رفض عند Adorno، كالنظرية، يجب أن ترتفع على الوعي السائد للجماهير، لأنّ البحث عن العواطف الحقيقية والعميقة لايمكن التحقق منه في المجتمع الاستهلاكي المعاصر بسهولة.

إن الثقافة المصنعة، بحسب Adorno لاتشبع بكل بساطة حاجات المستهلكين، وإنما تدفعهم إلى الاندماج في النسق الاجتماعي العام، الذي يرتبط بالثقافة السائدة، التي تتجدد باستمرار وتندمج بالنسق العام بحيثل اترك لعفوية الجماهير أي أثر يذكر، وتجعلهم يتحركون في فضاء لا يستطيعون فيه التمييز بين التذوق والاستهلاك. لقد عمل تصنيع الثقافة على إيجاد إمكانية جديدة تتمثل في عدم التمييز بين محتوى العمل الفن وصناعة العمل الفني وذلك نظرا لما توفره التكنولوجيات الجديدة للاتصال والرقمنة الإلكترونية.

كما أن الشعبية التي تطوّرت بصورة عفوية من قبل الجماهير هي مشكلة بذاتها، لأن الجماهير في الواقع لاتتكون من أفراد مستقلين، وإنما من ذوات مدفوعين، بتبعيتهم لاقتصادية وبشروط العمل السائدة في المجتمعات الصناعية الليبرالية، إلى الركض وراء التيار الجارف مثل ما يحدث مع موسيقى التسلية المخادعة والمنتوج الفني الموجه.

تعد الثقافة الشعبية المصنعة المنتشرة على نطاق واسع خطراً على الفنون الرفيعة ذات الجوهر الفكري والفني الرفيع. فعلى العكس مما تشبعه الثقافة المصنعة على نطاق واسع من سلع، فإن الحاجات الاجتماعية والنفسية الحقيقية هي الحرية والاستقلالية والإبداع التي تشيع السعادة الحقيقية. بواسطة التقنيات الجديدة للثقافة الجماهيرية أصبح الفن "البرجوازي" عتيقا ولم تعد له تلك "الهالة والفرادة والأصالة" الفنية، وهذا في الحقيقة مؤشر على انحطاط الذوق الجمالي الذي كان يقوم على النظرة الطبيعية والمباشرة وكذلك

على الرصيد الاجتماعي لأي عمل فني. من ذلك ظهر الفن المجزأ إلى الوجود والموجه إلى الجماهير، كما في الفيلم والتصوير، الذي يطلق العنان للفئات غير الواعية، ويجعل من عناصر الواقع الجديدة في تناول الجميع تقريبا، ومن منظور زمني ولكنه مشوه¹.

من هنا يبدو لنا أن Adorno لا يهتم بالفن الجماهيري بقدر ما يهتم بصحة واستقلالية العمل الفني وتحرره من تصنيع الثقافة وتسطيحها الذي يظهر في الفنون الرفيعة وفي الموسيقى على وجه الخصوص، التي تمنح للفنون الحس المعاصر والحديث وذلك برفضها الواقع من أجل إعادة إنتاجه وتغييره وخلق "الفن الأصيل" الذي يحمل إمكانية هدم ما هو قائم، والذي يمثل جميع أنواع الإبداع الفني. هذه الأزمة التي أثرت لدى عديد المفكرين مع انبلاج الثورة الصناعية هل لازالت تحمل نفس الصدى مع ظهور الثورة الرقمية؟ هل أن الرقمي يمثل امتدادا لأزمة الإبداع الثقافي بإمكانه أن يكون منعرجا جديدا لإعادة الاعتبار للفعل الثقافي.

الرقمنة ودورها في ديمقراطية الفعل الثقافي

إن تطور تكنولوجيا النظم الرقمية في مجالات الاتصال والمعلومات زاد بشكل كبير في فرص تنوع مصادر المعرفة والمعلومات وسهل اكتساب معارف إضافية، مثلما أتاح إمكانية الانفتاح الحر، فمع تغير ظروف المجتمعات وبزوغ عصر جديد قائم على التكنولوجيا الحديثة التي أفرزتها الثورة الرقمية ظهرت مجتمعات المعرفة القائمة على قوة المعلومة وسلطة الصورة، ساهمت الثورة الرقمية في فسخ المجال شاسعا أماما لإبداع الثقافي من خلال إطلاق الحريات ودعم المواهب والإبداعات والمبادرات، فوجد الإبداع الثقافي في تكنولوجيا المعلومات ضالته بعد أن عمل التصنيع على مسح كل بعد إبداعي من الأعمال الثقافية، فقد تغير فضاء الإبداع الثقافي وأصبح الفضاء الرقمي هو المجال بامتياز للخلق والإبداع، فضاء رقمي يتسم بالليونة والتنوع والسرعة والانفتاح والانسحاب، فوسائل الاتصال الرقمي والإعلام هي النافذة الأساسية التي يطل منها الإنسان على العالم ويرى من خلالها ثقافته باعتبارها الطريق إلى المعرفة والأداة الفعالة في التنمية وتطوير الوعي.

فضاء الإبداع الرقمي وكسر مفهوم المتلقي السلبي

فتحت الرقمنة آفاقا جديدة للتنوع في الأشكال التعبيرية الثقافية، كما مكنت الثورة الرقمية من انفجار الطاقات الإبداعية فتغيرت أساليب التعامل مع الإبداعات الفنية عبر الوسائط الرقمية وانتقلنا من التفاعل الواقعي مع الإبداع الفني إلى التفاعل الافتراضي، ووجدت الثقافة في تكنولوجيا المعلومات أداة جديدة ذات إمكانات غير مسبوقة في التنمية والانتشار، كما رأت التكنولوجيا في الثقافة فضاء رحبا وبكرا يسمح لها بتمدد غير مسبوق في نسيج المجتمعات الحديثة، الأمر الذي أفرز تحولات كبرى في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية وهو الذي مهد لتحقيق الثقافة الديمقراطية.

¹¹ Adorno, Theodor W. et Horkheimer, Max. (1947, 1974). La raison dialectique. Paris : Gallimard

كما تغيرت طبيعة ما أطلق عليه الصناعة الثقافية استخدام لتكنولوجيا المعلوماتية والاتصالية الرقمية الراهنة بخلق فضاء رحب مفتوح وأضيفت عليها خصائص تفاعلية أنهت فكرة الاتصال في اتجاه واحد من المرسل إلى المتلقي وهو ما كانت تتسم به وسائل الاتصال الجماهيري التقليدي إذ أصبح الاتصال في اتجاهين تتبادل فيهما أطراف عملية الاتصال والأدوار ويكون لكل طرف القدرة والحرية على عملية الاتصال. ومن ذلك نجد الفنان في حاجة إلى الآخر، أي إلى ذلك المتلقي للأثر الفني، ليساهم في تجليات هذا العمل والتي لا ربما كانت خفية على الفنان ذاته في اللحظة الإنشائية التشكيلية ذاتها. وهو ما يتحقق مع الرقمي، ومن هنا يتجسد الإشكال المطروح من خلال هذه العلاقة الجدلية الكامنة بين ثلاثية تقوم على باث وملتق ومفهوم معاصر ألا وهو التكنولوجيا.

هناك إذن، جدلية قائمة بين ثلاثية مبدع وملتق وفضاء رقمي، ومن هنا يمثل الفضاء الافتراضي فرصة لإفراز علاقة المتلقي بالعمل الفني القائم على الأنية الزمنية والتفاعلية.¹ فهل تستقيم العملية التشكيلية في عصرنا الراهن بحذف أحد مكونات هذه الثلاثية؟

من الملاحظ والملموس في عصرنا الراهن ما شهدته اليوم المحامل البصرية من تطور يقوم بالأساس على سبل وتقنيات تكنولوجية متطورة كان لها تأثير كبير على كل الميادين ومن أهمها الميدان التشكيلي وعلاقته بزمن الإبداع والسبل الإنشائية في تكوين العمل ذاته. مثال الفن التشكيلي ومن ذلك وجد الفنان نفسه يستطيع أن ينهل من هذه السبل والآليات التشكيلية المتعددة، ولكن باختلاف الطريقة والسبل، فعوضاً أن يستعمل مواد عجيبة ملمسية حسية، تحولت مادية هذه المادة التشكيلية إلى عناصر رقمية داخل شاشة الحاسوب ومن هنا ينشأ مبدأ التقابل والتضارب بين الواقع واللا واقعي بمعنى الافتراضي، إذ تنتفي المادة وتستحيل العلاقة الملمسية الحسية غائبة تمام الغياب.²

لا بد من التسليم إذن، بأن الفنون التشكيلية بصفة عامة قد تأثرت منذ العصور الفاتية بكل تطور تقني سوى (سواء) كان هذا التطور على صعيد المادة أو الأداة أو الفكرة، مما ولد العديد من التيارات الفنية خصوصاً منذ بداية القرن العشرين. سنبحث في هذا السياق عن الدور الرقمي في تدعيم أكثر ما يمكن من الثقافة الديمقراطية ومكانتها في تحقيق التوازن الاجتماعي.

الرقمي ودمقرطة الثقافة

دمقرطة الثقافة «la démocratisation de la culture»، هذه الفكرة التي بنيت في الأساس في إطار سياسة ثقافة هادفة إلى تحقيق المساواة بين جميع الفئات الاجتماعية مهما كانت انتمائها الجغرافية ومهما كانت الفوارق الاقتصادية أو التعليمية، متجاوزة بذلك كل المعوقات التي من شأنها أن تحول دون الفعل الثقافي

¹ عبد المجيد ميلاد، لتنوع الثقافي في عصر تكنولوجيا المعلومات، دار قبيماء القاهرة، 2008، ص 114

² نفس المرجع

والنفاذ للإبداع الثقافي. فقد جاءت سياسة الثقافة الديمقراطية في إطار سد الفجوة بين الثقافة المعرفية المحتركة على النخبة والثقافة الشعبية التي كانت أهم تمظهراتها في الممارسات الفلكلورية إذ كان من الصعب النفاذ لمختلف الأنشطة الثقافية من رسم وعروض مسرحية وأدب وغيرها...

هذا المصطلح "دمقرطة الثقافة" ظهر في الدول الأوروبية خلال الثمانينات، وكانت الغاية منه تسهيل النفاذ للحقول الإبداعية وإثرائها عن طريق المساهمة في الإبداع والنشر، باعتبار أن وجود حياة ثقافية نشطة هو عامل أساسي في قيام مجتمع مدني مستقل. كما أن الفن والثقافة يحفزان التفكير النقدي والمشاركة المدنية ويمثلان عاملين هامين في تشكيل مجتمعات عصرية.

في هذا الإطار تم بعث استراتيجية "الحق في الفن والثقافة" وذلك بتوفير التوجيه الاستراتيجي للفاعلين بمجال الفن والثقافة والتنمية منذ 1998 الغاية منها أن تقدم التوجيه وتكون مصدر الهام على المستوى وتعزيز دور وأولوية الفن والثقافة في البرامج التنموية.¹

إذ ينص العهد الدولي في مجال حقوق الإنسان والثقافة والتنمية، على الحق في المشاركة في الثقافة وعلى أنه يتوجب على الدول احترام حرية النشاط الإبداعي. الحق في حرية التعبير مكفول للجميع، وهو يتضمن حرية إيجاد وتلقي وتبادل جميع أشكال المعلومات والأفكار، بدون اعتبار الحدود بين الفئات الاجتماعية متجاوزا كل الفواق المادية والتعليمية والجغرافية، وتعدي كل الحدود بين الدول سواء شفاهة أو كتابة وطباعة أو في صورة فن أو من خلال أي وسيلة يتم اختيارها.

مع انبلاج الثورة الرقمية أصبح الرقمي يمثل الفضاء للإبداع والنشر والوساطة الثقافية وهو بذلك يساهم في تحقيق الديمقراطية الثقافية إذ حرر هذا الفضاء المبدعين في جميع المجالات من كل القيود التي كانت تحول دون انتشار ابتكاراتهم وان تلامس كل الفئات الاجتماعية بالسرعة والكثافة المرجوتين.

أصبح الموقع الثقافي الرقمي منبرا حرا للتعبير عن كل الأفكار التي يؤمن بها الكاتب وينشرها دون خوف من مقص الرقيب، وتبدو أهمية الثقافة الرقمية في كونها يسرت على الشباب والمبدعين طرق النشر والتعبير عن تجاربهم بتجاوز المعوقات المادية للنشر والتوزيع.

نجد أن الفضاء الرقمي قد لعب دورا هاما في مختلف القطاعات الثقافية (الفن، المسرح، السينما، الأدب، الموسيقى...) فكثرت بذلك المواقع والمنتديات والمدونات التي تهتم بمختلف الممارسات الثقافية والمنفتحة على الجميع، كما ساهم هذا المعطى الرقمي في تحقيق الاستقلالية للمبدعين عن الرقابة التي كانت في وقت ما تحد من وصول ابتكاراتهم إلى جمهور واسع. فظهرت إبداعات جديدة من خلال مهارة استعمال الصورة والصوت وتقنية ثلاثية الأبعاد.

¹¹اليونسكو(2005)اتفاقية حماية تنوع أشكال التعبير الثقافي وتعزيزها

أما عن البعد العلائقي بين المبدع والمتقبل فقد لعب الفضاء الرقمي دورا في جعلها علاقة تفاعلية بين المبتكر للأثر الفني والمتذوق له، الذي خول له الفضاء الرقمي فرصة التعليق والنقد والتقييم المباشر والسريع، فهو يساهم كذلك في إغناء ثقافة تفاعلية يشارك فيها الكاتب والمتلقي عن طريق الحوار والتواصل والتفاعل.

مذاعن الآراء الناقدة لدور الرقمي في مجال الإبداع الثقافي؟

54

إن كل ما أثير حول مسألة الرقمي في علاقته بالإبداع الثقافي بداية من الآراء التي ترى في الرقمي تهديدا للأثر الفني من خلال نزع صفة لإبداع وفتح الباب على مصراعيه للمتطفلين الدخلاء على الفعل الثقافي ومن ثمة تهميش الإبداع، إلى من يرى أن الرقمي كرس ثقافة الاستهلاك السهل للأثر الفني ومسح عنها كل صفة معرفية لتصبح مجرد أرقام تتحكم بها أجهزة الحاسوب.

هذه النزعة التشاؤمية إزاء الرقمي ودوره في مجال الإبداع الثقافي يتفاعل معها الباحث الفرنسي **Edgar Morin** وكذلك الناقد المغربي سعيد يقطين. فقد أشار المفكر الفرنسي **Edgar Morin** إلى مسألة هامة في علاقة بالاتهامات التي توجه إلى أجيالا لأفضية (الفضاءات) الرقمية من قبيل أنهم مهمشون فكريا وذلك لابتعادهم عن القراءة الورقية إلا أننا نلاحظ أنهم أكثر إبداعا من الأجيال التي سبقتهم بفضل توفر الفضاء الرقمي مثل الصفحات الخاصة والمنتديات والمدونات الالكترونية، كما تهم هذه الفئة بأنها فريسة سهلة للافتراضي الذي رسخ لديهم نزعة الفردانية لكننا نجدهم أكثر من سابقهم يزرون المعارض ويملؤون الملاعب والمتاحف¹.

في نفس هذا الإطار، أشار الناقد المغربي "سعيد يقطين" إلى ضرورة تغير النظرة للأدب الرقمي التفاعلي عندما أعلن عن موت الورقي وبشر بولادة الأدب الرقمي، من خلال كتابين أشار من خلالهما الباحث إلى أهمية الرقمي في مجل الأدب. كتب المغربي سعيد يقطين كتابا عنوانه "النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية نحو كتابة عربية رقمية" (المركز الثقافي العربي 2008)، وهو تتمّة لكتاب سابق أصدره المؤلف عام 2005 وعنوانه "من النص إلى النص المترابط، من أجل نظرية للإبداع التفاعلي"²

في هذين الكتابين يركّز سعيد يقطين على ما يسميه بالوسيط الثقافي الجديد الذي دخل حياتنا المهنية والفكرية والخاصة أيضا، ويقصد به الحاسوب الذي تحوّل في عالمنا اليوم إلى وسيط لا يمكن الاستغناء عنه، ولا يقاس تقدّم أيّ بلد في هذا العصر إلا بإحصاء عدد الحواسيب المنتشرة فيه وعدد الذين يستعملونها

¹ Développement culturel des territoires et numérique. mai 2015

<http://www.la-nacre.org/fileadmm/user>, consulté le 06/03/2017

² سعيد يقطين يعلن عن موت الكتاب الورقي وبشر بالإبداع الرقمي 2017/02/12، <http://www.alaraonin.org>, consulté le 12/02/2017

بانتظام. فالأطروحة الأساسية في كتابه "من النصّ إلى النصّ المترابط، من أجل نظرية للإبداع التفاعلي" تقوم أساساً على تأكيد أهمية هذا الوسيط الجديد، إذ يخلق أشكالاً جديدة للتواصل لم تكن متوقّرة عن طريق الوسائط التقليدية كالكتاب والصحيفة والوسائل السمعية والبصرية. إلى حدّ هذه الفكرة تظلّ الأطروحة سليمة ووجيهة.

خلاصة: التحديات والرهانات :

إن كان الفنان كائناً اجتماعياً بطبعه فهو كتلة بحث في الثقافة المنفتحة لأنه يعيش الواقع بمظاهره الحديثة، ويتعامل معه ويسعى من خلال عمله إلى إرساء نظرة استشرافية على المستقبل. ويتكرس هذا القول بانفتاح المبدع على المكتسبات التقنية الناتجة عن التطور في الآليات التكنولوجية التي تمكنه من خلال رواسبه وموروثه الفكري والمرئي من اكتساب التقنية وتطويرها في خدمة الأبعاد الحسية للعمل الفني من خلال البحث والتواصل مع الآخر عبر القنوات الحديثة

الملاحظ إذا أن الفضاء الرقمي بالرغم ممّا قيل عنه يعتبر آلية من أجل تحقيق الديمقراطية الثقافية التي عجزت عن تحقيقها السياسات الثقافية عبر مؤسسات ظلت خاوية من زائرها، ومن ذلك يمكن القول إنه لا مفر من مواجهة حاضر هذه الوسائل التكنولوجية وما هو متأتّ عنها من مناهج تفرضها الحداثة ورهانات المعاصرة الإبداعية، حداثة فكرة ومعاصرة تقنية لكي لا يكون الفنان بإبداعه خارج العصر ويكون حركة مستديمة تنرو إلى الأمام، وهذه الحركة نسعى دوماً لنفتي آثارها الضائعة ونتوقف عندها مع إعادة اكتشافها، وفي ذلك اكتشاف للغاية الاتصالية.

في هذا الإطار تتجه لأنظار نحو التحسيس بأهمية الثقافة الرقمية ودورها في تطوير علاقة الفكر بالمعرفة، وهو ما يتطلب ضرورة تنشئة الأجيال الحديثة على حسن توظيف الوسيط التكنولوجي من أجل مزيد تفجير الطاقات الإبداعية والاستفادة من العالم الرقمي لتبليغ مواهبهم إلى مختلف الثقافات. إلا أن المسألة تبقى دائماً محل بحث من حيث قضية الدفاع عن حقوق الملكية الفكرية وحماية رواد ومستعملي الفضاء الرقمي من الجرائم الافتراضية.

ربما قد تتخذ بعض التدابير على غرار اتفاقية اليونسكو سنة 2005 من أجل حماية حقوق المؤلف والمبدع.

قائمة المراجع :

1. عبد المجيد ميلاد(2008)، التنوع الثقافي في عصر تكنولوجيا المعلومات، دار ضياء، القاهرة.
2. محمد عابد الجابري(2005)، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط.
3. يحيى اليحياوي(2004)، كونية الاتصال، عولة الثقافة، منشورات عكاظ.

4. شاكر عبد الحميد (2002)، عصر الصورة؛ الايجابيات والسلبيات، عالم المعرفة.

1. ADORNO, Theodor W. et Horkheimer, Max. (1947,1974). La raison dialectique. Paris : Gallimard.
2. BOURDIEU, Pierre, (1979). La Distinction . critique social du jugement, Paris, Ed. minuit ; coll. / »le sens commun », p 670.
3. BOURDIEU, Pierre, DARBEL Alain, (1966). L'amour de l'art européens et leur public, Minuit.
4. BOURDIEU, Pierre, Passeron Jean – Claude, (1964). Les Héritiers. Les étudiants et la culture, Minuit.
5. CASTELLS, Manuel. (1998). la société en réseaux. l'ère de l'information I. Paris : Fayard.
6. CHAMBAT, Pierre, EHRENBURG Alain. (1988). De la télévision à la culture de l'écran. Sue quelques transformations de la communication, Le Débat, 52.
7. EDGAR, Morin. (1992). l'Esprit du temps. Essai sur la culture de masse, Paris : Grass.

مواقع الكترونية :

1. سعيد يقطين يعلن عن موت الكتاب الورقي ويبشر بالإبداع الرقمي <http://www.alaraonin.org>
2. اليونسكو (2005) اتفاقية حماية تنوع أشكال التعبير الثقافي وتعزيزها http://www.unesco.org/ar/convention_2005
3. ابراهيم الحيدري ادورنو والنظرية النقدية، مدرسة فر克福رت، <http://lbahimhaidri.wordpress.com>
4. Edgar Morin. « le numérique permet une démocratisation culturelle impossible à concevoir auparavant » <https://emfrfr/513/edgar-morin-le-numérique>.
5. Développement culturel des territoires et numérique. mai 2015 , <http://www.la-nacre.org/fileadmm/user>
6. Pierre Bourdieu Sur la télévision, 1996 <http://www.dailymotion.com/video/XK/FK>

رقصة أحواش : بين عراقة الذاكرة التاريخية ورهانات الهوية

"The Dance of "Ahwach" Between The Authenticity Of Historical Memory And The Stakes Of Identity"

ط.د. خديجة الزاهير/ جامعة القاضي عياض - ط.د. محمد اوبها/جامعة الحسن الثاني

Khadija Ezzahir: PhD student at Cadi Ayyad university, Marrakesh-Morocco

OUBAHA Mohamed, PhD student at Hassan II university, Mohammedia, Morocco.

Abstract :

The oases of Draa are rich of multiple individual and collective poetic and lyric patterns reflect the cultural diversity of this region and also reveal the richness of the social fabric of these oases, It shows the common coexistence that distinguishes the identity of Moroccan people in general and Darii in particular, for this we can talk about "sqal", "Rokba", "ahwach", "ahidous" (collective ,tradional local music) ... "But this intangible cultural heritage, which represents the identity of the region, is threatened by the challenges of globalization and by the social and cultural transformations of the oasis society, This requires intervention in order to protect, preserve and maintain it. In this article we will stop at the dance of "Ahwash" to highlight its historical heritage and symbolic significance as a symbol of the Southeastern Moroccan identity.

Key words: Identity –Globalization-Historical memory- Intangible Heritage- Economical development- Ahwach dance.

ملخص:

تزخر واحات درعة بأنماط شعرية وغنائية جماعية وفردية متعددة، تعكس التنوع الثقافي بهذه المنطقة ويكشف أيضا غنى النسيج الاجتماعي بهذه الواحات، ويبين التعايش المشترك الذي يميز هوية الإنسان المغربي عامة والدروي على الخصوص، فهناك "الركبة"، "السقل"، "أحواش"، "أحيدوس".. ولكن هذا التراث الثقافي اللامادي الذي يمثل هوية المنطقة أصبح مهددا بفعل تحديات العولمة وبفعل التحولات الاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع الواحي، مما يستلزم التدخل قصد حمايته وحفظه وصيانتها. وفي هذا المقال سنتوقف عند رقصة "أحواش" لنبرز عراققتها التاريخية ودلالاتها الرمزية كرمز لهوية الجنوب الشرقي المغربي.

الكلمات المفتاحية: الهوية - العولمة - الذاكرة التاريخية - الفن اللامادي - التنمية الاقتصادية - رقصة

أحواش

تقديم عام:

لا شك أن التراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرّف بها الناس على شعب من الشعوب؛ كما أن التراث بقيمه الثقافية، والاجتماعية يكون مصدرا تربويا، وعلميا، وفنيا، وثقافيا، واجتماعيا، ذلكم أن تراكم الخبرات يُكوّن الحضارة، وتراكم المعلومات يُكوّن الذاكرة، وهذه الذاكرة بدورها وكما تقول الباحثة تمبل كريستين Christine Temple في كتابها المخ البشري : مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك The Brain An Introduction To The Psychology of the Human Brain and Behaviour: «... هي التي تمكّننا من فهم العالم، بأن تربط بين خبرتنا الراهنة، ومعارفنا السابقة عن العالم وكيف يعمل»¹ ولهذه الذاكرة كما للتراث الثقافي الذي ننادي بالحفاظ عليه علاقة طردية مع الإبداع لدى الأفراد والمجتمعات. حيث أن لكل شعب موروثاته الخاصة به، والتي توارثها شفويا، أو عمليا، أو عن طريق المحاكاة.. ليكون بمثابة فنون نتجت عن التفاعل ما بين الأفراد والجماعة، والبيئة المحيطة خلال الأزمان الماضية، ومع مرور الزمن تحولت إلى إنتاج جماعي يخزن خبرات الأفراد والجماعات، وبقدر ما هو مخيّل للجماعة فإنه جدار متين لحفظ هويتها، ومحرك لها في الاستمرارية والوجود.

في حين يذهب الكاتب السوري الدكتور أحمد زياد محبك إلى أبعد من ذلك فيرى: «إن التراث الشعبي إبداع عفوي أصيل، يحمل ملامح الشعب، ويحفظ سماته، ويؤكد عراقته، ويعبر عن همومه اليومية، ومعاناة أفراده، على مختلف مستوياتهم، وهو صورة لروحهم العامة، وشعورهم المشترك»².

¹-كريستين تمبل، المخ البشري: مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك، ترجمة عاطف غيث، منشورات عالم المعرفة، عدد 287، 2002، ص 105.

²-أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي: دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت، 2005، ص 5.

إن تزخر منطقة درعة بثقافة شعبية متنوعة بتنوع القبائل التي تستوطنها، إلا أن هذا الغنى بدأ يندثر أمام غياب الاهتمام الرسمي بهذه الثقافة الشعبية وفي ظل التحولات التي يعرفها المجتمع الدرعي بعد الاستقلال ناهيك عن توافد السياح الأجانب بكثرة على المنطقة، وأيضاً في ظل عولمة الثقافة، هذه العولمة التي أصبحت تهدد التراث المحلي.

ويمكن التمييز في داخل النصوص الغنائية الشعبية التي أرخت عن وعي أو غير وعي لهوية الإنسان الدرعي، كما أرخ الشعر لأيام العرب:

- نوع خاص بالقبائل العربية وتحديدًا أولاد يحيى (الروحا) من بينها: "الركبة" و"الصف" و"الهرمة" و"المشاط" و"الترواح" و"الوسطي"
 - نوع خاص بقبائل أيت عطا وأيت سدرات وهو "أحدوس" و"أحواش"
 - نوع خاص بقبائل ادراوة وهو "السقل" و"أقلال"
 - نوع خاص بقبائل اعريب وهو "الكدره" و"الشمرة"
 - نوع خاص الزوايا والمرابطين وهو "الحضرة" و"جيلالة"
- إضافة إلى هذه الأنواع الغنائية الجماعية فهناك أنواع فردية أخرى تحيل كلها إلى هوية الجنوب الشرقي المغربي ومن أهمها "الرسمه" و"التحوفي"¹
- وسنقتصر في هذه المساهمة المتواضعة على وصف ودراسة رقصة "أحواش" التي تنتشر بمناطق الجنوب الشرقي، وربطها بهوية المنطقة.

الإشكالية: كيف تأثر التراث المحلي بالتغيرات التي يشهدها العالم وخاصة العولمة؟ كيف يمكن الحفاظ على هذا التراث الذي يشكل هوية الجنوب الشرقي المغربي؟ ما هي رقصة أحواش وما هو مجال انتشارها؟ ما هي الدلالات والرموز التي تحملها هذه الرقصة؟ هل عرفت تغيرات عبر التاريخ؟

¹- محمد المصباحي، الثقافة الشعبية بدرعة، ضمن ندوة حوض وادي درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1996، 254.

صورة رقم 1 : صورة لرقصة أحواش



المصدر: تصوير الباحثة خديجة الزاهير

أولاً: تعريف رقصة "أحواش"، تاريخها ومناطق انتشارها.

1- تعريف الرقصة:

كلمة أمازيغية الأصل مشتقة من الفعل "حُش" بمعنى "أرقص" و"أر تتحوش" بمعنى "يرقص" ومصطلح أحواش لا يدل على نمط معين من الفن، بل يدل على كل ما له علاقة بالرقص، وله عدة تسميات أخرى مثل: أمارك- أكوال-أهنقار- أهياض-أكناوي..وكل هذا بمثابة تشكيلية فنية مكونة من بناء إيقاعي ورقص جماعي ونظم شعري في مكان خاص يدعى "أبراز" أو "أسايس".

أحواش إذن تطلق على الرقص الجماعي بجميع أشكاله بجنوب المغرب خاصة في المناطق المتداول فيها لهجة تشلحيت. وفي رأي بعض الدارسين كأبو درار فالمصطلح في الناحية الفنية لا يعني رقصة واحدة كما هو شائع بل "يشمل متتالية من الرقصات المتناسقة فيما بينها". على شكل لوحات منسجمة ويقابل كلمة أحواش بمدلولها الفني في أمازيغية الأطلس المتوسط مصطلح أحيديوس.

3- تاريخ الرقصة ملئ بالدلالات والمعاني:

إن الحديث عن تاريخ بداية أحواش يعد مسألة في غاية الصعوبة، إذ أن هذا النمط يغلب عليه الطابع الشفهي، ولا يزال لم يخضع بعد للكتابة والبحث، والمعروف هو أن أحد المماليك الأمازيغ اشترى آلة الطبل

"كانكا" (التي تعد أهم آلة في أحواش) من الرومان، وانتقلت إلى المغرب بفعل الهجرات البشرية الآتية من إفريقيا السوداء وخصوصا في العصر السعودي، ونجد أن هذه الآلة تنتشر بالخصوص في المناطق التي كانت ممرات ومحطات للقوافل التجارية كواحة طاطا وورزازات وزاكورة، وهذه المناطق التي تعرف الانتشار الواسع لأحواش والارتباط الوثيق، بسكان هذه المناطق بهذا الفن، وهذا أيضا يؤكد أن فن أحواش خضع لتأثيرات وتأثيرات على مر الزمن. وهناك فرضية ثانية تروجها بعض المصادر الأجنبية تعتبر منطقة تلوات ببلاد كلاوة أول مهد لنشأة هذه الرقصة ومنها انتشرت عبر المناطق المجاورة.

ثانيا : نسق ومكونات رقصة أحواش

1- الملفوظ/النسق الشعري:

يعد النص الشعري من بين أهم المكونات لفن أحواش، إذ لا يمكن لأحواش أن يقام دون نص شعري، وتبدأ الرقصة باستهلال ديني متبوعا بـ"تالالايت".

ويتميز هذا الفن كذلك بالفورية والحكمة والألغاز حيث يحاول كل "أنظام" أن يقارع صاحبه في شكل مقابلة شعرية تدعى "أنعبار" وفي مقابلة ما قد تصل إلى المخاصمة، حيث يدخل أحد من الفرق لإيقاف المقابلة قبل أن تصل إلى المجادلة بمقطع غالبا ما يدعو فيه إلى تحكيم العقل والصلح، ويسمى المقطع "تامنصيفت" وتتكون من شطرين يردد الشطر الأول نصف الفرقة، بينما يردد النصف الآخر المقطع الثاني. وتحاول المجموعة أداء المقطع في انسجام وتناسق ما يعطي لوحات رائعة من الرقص بقرع الطبول أولا ثم الدفوف ثانيا.

الصور رقم 2 : صورة لفرقة أحواش وورزازات



المصدر: تصوير الباحثة خديجة الزاهير

كما يمكن للنساء أن يؤدين قطع موسيقية من اختيارهن، تليها ضربة الطبل مع الدفوف، وخلال إنشاد المقاطع قبل أن تكون مصحوبة بالألات يسود جو من الخشوع والإنصات الجمهور وهذا كله من أجل معرفة الأخبار من لدن "نظامن" وعندما يكمل قوله يبدأ "ثمهدارن" في ترديد اللازمة حتى انتهاء المقاطع التي ردها "أنظام"، ليبدأ من جديد في التحاور، ويسمى كل طرح "أسفسي". وتختلف المواضيع المتداولة في فن أحواش، إذ لا يمكن حصرها إطلاقاً، إلا أننا نجدتها تركز أساساً على مشاكل المجال ومواضيع اجتماعية متعلقة به، إضافة إلى مواضيع سياسية وثقافية ...

2- الحركة والرقص:

تختلف الحركة وطريقة الرقص في أحواش باختلاف نمط هو منطقة تداوله، فبالنسبة لمنطقة طاطا مثلاً تعتمد على تحريك الأكتاف "تيغراط" والأرجل "نضارن" كما تختلف طريقة التحريك كذلك من طاطا إلى أيت عبد الله، إضافة إلى التصفيق "الرش" بميزان دقيق. ويعد رئيس الفرقة الوحيد المسؤول عن تغيير الحركات، ويدعى "أمسيس"، كما يختلف أحواش أفلاندرنا عن نظيره بورزوات في مجموعة من التفاصيل مثل:

- سرعة الإيقاع، أي أن الراقصين ينطلقون على نحو مباشر إلى ما يمكن اعتباره بداية نهاية الوصلة في ورزوات.
- يتركب من ثلاثة ضرب هي: "زَامِي" و "أَسْكَز" و "تَسُسْت" وهي مصطلحات تحيل على إيقاع ورقص يلازمه.
- انفراد المغني "الفردى" بوقت مهم من الغناء، وقت مقتطع من الوصلة.
- قرينه الكبير من أحواش الأطلس الصغير (سوس خصوصاً).
- النقر على الطبل من جهتيه باستعمال اليدين في الوقت نفسه.
- غياب النساء يبين أحد عوائق الإنجاز خارج المجال الطبيعي\الأصلي.

3- اللباس والآلات:

أما بخصوص الزي الذي يرتديه أمحوش ومؤنثه "تمحوشت" أي أصحاب أحواش فنجد البلغة المزوقة، التكشيطة القفطان، تطرفت وهي عبارة عن قطعة من الثوب ترتديها النساء فوق اللباس المذكور سابقاً، ومجوهرات للترزين كالدواح أي أقراط من الفضة.

1- محمد الخطابي، أشكال التعبير الفنية الجماعية في "درعة"، ضمن أعمال الملتقى الأول حول أغاني ورقصات الواحات، المنظم بزاكورة أيام 18-19-20 نونبر 2005، منشورات جمعية تنمية وادي درعة زاكورة، الطبعة الأولى، مارس 2006، ص 20.

أما على مستوى الرأس فيتم ارتداء القطيب وخيط الروح. وعلى مستوى الصدر نجد تخلا لين، فعلاوة على وظيفتها الجمالية فهي تقوم بتثبيت تطرفت. ويجب على الراقصة أنلا ترتدي سروالا طويلا حيث يحجب جمالية الحناء، وتجدر الإشارة إلى أن النساء قديما كن يرتدن أثوابا بيضاء وصفراء فقط.

أما الرجال فيرتدون الفرجية وهو لباس داخلي، والجلابة والبلغة والكل بلون أبيض دليلا على الصفاء والنقاء دون نسيان "تكميت" أو "الخنجر" وتتجلى دلالاته في الاستعداد الدائم للحرب والدفاع.

ومن الآلات المستعملة في هذه الرقصة نذكر "تكنزة" جمعها "تكتزوين" أي "الطارة" وهي عبارة عن إطار خشبي مستدير يعرف بـ "إغص" يغطي قعره بجلد الخروف وعلى الإطار نجد ثقب للتحكم في الآلة. وهي أساسية في الغناء الشعبي المغربي عامة، إلا أن "تلونت أوحواش" تختلف عن غيرها بنبرتها الرقيقة الخالية من أي اهتزاز. كما نجد "الدمدوم" عبارة عن قطعة خشبية دائرية وكبيرة الحجم تغطي من كلتا الوجهتين بجلد الماعز نظرا لمتانته ويستعمل "التيو" كأداة للضرب على الدمدموم.

الناقوس: آلة حديدية تصدر صوتا مميزا مثل رنين الجرس ويصطلح الناقوس كذلك على الجرس، يستعمل في هذا النمط من أوحواش إضافة إلى الدفوف "إلونا" والطبل "كانكا" والتصفيق.

وإذا أردنا الحديث عن مكان الرقص فيدعى أسراك وهو مكان واسع أما شكلها فهو عبارة عن خط مستقيم مكون من النساء فقط وعند ارتفاع الإيقاع تقوم الراقصات بالدوران في اتجاه اليمين جاعلين من ذلك دائرة يتوسطها الرجال وبين الفينة و الأخرى تبتعد راقصتان بأمر من الرايس للرقص خارج الدائرة وبحركات متشابهة ومتناسقة فيما بينها..

الصورة رقم 3 و4 : مهرجان ورزازات لرقصة أوحواش



المصدر: تصوير الباحثة خديجة الزاهير

تعتبر رقصات أحواش من الممارسات الثقافية والفنية ذات الطابع الجماعي المتجذر في تقاليد المجتمع الأمازيغي إذ تقترون بمختلف المناسبات التي يحييها أبناء القرى والقبائل برمتهم كالأعياد الدينية والوطنية والمواسم والحفلات والأعراس والختان... إلى غير ذلك من المناسبات التقليدية التي تبرز فيها قيم التكافل والتآزر الاجتماعي.

ومن بين مميزات رقصة أحواش الاحترام والتنظيم ويتجلى ذلك في كون النساء لا يلتفتن أثناء الرقص بهدف المحافظة على الإيقاع وإظهار الاحترام إضافة إلى الزغاريد التي تقابل بها النساء غناء الرجال عليهن احتراماً لهم أما الحركات الحاضرة بقوة في هاته الرقصة نجد "تمركات" أي الرقص بالأرجل عند الرجال أما النساء فنجد تطابق الكفين معا وتحريكهما دون تصفيق والرقص بالكتفين وتدل هذه الحركة على أن هذا تقليدي ويجب المحافظة عليه.

ثالثا: التراث مرآة الهوية

1. في مفهوم الهوية:

يعتبر مفهوم الهوية " Identité " من أهم المفاهيم اشتغلت عليها الفلسفة وحاولت ضبط هذا المفهوم بغض النظر عن تمظهراته الثقافية والاجتماعية، وقد تبين أنه من المفاهيم التي يصعب ضبطها والإلمام بها من كل جانب، فالمعجم الفلسفي يعرف مفهوم الهوية بأنه: " حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات"¹ إذن فالهوية مأخوذة من " هو " بمعنى جوهر الشيء وحقيقته .. أي " هو هو " أي مطابق الشيء، وما يشبهه من كل وجه وإن تميز منه، لكن ليبنيز Leibniz الفيلسوف الألماني الشهير ينكر المطابقة التامة من كل وجه ويرى أنه ليس في الطبيعة شيئا متطابقا من كل الوجوه. إن الهوية كالبصمة للإنسان يتميز بها عن غيره. وتُعرّف الهوية أيضا بمعنى " التفرد "، فالهوية الثقافية تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك، وميل، وقيم، ونظرة إلى الكون والحياة.²

إن مفهوم " الهوية " لا يجب أن يؤخذ بالبساطة العفوية، إذ لا يزال يلقيه الكثير من الغموض، فهناك من المفكرين من يصل به الأمر إلى حد القول بأن الهوية لا وجود لها أصلا، ذلك أن الهوية الشخصية تُفترض أن يبقى الإنسان نفسه على مر الزمن. أما الهوية الجماعية فهي أكثر إشكالية.. الهوية الجماعية تفترض (التمائل التام) في ال (نحن) الجماعية، بينما البشر مختلفون تبعا لطبيعة الظروف التي تكوّنوا في إطارها، وتبعا للبيئة التي يحيون فيها ومكوّناتها الحضارية والثقافية والاجتماعية، وهذا ما عبّر عنه الفيلسوف الفرنسي " بول ريكور " بالقول: «... إن أهواء الهوية متجذرة فينا بعمق، وليس هناك أي شعب يعاني منها أكثر من شعب آخر.»

1- مجموعة من المؤلفين، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 193، ص 208.

2- محمد الملي، الجذور الثقافية والفكرية لثورة نوفمبر المجيدة، صحيفة المجاهد الأسبوعي، العدد 2303 من 20/ 27/ 9/ 2001.

وفقا للعديد من الدراسات السوسولوجية، والأنثروبولوجية التي تتفق على كون الهوية تُعدُّ معطى اجتماعيا يقوم على مبدا التطابق والانسجام، ويحمل دلالات التنوع والتكامل والاختلاف، فإن الهوية تشتغل في التراث الثقافي كشرط وكمناخ؛ فهي سند الإبداع، وشرط الإحساس بالذات والانتماء، بل هي التعبير الصادق عن الذات في أقصى درجات انتشارها واحتفالها، هي بذلك تغدو منطلقا وطريقا وهدفا. إنها تركز على شعور غريزي بالانتماء والمحلية وتظهر ملازمة للثقافة الخاصة في حدود ملامحها الأصلية والأهلية التي تشكل حاملا للهوية الجماعية، أي الهوية القائمة على الإرث الثقافي والسلالة المشتركة ومن ثم، فهي تساعد على اكتشاف النسق البنائي للمجتمع حتى يتحول إلى كل منسجم على مستوى الوعي¹.

2- التراث الثقافي والدفاع عن الهوية رقصة "أحواش" نموذجاً

إن المتتبع للشأن الثقافي الدرعي وخصوصا فيما يتعلق منه بالتراث الشعبي والرقصات الجماعية، "رقصة أحواش نموذجاً" لا بد إلا أن يلاحظ أن هذه الأخيرة، استطاعت عبر التاريخ أن تتجاوز البعد الفني من مجرد أداء راقص، لتعكس بعدا آخر أكثر عمقا ونضجا، ألا وهو البعد "الهوياتي" إن صح القول، بحيث يمكن اعتبارها تجسيما مصغرا للحياة الاجتماعية بواحات درعة، مُجسِّدَةً عبر تلك الحركات، الكلمات والإيقاعات خبرة السكان ومدى قدرتهم على التكيف، والتأقلم والتعايش مع المجال الواحي ومن هنا فهي عبارة عن ذاكرة جماعية حية وسجل تاريخي للمنطقة .

إن رقصة أحواش الممتدة على ضفاف وادي درعة ليست وليدة اليوم، فهي تراث لا مادي ذو جذور تاريخية عميقة ضاربه في القدم، ونتاج لتطور مستمر لمئات السنين، جعل منها ملخصا لتاريخ قديم ينطلق من الماضي السحيق إلى الوقت الحاضر.

لكن وكغيرها من مكونات التراث الثقافي، أضحى تعاني من تجليات العولمة والعصرنة وانعكاساتهما التي طالتها فأضافت إليها العديد من "الرتوشات الدخيلة" لإمتاع الأخر/الغريب² وتلبية لرغبات الأجنبي في الغريب والأسطوري، وبالتالي لا علاقة لها برغبة المبدع ولا تنبئ عن واقعه ولا عن تطلعاته على حد سواء.

واليوم في ظل المبادئ العلمية الحديثة التي بدأت تعي أهمية التراث الثقافي بكل مكوناته، وتدرك هذه القيمة الإبداعية والجمالية في الثقافة الإنسانية، والدور الذي يلعبه في تشكيل المقومات الأساسية لهذه الثقافة، فإن التراث الثقافي أحوج لمثل هذه الدراسات التي تأخرت كثيرا، وهذه مهمة الدارسين والمهتمين بأن يعلنوا أن هذا التراث الغني والمتواجد، وبصور متنوعة لهو من الغنى التاريخي، والهوياتي، والجمالي ما يجعله ليس قضية

1. طيب تيزيني، مفهوم التراث العالمي مدخل باتجاه التأسيس، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 2008، ص 9.

2- عبد الرحمان المتقي، المجتمع الدرعي من خلال لوحاته الفنية، ضمن أعمال الملتقى الأول حول أغاني ورقصات الواحات، المنظم بزاكورة أيام 18-

19-20 نونبر 2005، منشورات جمعية تنمية وادي درعة زاكورة، الطبعة الأولى، مارس 2006، ص 12.

متحفية، أو مجالاً للدراسات الأكاديمية وحسب، يتم التعامل معها كمتعة خالصة، أو كفرجة في أوقات الفراغ. وتكمن أهمية الحفاظ على التراث الثقافي في الأهداف التي يمثلها هذا التراث وهي:

❖ الحفاظ على التراث الثقافي وبعده الحضاري، وحفظه لذاكرة وهوية الإنسان والمجتمع؛ ذلك أن الإنسان مكوّن من مادة وروح. وبما أن التراث الثقافي يحتوي على جانبين: الملموس ممّا أنتجه السابقون من مبانٍ، وأدوات ومدن وملابس، وغيرها ممّا هو مادي، وغير الملموس من معتقدات، وعادات، ولغات، وتقاليد وغيرها؛ فإن هذين العنصرين يكوّنان عصب الحضارة، فالحفاظ عليهما يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنسان في مجتمع ما ككينونة وكهوية فردية ومجتمعية. فالتراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب، فأحواش إذن تمثل مما لا شك فيه هوية الإنسان المغربي.

❖ الحفاظ على التراث الثقافي هو إغناءً للثقافة الإنسانية بالحفاظ على التنوع الثقافي لدى شعوب المعمورة.

❖ إن التراث بقيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصدراً تربوياً، وعلمياً، وفنياً، وثقافياً، واجتماعياً.

❖ إن فقدان التراث الثقافي يعني فقدان الذاكرة، ويعني افتقاراً اقتصادياً مهمّاً في التنمية المحلية لمناطق هذا التراث، وخلق ديناميكية تنموية شاملة يستفيد منها السكان المحليون، وخزينة الدولة من موارد مالية هامة بالعملة الصعبة، والعملة المحلية.

الصورة رقم 5: مهرجان ورزازات لأحواش



المصدر: تصوير الباحثة خديجة الزاهير

خاتمة :

لكل أمة تراثا تعتر به وتفتخر، وتعتبره الجذر الذي يمتد في الماضي السحيق ليؤرخ ماضي الأمة وأمجادها العظيمة، وتعتبر الحاضر امتدادا للماضي، ويشكل السمة المميزة لكل أمة عن غيرها. ويتضمن الموروث التراثي الثقافي على معلومات جمالية، وتاريخية، وعلمية، واجتماعية اقتصادية، أو قيم روحية للماضي، والحاضر والمستقبل. وتبرز هنا الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهمية وحالة التراث الثقافي، والدور الذي يلعبه في وجوده على هذه الأرض، والدور الاقتصادي والتكنولوجي للتراث الثقافي في الفنون، والتغيرات الاجتماعية والعلمية. وهذا التقييم يعتبر أساسا لاتخاذ القرارات من أجل حماية ونقل معاني القيم التراثية والهوياتية للمجتمع.

وهذه الحماية لن تتحقق إذا لم تكن ضمن نهضة ثقافية حديثة شاملة، مرفقة بوعي لمكونات هذا التراث الثقافي، والنظر إليه لا كماضي غاب وانقضى، بل هو حاضرٌ دوماً وحيٌّ، ومحفّزٌ لنا في الاندماج بفعالية في الحاضر، والإطلاقة بثقة على المستقبل، لا كقيدٍ يكبلنا ويشدنا إلى ذلكم الماضي لوحده، فننقطع عن دورة الحياة المعاصرة، ونكفئ على أنفسنا فتجرفنا التيارات الخارجية، ولا نقوى حينها على المقاومة.

وختاما فإن الثراء والغنى الذي يميز العنصر البشري والعريقي والثقافي بدرعة ما هو إلا انعكاس للغنى والثراء الوطني على المستوى الثقافي والعريقي، والتعايش الذي يميز ساكنة درعة الأوسط ليس سوى تجسيد للتلاحم والتعايش الحاصل بين أبناء الشعب المغربي في إطار لحمة واحدة وفي دولة واحدة، تجمعها هوية واحدة هي الانتماء للمغرب.

قائمة المراجع:

1. كرسطين تمبل، المخ البشري: مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك، ترجمة عاطف غيث، منشورات عالم المعرفة، عدد 287، 2002.
2. أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي: دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت، 2005.
3. عبد الرحمان المتقي، المجتمع الدرعي من خلال لوحاته الفنية، ضمن أعمال الملتقى الأول حول أغاني ورقصات الواحات، المنظم بزاكورة أيام 18-19-20 نونبر 2005، منشورات جمعية تنمية وادي درعة زاكورة، الطبعة الأولى، مارس 2006،
4. محمد المصدياني، الثقافة الشعبية بدرعة، ضمن ندوة حوض وادي درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1996.

5. محمد الخطابي، أشكال التعبير الفنية الجماعية في "درعة" ضمن أعمال الملتقى الأول حول أغاني ورقصات الواحات، المنظم بزاكورة أيام 18-19-20 نونبر 2005، منشورات جمعية تنمية وادي درعة زاكورة، الطبعة الأولى، مارس 2006.
6. مجموعة من المؤلفين، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 193.
7. محمد المليي، الجذور الثقافية والفكرية لثورة نوفمبر المجيدة، صحيفة المجاهد الأسبوعي، العدد 2303 من 27.20 /9/ 2001.
8. طيب تيزيني، مفهوم التراث العالمي مدخل باتجاه التأسيس، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 2008.

تطبيقات المنهج التطوري على التراث الإسلامي من المستشرقين إلى القراء الحداثيين (دراسة تحليلية نقدية)

Applications of the evolutionary method to the Islamic heritage from orientalists to modern readers (a critical analytical study)

الباحثة بن السايح خديجة - أ.د ميلود حميدات/جامعة الأغواط، الجزائر

D:Khedidja Bensayeh P: Miloud Hamidat /University of Laghouat

Abstract:

The article deals with the application of the evolutionary materialist method by Orientalists to issues of Islamic thought, even if the subjects are religious; it is not subject to material interpretation. We have explained the nature and origin of this approach, and how it is applied arbitrarily and subjectively. We explained how orientalists managed to influence some Arab thinkers in the name of modernity, which led them to adopt the evolutionary approach to reading Arab-Islamic heritage. As the title of the scientific method and objectivity, without realizing that this is a fall in intellectual dependency, and confirmation of the tendency centrality of western civilisation adopted by Orientalist.

Key words: evolutionary method, Islamic heritage, Orientalism, modernist readings.

ملخص:

يعالج المقال تطبيق المنهج المادي التطوري من طرف المستشرقين على قضايا الفكر الإسلامي، حتى ولو كانت الموضوعات دينية، ولا تخضع للتفسير المادي، وقد بيّنا طبيعة وأصل هذا المنهج، وكيف يطبق بتعسف وذاتية، ووضحنا كيف استطاع المستشرقون التأثير في بعض المفكرين العرب باسم الحداثة، مما جعلهم يتبنون المنهج التطوري في قراءة التراث العربي الإسلامي، كعنوان للمنهج العلمي والموضوعية، دون أن يدركوا أن ذلك سقوط في التبعية الفكرية، وتأكيد للنزعة المركزية الأوروبية للحضارة الغربية التي يتبناها الاستشراق.

الكلمات المفتاحية: المنهج التطوري، التراث الإسلامي، الاستشراق، القراءات الحداثية.

مقدمة:

شكلت قراءة التراث الإسلامي نقطة محورية لدى الحداثيين العرب، من أجل الولوج لصرح الحداثة عن طريق بناء مشاريع نهضوية، مستهدفين التخلص من التأخر الحضاري الذي يعانيه العالم الإسلامي لقرون. وعليه تم العمل على إعادة هيكلة المنظومة الإسلامية وتطويرها باعتبارها قاعدة أساسية لتشكيل الوعي العربي الإسلامي. وذلك من خلال الاعتماد على مناهج غربية حديثة، غير مكتوئين بنوعية وطبيعة الأساليب والمناهج المستخدمة في ذلك، ولا بالنتائج المترتبة عنها. كون تلك المناهج نابعة من الفكر الغربي، وهي جزء من أعمال الاستشراق، الذي لم يتوان في تطبيق مناهجه على الفكر الإسلامي، ومن بين تلك المناهج المنهج التطوري الذي استعاره الحداثيون العرب من المناهج الغربية، كمنهج حيوي وفعال لتجديد الفكر الإسلامي، وفي مقالنا هذا نحاول تحليل هذا المنهج، وتعريفه وتحديده، ثم مقارنة استخداماته مع تراثنا، لنبين الاختلالات في ذلك.

الفصل الأول: مفهوم المنهج التطوري ومرتكزاته:

(1) تعريف المنهج التطوري:

يرجع المنهج التطوري إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي شهد تحولات فكرية في مجال البيولوجيا التي لايزال تأثيرها جليا حتى الان من خلال نظرية عالم الأحياء الإنجليزي (تشارلز داروين)، القائمة على مبدأ التطور حيث اشتهرت باعتبارها نظرية مادية تؤسس لفكرة مفادها أن الكائنات الحية تطورت، وأنها خضعت لطفرات بيولوجية جعلتها تتطور وترتقي وفق تطور الأزمنة.¹

¹ هادي المدرسي: عن الإنسان والمادية الداروينية، دار التعاون، (د.ت)، ص 12.

أما بالنسبة لمفهوم التطور فيرى جميل صليبيبا أن التطور Evolution بمعنى الطور أو الحال وجمعه أطوار لقوله تعالى (وقد خلقناكم أطوارا) أي ضروبا واحوالا مختلفة، وقيل الناس أطوار أي حالات شتى¹. فالتطور عبارة عن نمط من التغيير، بطيء متدرج يؤدي إلى تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة تؤذن سابقها بالحقها كتطور الأفكار والأخلاق والعادات². ولم يقتصر التطور في العصور الأخيرة كونه مذهبا علميا مختصا بتعليل نشوء الأنواع الحية، وفق قانون تنازع البقاء وقانون الانتخاب الطبيعي لداروين فحسب، بل أصبح التطور قانونا كليا لتفسير مجمل الظواهر الطبيعية، والكونية والكيميائية والوظائف العضوية إلى جانب الملكات العقلية والمؤسسات الاجتماعية³. وهكذا توسع مفهوم التطور حتى شمل جميع المجالات البيولوجية، والعضوية والإنسانية والاجتماعية، على اعتبار أن التطور نتيجة حتمية للكون.. وما يحتويه من ظواهر طبيعية وعضوية وإنسانية. كما يأخذ مصطلح التطور مسماء آخر هو الدارونية Darwinism الذي ينطوي على معنيين، فالدارونية بالمعنى الضيق تعبر عن النظرية العلمية في التطور العلمي، التي قدمها (تشارلز داروين) خلال القرن التاسع عشر. أما المعنى الثاني الواسع فيتضمن معظم الأفكار الفلسفية اللاهوتية والاجتماعية والعلمية، التي حددت عليها ودعمتها النظرية⁴. والتي عممت مبدأ التطور على مجمل الموجودات، حتى الأفكار الاجتماعية الدينية هي الأخرى لم تسلم من مبدأ التطور.

يرى البعض أن نظرية التطور لدورين لم تكن إبداعا خاصا به، بل ترجع أصول النظرية لكهنة بابل وأشور حيث كانت تدور أفكارهم حول الخلق وبدء التكوين الإنساني، وفق فكرة مفادها أن السبب في الخلق، هو كتلة لزجة لا شكل لها ولا صورة إلا نفخة من خالق، ثم انتقلت تلك الكتلة بفعل الطبيعة إلى مراحل متعددة حتى وصلت إلى الشكل النهائي الذي يبدو عليه الإنسان⁵. وتجددت فكرة التطور مع داروين من خلال كتاب أصل الأنواع الذي أخرجه سنة 1859م. وعليه أصبح منهجا فكريا قائما بذاته يأخذ صبغة علمية تؤكد أن التطور منهج، أو بالأحرى حقيقة تقضي بأن الطبيعة لا تعرف الثبات والاستقرار، وان جميع الموجودات خاضعة لحتمية التغيير والتبدل. وهكذا أصبح التطور مبدأ ومنهجا أخلاقيا، ومبدأ دينيا على اعتبار أن المنهج التطوري يقوم على ديناميكية متواصلة للطبيعة والإنسان والأفكار⁶. ومنه صارت البنيات الاجتماعية والثقافية وحتى

¹ جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م، ص 293.

² إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، البيئة العامة لشؤون المطابع، مديرية مصر، 1983م، ص 47.

³ جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي، ص 295.

⁴ صلاح عثمان: الدارونية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة، منشأ المعارف، الإسكندرية 2001م، ص ص 33-34.

⁵ هادي المدرسي: عن الإنسان والمادية الدارونية، ص 12.

⁶ صلاح عثمان: الدارونية والإنسان، ص 193.

المنظومة الأخلاقية، والمبادئ الدينية ليست بمعزل عن عملية التطور، كونه منهجا يعمل على إعادة صياغة المبادئ العامة، وإعادة هيكلة أفكار الأمم والشعوب، على حسب المستجدات الطارئة أو المراحل التي تمر بها لتكون مناسبة للمرحلة الحالية.

إذ يعمل المنهج التطوري على تفسير الظواهر وفق تطور وارتقاء كل الظواهر الإنسانية بما فيها الدين، فالدين الأول الذي عرفته البشرية في بدايتها كان في أدنى صورة متجسدة في الوثنية.¹ ومع تقدم الأزمنة وتطور الفكر الإنساني تغير مفهوم الدين ومبادئه لصورة تتناسب مع الوعي الإنساني والتقدم الحضاري.

وهكذا أصبح التطور عبارة عن منهج علمي لا يقتصر على تفسير مجال العلوم الطبيعية (البيولوجية). بل تعداه ليضم العلوم الإنسانية والاجتماعية، وحتى الدينية فيما يخص (القراءات الحدائية للنص الديني)، حيث ازداد العمل بالمنهج التطوري في القرن 19 على يد مجموعة من المفكرين والعلماء الذي اعتبروا التطور أساسا لنظرياتهم وتوجهاتهم الفكرية ومن بين هؤلاء نجد:

1-1) أوجست كونت:

كان المنهج التطوري حاضرا بقوة في أعمال (أوجست كونت)، حينما عالج مسألة تطور الفكر الإنساني، من خلال نظرية (قانون الحالات الثلاثة) التي تبين من خلالها تطور الفكر الإنساني وفق ثلاث مراحل هي:

- المرحلة الأولى: هي المرحلة اللاهوتية التي يسودها التفكير الأسطوري الخرافي، حيث تم تفسير الظواهر على أساس القوى اللاهوتية والتفكير الغيبي والأرواح.

- المرحلة الثانية: هي مرحلة التفكير الميتافيزيقي التي تعتبر أكثر تطورا وتقدما من الأولى حيث تم تفسير الظواهر وفق قوى غيبية خارقة، موجودة في الظواهر ذاتها.

- المرحلة الثالثة: هي المرحلة الوضعية التي تم فيها تطور الفكر الإنساني، في هذه المرحلة حيث توصل إلى التفكير العلمي والمنطقي المبني على القانون العلمي، الذي يعتمد على تفسير الظواهر بالظواهر، وإمكانية التنبؤ بها.²

¹ محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د،ت)، ص 15.

² عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص 62.

(2-1) هيرت سبينسر:

يعتبر أحد علماء الاجتماع الأكثر تأثيراً بالنظرية التطورية والمنهج التطوري، حيث أكد على تفسير الظواهر الاجتماعية والتطور الاجتماعي الإنساني، من خلال العوامل الداخلية والخارجية للمجتمع، كما يرجع له الفضل الكبير في انتشار مصطلح التطور عن طريق نظريته القائمة على التطور الاجتماعي، القائلة: " بأن المجتمع الإنساني كائن حي ينمو ويتطور، وفي تطوره ينتقل من حالة التجانس إلى حالة اللاتجانس"¹.

(3-1) كارل ماركس:

يعتبر ماركس أحد أبرز رواد المنهج التطوري، الذي كان بمثابة القاعدة الأساسية لبناء نظريته الاقتصادية والاجتماعية، معتمداً على المادية التاريخية للكشف عن القوانين العامة والنوعية للتطور الاجتماعي.² حيث يرى ماركس أن تاريخ البشرية مرّ في عملية تطوره بخمس مراحل هي: مرحلة الإنتاج البدائي التي اعتمدت على الزراعة والصيد، واتسمت فيها العلاقات بين الأفراد بالتعاون والتبادل، تليها مرحلة الرق القائمة على العمال وأدوات الإنتاج، ثم مرحلة الإقطاع التي تميزت بالملكية الاقتصادية لوسائل الإنتاج، فالمرحلة الرأسمالية التي اشتهرت بالانقسام المجتمعي إلى الطبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا، وأخر المرحلة هي المرحلة الاشتراكية المبنية على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج.³

(4-1) سان سيمون:

يعتبر من علماء الاجتماع الذين أكدوا على المنهج التطوري، في تفسير الحركة التاريخية للمجتمعات البشرية، حيث يرى أن المجتمع الإنساني يتسم بصفة التطور الذي يمر من مرحلة إلى مرحلة أخرى أكثر تطوراً قائلاً: " أن مسيرة التاريخ البشري تمر بثلاث مراحل هي المرحلة اللاهوتية التي تسيطر فيها الأنظمة الدينية ثم المرحلة الميتافيزيقية التي تمتاز فيها اللاهوت بالإقطاع، وأخيراً المرحلة الوضعية التي يسيطر فيها العلم"⁴.

(5-1) فريدريك نيتشه:

اعتمد نيتشه على المنهج التطوري من أجل تغيير المنظومة الأخلاقية، وتطورها من مرحلة أخلاق العبيد كما أطلق عليها، إلى مرحلة أكثر تطوراً هي أخلاق " السوبرمان أو الانسان الأعلى"، على اعتبار هذا الصنف من

¹ كمال التابعي: تغريب العالم الثالث، ط2، دار النصر، القاهرة، 1995م، ص 65.

² المرجع نفسه: ص 73.

³ المرجع نفسه: ص ص 77-79.

⁴ المرجع نفسه، ص 62.

الأخلاق يعبر عن تطور واضح في مجال الأخلاق. ذلك أن أخلاق السوبرمان هو مصدر السيطرة والقوة فالإنسان الحالي تطور وتخلص من أخلاق العبيد.¹ التي تمتد جذورها إلى اليهودية والمسيحية اللذان يعتمدان على الطاعة والانصياع، فهي تتجلى في مظاهر الضعف والانحطاط، التي قدمها القساوسة على شكل قيم فاضلة للحفاظ على نفوذهم على الضعفاء.² ومع تطور الفكر البشري وجب عليه التخلص من قيم الإنسان الضعيف، ليلج قيم أخرى تتمثل في أخلاق الإنسان القوي، وفق إرادة قوية هذا الأمر الذي فرضه مبدأ التطور الحيوي،³ العامل على بناء الإنسان الراهن.

6-1) وليام جيمس:

تبنى وليام جيمس المنهج التطوري في طرح أفكاره بداية من كتابه (مبادئ علم النفس) الذي كشف من خلاله عن تطور السلوك الإنساني، من المراحل الحيوانية الغريزية إلى مرحلة السلوك العاقل، حيث أحصى جيمس أكثر من 30 نوعاً للغرائز الحيوانية التي تميز بها السلوك الإنساني، كما اعتبر أن العقل الإنساني ما هو إلا وجه من أوجه التطور الذي وصله الإنسان⁴ من خلال تطور الكائن الحي، كما عبر وليام جيمس عن المنهج التطوري عن طريق البرجماتية التي عبرت عن إبستمولوجية تطورية، المقصود منها كيفية اختيار أفضل الأفكار وأصلحها والعمل على إيجاد معيار الصدق لاختيار الأفكار، إذ لا بد من تطور الأفكار لتحقيق النتائج المرجوة، وعليه يبقى صراع الأفكار قائماً من أجل بقاء الفكرة الأنفع⁵ والأكثر تطوراً وفاعلية.

7-1) سيغموند فرويد:

اعتبر فرويد التطور الدارويني بداية جديدة لإحداث تغيرات جذرية في علم النفس، على اعتبار أن مفهوم التطور لا ينطبق على البيولوجيا فحسب، بل ينطبق أيضاً على الجانب النفسي، وعليه أصبح التطور منهجاً فكرياً، حيث أسس فرويد نظرية في التحليل النفسي معتبراً أن الحياة النفسية قائمة على "الليبيدو" والذي يمثل مجمل الغرائز والرغبات الجنسية التي وسمها "بالهو" الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من اللاشعور، وهكذا يعمل الأنا على قمع بعض رغبات الهو الذي قد يتطور ويتسامى بعضها فيتحول من أهداف جنسية ورغبات غريزية، إلى فن أو شعر أو غيره من الفنون السامية، ومنه يتحقق التطور على مستوى الرغبات الحيوانية إلى

¹ صلاح عثمان: الداروينية والإنسان، ص 122.

² المرجع نفسه: ص 123.

³ المرجع نفسه والموضع نفسه.

⁴ المرجع نفسه: ص 127.

⁵ المرجع السابق: ص ص 126-127.

أفعال سامية تتناسب مع مقتضيات الأنا الأعلى (المجتمع).¹ حيث أصبح الإنسان أكثر وعياً بوقائع بيئته ومحيطه وأكثر إدراكاً لها.

2) مرتكزات المنهج التطوري:

(1-2) الوضعية:

تعتبر الوضعية مرحلة متقدمة من مراحل التفكير الإنساني، حيث ساد فيها التفسير العلمي لمختلف الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وأصبح العلم الصفة الطاغية على الفكر البشري، فالوضعية هي تعبير عن المعرفة الصحيحة، "وهي نظرية مبنية على الواقع والتجربة، وأن العلوم التجريبية هي التي تحقق المثل الأعلى لليقين، وأن الفكر البشري لا يستطيع تجنب الغلط والخطأ من العلم والفلسفة، إلا إذا اتصل بالتجربة وأعرض عن كل قبلية."² حيث يتأسس التفكير الوضعي على التفسيرات العلمية المادية، من خلال قوانين رياضية وفيزيائية غايتها اكتشاف القوانين المتحكممة في العالم (الظواهر الطبيعية والإنسانية)، فيقول أوجيست كونت: "إننا ما دمنا نفكر بمنطق وضعي في مادة علم الفلك أو الفيزياء، لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مادة السياسة أو الدين. فالمنهج الوضعي الذي نجح في العلوم الطبيعية غير العضوية يجب أن يمتد لكل أبعاد التفكير."³ وهكذا أصبح التوجه الوضعي هو الغالب على التفكير الغيبي، خصوصاً في أوروبا خلال القرن 19 الذي قام على يد أوجيست كونت متأثراً بالنزعة العلمية السائدة، خصوصاً بما قدمه نيوتن في مجال الجاذبية، الذي رأى فيه نموذجاً لقيام الفكر الوضعي.⁴ وعليه أصبحت النزعة الوضعية واضحة المعالم في مختلف المسائل والمواضيع، فلا شيء يعلو عن الفكر الوضعي والنزعة العلمية، حتى المنظومة الدينية أصبحت تحت وطأة الفكر الوضعي، وفق تطبيق دراسات علمية تجريبية عليها من خلال إنكار المسائل الغيبية والميتافيزيقية.⁵ وهكذا تم قطع الطريق أمام الفكر الديني، جراء إرساء المبادئ التجريبية الحسية التي تقوم عليها الوضعية المتعارضة مع الدين.

¹ المرجع نفسه: ص ص 124-125.

² جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي، ص 579.

³ حسن غالي: إشكالية المنهج في علوم الإنسان بين الأصل والعصر، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، ديسمبر 2018م، ص 60.

⁴ محمد عابد الجابري: مدخل إلى الفلسفة العلوم والنصوص في الأبيستمولوجيا المعاصرة، ج2، ط2 دار الطليعة، بيروت، 1982م، ص 48.

⁵ حسن غالي: إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية، ص 07.

2-2) التاريخية (التاريخانية):

يقوم المنهج التطوري على فكرة محورية مفادها أن كل ما هو موجود في الطبيعة يتطور مع مرور الأزمنة، فالحقب التاريخية التي مرت بها البشرية أثبت أن الكون برمته خاضع لمبدأ الضرورة التاريخية حتى مستوى الأفكار والآراء والمعتقدات، حيث "تعتبر التاريخية منهجا فكريا يلتزم بعرض المفاهيم العلمية، من حيث تطورها عبر التاريخ، فالتاريخية مرتبطة بالتطور التاريخي للمفاهيم دون سواها..."¹ فالتاريخية مذهب فكري يعمل على الحكم على الأفكار والحوادث، من خلال نسبتها إلى الزمن والوسط التاريخي، الذي حدث فيه وعليه يصبح تفسيرها يتماشى مع الفترة التاريخية التي وقعت فيها، ويظهر الحكم عليها منطقيا فالحوادث التاريخية خاضعة لسيرورة التاريخ، وفق تسلسل زمني للأحداث والحوادث ضمن إطار مكاني وزماني محدد².

أما التاريخانية فهي لا تختلف كثيرا عن التاريخية، فكل منهما عبارة عن منهج فكري قائم على فكرة التطور والضرورة التاريخية للحوادث، غير أن التاريخانية ارتبطت بنجاح الفلسفة الوضعية في أوروبا خلال القرن 19 فعرفها أركون على أنها، "العقيدة التي تقول بأن كل شيء وكل حقيقة تتطور مع التاريخ، وهي تهتم كذلك بدراسة الأشياء والأحداث بارتباطها بالظروف التاريخية."³ أما بالنسبة لتعريفه للتاريخية فيقول: "التاريخية عبارة عن مرحلة متقدمة من البحث التاريخي الحديث المتحرر من كل الأفكار المسبقة، وهكذا تعتبر الحفر الأركيولوجي في أحداث ووقائع الماضي دون أي اعتبار لقداسة الأمور، حتى وإن كان متعلقا بالنصوص التأسيسية للفكر الإسلامي."⁴ فلا يمكن أن تستمر أفكار ومعتقدات الماضي لزمان حاضر فالكل محكوم بتاريخ زمكاني محدد، وينطبق الأمر ذاته على معتقدات الفكر الديني، الذي لا يخل من أبعاد التاريخية الممتدة للفترة الراهنة، وهذا يتنافى مع المذهب التاريخي أو التاريخاني.

2-3) الماركسية:

شهد القرن التاسع عشر ظهور إيديولوجيات جديدة تقوم على التقدم العلمي والمادي للمجتمعات، التي تعمل على فهم حركة تطور المجتمع الإنساني خلال الحركة التاريخية حيث ظهرت الماركسية كتوجه فكري أكدت تغلب الإيديولوجيا المادية الجدلية على مجمل المفاهيم الغيبية، فالعلم الحديث أكد تطور الكائنات

¹ مراد وهي: المعجم الفلسفي، دار قباء، مصر 2007م، ص 156.

² جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي، ص 229.

³ محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر هاشم صالح، ط2، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1996م، ص 139.

⁴ المرجع نفسه، ص 139.

الحية في مجال المادة الحية والمادة الجامدة، ذلك أن الوعي الإنساني خاضع لمبدأ التطور هو الآخر.¹ لأن الكون كله يقع تحت وطأة سيرورة النمو والتبدل، والحركة المستمرة في الطبيعة والمجتمع والفكر البشري. "فالماركسية تمثل نظاما متسقا من وجهات النظر عن العلم ككل، وعن قوانين تطوره حيث تعمل على تقديم التطور متكامل الماهية للعالم، وكيفية تطوره ومكانة الإنسان في هذا العالم"². إن الكلام عن الماركسية هو كلام عن المادة (الفلسفة المادية)، حيث تقوم الماركسية على أساس مادي تاريخي، وهو ما يعرف بالمادية التاريخية نتيجة تطبيق المنطق الجدلي، الذي يفسر التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية، حيث تقوم بتفسير عملية تطور القوانين الاجتماعية، كما تعتبر الماركسية نظرية اجتماعية اعتمدها ماركس في دراسة المجتمع من جانبه المادي الاقتصادي، وعلى أساس " أن المادة أو الوجود هما أصل ظهور الوعي أو الفكر."³ فالمادية التاريخية امتداد للفلسفة الأوربية، التي تؤكد أن العالم المادي هو وحده العالم الحقيقي الجدير بالتأمل والاهتمام، حتى العقل مادي كونه نتاجا لعضو مادي هو الدماغ⁴، وعليه قام ماركس بإضافة المنهج الجدلي للمفهوم المادي لكي يكون قادرا على بناء تصور صحيح، عن حركة التطور والديناميكية للمجتمع الإنساني.

وعليه يمكننا أن نستنتج أن المنهج التطوري منهجا نشأ في أحضان الفلسفة الغربية، وتحت تأثير الواقع الاجتماعي للحضارة الغربية، وبناء على التطورات السياسية والاقتصادية، والدينية والثقافية التي عرفتها المجتمعات الغربية. وتطبيقه على الفكر والتراث العربي الاسلامي لا يحترم متطلبات المنهج التاريخي، وخصوصيات تطور المجتمع العربي الاسلامي، ومع ذلك أصر المستشرقون على دراسة العالم العربي الاسلامي، بنفس الأدوات والمنهج التي طبقت على الفكر الغربي.

الفصل الثاني: المنهج التطوري في الفكر الاستشراقي:

كان للفكر الاستشراقي الدور الفعال في بعث فكرة تجديد الإسلام، عن طريق اقتراح اساليب مستحدثة للبحث، والنظر فيه من اجل تطوير احكامه وتشريعاته، ليكون متناسبا مع الظروف الانية، حيث اقدم بعض المستشرقين على تطبيق نظرية التطور في دراسة الأديان وخصوصا على الفكر الإسلامي، على اعتبار أن الأفكار تتغير وتتطور كباقي الأمور الأخرى، فظهرت كتابات بعض المستشرقين في علم الحديث خصوصا متأثرة بنظرية التطور (Evolution theory) التي أحدثت ضجة علمية واسعة، الأمر الذي جعلها عمادا للكثير من المذاهب

¹ غازي الصوراني: مدخل إلى الفلسفة الماركسية، ط1 غزة، 2018م، ص 32.

² فلاد يميز لنين: سيرة مختصرة وعرض للماركسية، ط1، تونس، (د،ت)، ص 12.

³ درياز أنوف: محاضرات في تاريخ الماركسية، تر جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1970م، ص 4.

⁴ بوشنسكي (إ.م): الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1992 م، ص 92.

الفكرية والنظريات المنهجية في الغرب الأوربي، في شتى المجالات حتى المجال الديني، حيث تقوم هذه النظرية على إنكار مبدأ الثبات فالكل خاضع لمبدأ التجدد والصبوروة عن طريق تجدد صفاته الاساسية¹، ذلك ان الكون برمته خاضع لمبدأ التطور وعلى هذا الأساس ظهرت عدة أعمال استشراقية قائمة على هذا المنهج، حيث بدأت تظهر الإرهاصات الأولى لفكرة عصرنة الإسلام مع القسيس هارولد سميث "Smith Harold" الذي يقول: "إن وجهتي في هذا المقال أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة، وإن اقترح طرقاً لدراسة النظرية الإسلامية المهمة للإنسان... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك للعلماء المسلمين أنفسهم."² وهي دعوة صريحة لإعادة تجديد الإسلام وتطويره من طرف القسس والمستشرقين، وقد تم تصدير هذه الفكرة لأبناء المسلمين عن طريق المبشرين والحملات التبشيرية، التي تعد وجهها سافراً من أوجه الاستشراق المتأمر على التراث الإسلامي. حيث أهتم المبشرون الغرب بمسألة تجديد الإسلام وتطوير مكنزاته فيقول (هاري درومان)(Harry Dorman): "نتوقع من المبشرين في الأقطار العربية الإسلامية في ظرف عدة أعوام، أن تثمر جهودهم في تجديد الإسلام وتطويره أكثر من تطوير عقلية المسلمين وتغييرهم، ومما شك فيه أن هذا المجال واسع ومفتوح للعمل، ولا يغفل عنه في أي حال."³ إذن هي دعوات صريحة من قبل المبشرين المستشرقين لتحديث الإسلام، والتي أصبحت ضرورة ملحة بالنسبة لهم للتشكيك في قضايا التراث الإسلامي، خصوصاً بعد حملات التشويه الواسعة التي قام بها المستشرقون طيلة سنين ضد الإسلام، ومبادئه (القرآن والسنة). في حين اظهر المستشرقون حماساً كبيراً اتجاه بعض الحركات الإصلاحية الدينية من قبل المسلمين، كحركة أحمد خان في الهند التي تبنت بعض الطروحات الغربية، حيث تعمل على تقريب الهوة بين الشرق والغرب،⁴ والجمع بين الفكر الأوربي وتعاليم المسيحية وتعاليم الإسلام، والتي بدأت تتماهي مع الفكر الغربي، حيث عبّر عن ذلك المستشرق المجري (جولد زهر) مهتماً بمسألة تجديد الإسلام من خلال كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام)، الذي تحدث فيه عن التطور الذي شهده الإسلام في الهند فيقول: "إن الاتصال الوثيق بالمدينة الغربية، وخضوع الملايين الفقيرة منهم لدول غير إسلامية، وذلك بسبب ما قام به الأوروبيون من الفتح والاستعمار... كل هذه العوامل أحدثت أثراً عميقاً في الطبقات الإسلامية المستنيرة، وعلاقتها بما ورثته من نظريات وتقاليد دينية، وكانت هذه النظريات والتقاليد حاجة شديدة وملحة إلى التقريب والملائمة بينها وبين الظروف الجديدة."⁵ إذ

فتح الدين أبو الفتح البيانوني: مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، مكتب الملك فهد الوطنية، الرياض، 1433هـ، ص 190.

محمد محمد حسن: الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، القاهرة، (د.ت)، ص 137.

³ بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدين، ط 2، مركز التأهيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية، 2012، ص 181.

⁴ المرجع نفسه، ص 181.

⁵ المرجع نفسه، ص 182.

لابد أن تكون هناك مرونة للدين الإسلامي لكي يتعاطى مع المدنية والحضارة، والتخلي عن الجمود والعادات والتقاليد التي أقرها الإسلام، خصوصا الإسلام الأول كما ينعتة المستشرقون. ومن بين السبل والآليات التي أقترحها (جولد زهر) لتجديد الإسلام هي إحداث ثغرة في السنة لكي يتمكن المسلمون من التخلص من التشدد والجمود، باعتبار السنة لا تمثل المنهج الوحيد للقانون الإسلامي¹، وبذلك يصبح الإسلام قابلا للتجديد والتحديث وفق معطيات العصر الجديد، وهذا تشويه واضح للتراث الإسلامي في مجال السنة النبوية الشريفة والتشريع الإسلامي، كما اظهرت كتابات (جولد زهر) في مجال الحديث في القسم الثاني من كتاب (دراسات محمدية) تأكيدا على أن الحديث ما هو إلا تطور تاريخي للفكر الديني الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني. فالحديث في نظره لم يكن موجودا خلال الفترة المبكرة للإسلام، وهكذا اعتبر: "الحديث النبوي أثرا من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في العصور اللاحقة."² حيث زعم (جولد زهر) أن بعض الأحاديث مزيفة نسبت الى الرسول لارتباطها ببعض الأفكار والآراء التي ظهرت في القرن الأول، ومن أمثلة ذلك فقد شكك (جولد زهر) في صحة قوله صلى الله عليه وسلم: "ما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه" بحجة أن فكرة هذا الحديث تتناسب مع الفكر الصوفي المتأخر.³ وعدم مناسبتها تماما مع الحقبة الأولى التي ظهر فيها الإسلام، كما أكد ان الحديث النبوي قد تطور عبر مرور الزمن حتى صار مناسبا للواقع السياسي والاجتماعي، حيث يقول: "وهكذا صار الحديث في إطار الأبعاد الدينية والخلقية في الإسلام وتطوراته... وفيه تطورت المبادئ الأخلاقية التي وجدت أسسها في القرآن، ففيه نرى ان هذه الحركات الخلقية السهلة واللطيفة، لم يكن الإسلام الأول مستعدا لها."⁴ وعليه تعرض التراث الإسلامي للتغير والتطور تماهيا مع الظروف الراهنة، زاعما ان الفقه قد تطور هو الآخر عبر العصور، بناء على ما تنم به الحاجة او الضرورة في الحياة عامة، بداية من وفاة النبي حتى الأجيال المتأخرة، زاعما ان الأحاديث الموضوعية تم سردها نسبة لمتطلبات الحياة ومقتضياتها، فتمت صياغة عدة أحاديث تتلاءم مع فترات معينة متقدمة وفق صيغة محكمة. وهكذا أصبحت الأحاديث الموضوعية تخدم مجمل الأفكار، والتوجهات والنظريات والأحزاب والمذاهب.⁵ بغرض دعم توجهاتهم الفكرية والمذهبية والطائفية، من خلال سرد الأحاديث التي تتوافق مع توجهاتهم. كما طبق المستشرق (جوزيف شاخ) المنهج التطوري على مجال الفقه الإسلامي، حيث يرى أن الأحاديث الفقهية خضعت لتطور ملفت خاصة (بتطور الأسانيد) زاعما أن

¹ المرجع السابق، ص 183، 184.

ص 91. فتح الدين أبو الفتح البيانوني: مدخل الى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث،²

المرجع السابق: ص ص 91-92.³

غولد زهر: العقيدة والشريعة، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، (د ت)، ص 43.⁴

المرجع نفسه: ص ص 37-41.⁵

الأسانيد تطورت عبر الزمن بطريقة عشوائية، ووصلت إلى الكمال خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وعبر عن ذلك قائلًا: "ولهذا فمن الصعب علينا أن نشارك علماء المسلمين في ثقتهم في الأسانيد... فبعض الأسانيد التي يشك فيها المحدثون هي في الواقع نتيجة الانتشار الواسع للوضع في الجيل السابق للإمام مالك."¹ ولكن لا خلاف في أن بعض الأحاديث موضوعة، وهذا ما أقره علماء الحديث المسلمون، بتطبيقهم لمنهج الاسانيد والجرح والتعديل في علم الحديث، ولكن رفض السنة جملة وتفصيلا، والتشكيك في صحة الأحاديث ككل، كما يرى المستشرقون هو طعن واضح في صحة الأحاديث النبوية، وفي قواعدها الأساسية، وضرب للمصدر الثاني للتشريع في الإسلام.

تواصلت الأصوات الاستشراقية الداعية لتطوير المنظومة الإسلامية وبلورة الفكر التجديدي الإصلاحي، في عقول المسلمين إذ نجد المستشرق الانجليزي (جب) قد كتب مؤلفا بعنوان (الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، حيث ناقش عبر فصوله موضوع التجديد في الإسلام إلى جانب "تشارلز آدمز Charles. Adams" الذي ألف (الإسلام والتجديد في مصر) كما نجد "ولفرد كانتول W.C.smith" من خلال كتابه (الإسلام المعاصر في الهند) الذي تحدث فيه عن تيارات التجديد في الإسلام، وعبر عن إعجابه بها، ورَّحَّب بحركة محمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب والأفغاني وسيد أحمد خان،² داعيا إلى تدعيمها وتشجيعها أكثر للتخلص من السلطة الدينية التقليدية، التي أصبحت لا تتماشى مع الواقع الحضاري. والدفع بالمسلمين أكثر فأكثر لاقتفاء خطوات المجتمع الغربي الذي مر بنفس التجربة من قبل، والتي أتت أكلها بالفعل على المجتمع الأوربي الذي مر بحركة الإصلاح الديني، وإعادة بعثه من جديد على اعتبار ان مواكبة العصرنة تقتضي تطور الأفكار والمبادئ والقناعات. حتى وان كانت دينية وعليه تمكن الغرب من ولوج مرحلة الحداثة وما بعدها، وهكذا قرر المستشرقون حث العرب المسلمين على تطبيق نفس الخطوات التي خطاها الغرب، لأنها سوف تنجح في الشرق الإسلامي تماما كما حدث في الغرب المسيحي.³ خصوصا مع انتشار الفكر الغربي والتعليم العلماني في البلدان العربية خلال المئة سنة الأخيرة، وكلها شكلت حافزا مهما لأبناء المسلمين للاقتداء بالغرب حيث تشعب المفكرون العرب برؤى التجديد، ودعاوي المستشرقين، وتبنى كثير من الحداثيين تلك الأفكار بدعوى التقدم والتطور والحداثة.

فتح الدين أبو الفتح البيانوني: مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، ص 193.

² بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدين، ص 184.

³ المرجع نفسه، ص 185.

(4) المنهج التطوري في القراءات الحدائنية للنص الديني:

بعد الهجمة الشرسة للاستشراق على الشرق الإسلامي، ومحاولة تغريبه فكريا وحضاريا من خلال ضرب الوحدة الفكرية للمفكرين المسلمين، التي أدت إلى إضعاف ثقتهم في تراثهم الإسلامي، واعتباره أهم الأسباب التي أدخلت العالم الإسلامي في غياهب التخلف والتقهقر الحضاري المادي والمعنوي. كان ذلك كله بمثابة دوافع أدت إلى ترسيخ فكرة التجديد كضرورة لخروج العرب المسلمين من أزمتهم ونكبتهم الحضارية، عن طريق تجديد الدين وبعثه من جديد كخطوة أساسية للتمدن والتحضر، لكن من الواضح أن الحدائين العرب يحذون حذو المستشرقين، والتقليد الأعلى للغرب الاستشراقي، خاصة الذين أسسوا للفكر المادي العلمي التجريبي كقياس أولي للنظر للأمور والحكم عليها، بما فيها القضايا الدينية التي لم تكن بمعزل عن المادية العلمية التي جسدها الغرب في تعاطيه مع الكتاب المقدس، فالحدائين العرب لم يبدعوا رؤية خاصة ببيئتهم، بل اعتمدوا على أطروحات الغرب من خلال تبنيهم للفكر المادي (العلمي التجريبي) إزاء الفكر الإسلامي من خلال النقد التاريخي للنصوص، ومقاربتها بالمنهاج الحديث الغربية والمعاصرة، عن طريق تحييد القداسة عنها¹ واعتبارها مجرد نصوص تاريخية. وعليه تم التعامل معها وفق المنهج التطوري الذي فرضه الحدائين العرب على حقل الدراسات الدينية، باعتبار النص الديني الخاضع للحتمية التطورية لمواكبة تطورات العصر، وهذه الرؤية هي التي أسسها الفكر الاستشراقي كما أشرنا إليها سلفا.

وهكذا أقدم المفكرون العرب على تطبيق المنهج التطوري على التراث الإسلامي، داعين إلى بناء مشاريع نهضوية من شأنها التجديد والنهوض بالمجتمعات العربية. وكانت البداية من تطوير وتجديد الفهم الديني، لكي يكون متماشيا مع ما تفرضه الساحة العالمية من تحديات حضارية وفكرية وعلمية، في ظل إفرافات الحضارة الغربية التي نهل منها الحدائين العرب منها الإيديولوجيات والمنهاج، ووسائل البحث في مجال الدراسات الدينية واعتبروها النموذج المثالي الذي يحتذي به في هذا التوجه، فاصطبغ الفكر العربي بالفكر الغربي واتجهوا إلى تجديد قراءة النصوص الدينية منتهجين جل الإيديولوجيات والاساليب الغربية والاستشراقية عليها بما فيها المنهج التطوري، حيث يرى مثلا (محمد أركون) أن كل الأشياء تخضع للتطور مع التاريخ، حتى الحقائق الدينية لم تستثن هي الأخرى من الخضوع تحت وطأة التطور، على اعتبار أن التقدم التاريخي يفضي لترسيخ مفهوم التطور الذي يسرى على الكل.² بما فيه مقدسات الدين، فالعقائد والأفكار الأكثر رسوخا وتأصلا كمسائل العقائد الدينية وقضايا الإيمان بالله، شأنها شأن الأمور الأخرى الخاضعة للتطور، فهي ليست

¹ حمادي ذويب: السنة بين الأصول والتاريخ، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2013م، ص 307.

² محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 139.

بمنأى عن التحول والتغير التاريخي.¹ كما يؤكد (نصر حامد أبو زيد) على أن مجمل الظواهر الاجتماعية تابعة لحيثياتها الزمانية والمكانية، وشروطها المادية والدينية، بما فيها البني والمؤسسات والمفاهيم هي الأخرى.² التي تتبع الصيرورة التاريخية التي تجعلها تتطور عبر الأزمنة، كل ذلك يتم من خلال خلفية الرؤية التاريخية (التاريخانية) المادية للتراث الإسلامي من طرف الحداثيين العرب. حيث صرح (عبد الله العروي) أن "التاريخانية تدل على عقيدة معينة تقضي بتطور العلاقة مع التاريخ."³ فالعروي لا ينطلق من التاريخ العربي الواقعي وخصائص تطوره، بل ما يفترضه أن يكون في هذا التاريخ قياساً على خصائص تطور تاريخ الغرب، وتطور أحداثه كميّار للتاريخ الكوني.⁴ وعليه وجب التوجه إلى تطبيق المنهج التطوري على التراث الإسلامي، وفق ما تقتضيه الحداثة الغربية من ظروف وتطورات، وهذا تقليد أعنى للفكر الغربي دون مراعاة خصوصية المجتمعات الإسلامية.

كما أكد (حسن حنفي) على البعد المادي للوحي على اعتبار أنه نابع من التجربة الإنسانية القابلة للتطور والتقدم، على حسب ما تقتضيه الخبرات البشرية قائلا: "...هو مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية، التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة وكثيراً من هذه الحلول تغيرت وتبدلت حسب التجربة، على مقدار الإنسان وقدرته على التحمل، وكثيراً من هذه الحلول لم تكن كذلك في بادئ الأمر معطاة من الوحي. بل كانت مقترحات من الفرد والجماعة ثم أيدها الوحي وفرضها."⁵ وعليه وجب التخلي عن الفكرة الكلاسيكية الستاتيكية القائلة بأن الوحي القرآني ليس هو ذلك الكلام المعجز، الزاخر بالقوانين المقيّدة للفكر الإنساني، بل الهدف منه هو مساعدته على الانماء والازدهار والتطور.⁶ من خلال التخلي عن قواعد التحليل والتحريم التي أضحت لا تتناسب مع تقدمية التاريخ وتحديات الظروف الراهنة وتداعياتها، التي تخول له هذه الخاصية، ونفس الموقف يتخذه (الطيب تيزيني) الذي دعى إلى تطبيق المنهج التطوري على القرآن الكريم، حيث انطلق من نفس مبدأ المعتزلة القائلة بمسألة خلق القرآن، التي تفرض عليه مبدأ التطور والتغير عبر الأزمنة والتطور الفكري البشري حيث يقول (الطيب تيزيني): "كانت الأهمية الملفتة للتيار الاعتزالي في ذلك المجتمع النظر في كلام النص القرآني

¹ المرجع نفسه: ص 137.

² نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، ط2، سينا للنشر، القاهرة، 1994، ص 95.

³ عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، ط4، المركز الثقافي العربي، 1997م، ص 16.

⁴ حسن بشاتي: الحداثة في الفكر العربي المعاصر وإشكالية الخصوصية والعالمية دراسة تحليلية نقدية، إشراف عبد الرحمان بوقاف، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005م - 2006م، ص 265.

⁵ حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (د،ت)، ص 135-136.

⁶ حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة المقدسات النظرية، دار التنوير للنشر والطباعة والمركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، لبنان، 1988م، ص

على أنه مخلوق، لأن مثل هذا النظر يتيح للباحث والفقهاء والمؤمن العادي، جميعاً وكل من موقعه في ضوء إملائه الاجتماعية والثقافية وغيرها، أن يتصرفوا بالكلام المذكور بمثابة بنية تاريخية مفتوحة، لا تخضع للاتجاهات والتغير والتبدل التي تطرأ على الوضعيات الاجتماعية المشخصة.¹ وهذا تصريح واضح منه بضرورة تطور النظر في مجال الحقل القرآني، فالحتمية التاريخية اوجبت التخلي عن قدسيته وثبات تشريعاته التي بدأت تتقادم مع مرور الأزمنة، التي فرضتها التطورية الداروينية التي دعى إليها (محمد شحرور) بشكل صريح حينما نادى بضرورة توظيف علوم العصر على النص القرآني بما فيها التطورية الداروينية قائلاً: "...فالقُرآن حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني وفهم هذه الحقيقة لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي، على رأسها الفلسفة والعلوم الموضوعية من كوسمولوجيا وفيزياء وكيمياء وأصل الأنواع وأصل الكون والبيولوجيا وسائر العلوم الطبيعية... لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء) وعليه فإن العلماء ليس علماء الشريعة والفقهاء وحدهم... إن الفلاسفة وعلماء الطبيعة وفلسفة التاريخ وأصل الأنواع والكونيات والإلكترونيات هم ورثة الأنبياء."² حيث يرى شحرور انه ليس بالضرورة على المسلمين الالتزام بما طبقه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في حياته من أفعال وتصرفات في الوقت الحالي، فالمسلم المعاصر هو في حل من تلك الالتزامات التي لا داعي لها.³ على اعتبار أن العصر الحالي فندها، فقد أصبحت غير مناسبة لمقتضيات الراهن ومستلزماته، فالمادية التاريخية تفرض التطور والديناميكية على المبادئ الدينية، لمواكبة التقدم الفكري والحضاري لبعث اسلام معاصر متجدد ليس بالضرورة ان يكون مطابقاً للإسلام الأول، نظراً الى تباين الحثيات الفكرية والزمانية والحضارية، فالمسلمات المعاصرات مثلاً ليس عليهن الالتزام باللباس الذي التزمت به النسوة في تلك الحقبة الزمنية (زمن النبي)، وعليه تسقط فريضة الحجاب، وعدة فرائض أخرى في زمننا الحاضر وفقاً للتطور الدارويني، والرؤية الاستشراقية التي تهدف الى إفراغ الإسلام من أحكامه، والتشكيك في صلاحيته لمجتمعاتنا، وعملوا على تحقيق ذلك بمختلف الطرق والمناهج والأساليب.

(5) نتائج تطبيق المنهج التطوري على القراءات القرآنية:

لقد نتجت عدة اعتبارات من خلال تطبيق المنهج التطوري على القرآن، نجملها كعناصر كالآتي:

(1-5) تجاوز أحكام وتشريعات النص القرآني: من خلال ضرب شموليته وصلاحيته عبر الأزمنة، فالمنهج التطوري ألغى فكرة صلاحية أحكام القرآن وتشريعاته، بحجة عدم مناسبتها للواقع الحالي، وعليه يتعين

¹ طيب تيزني: النص القرآني أمام البنية والقراءة، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1997م، ص ص 298-299.

² محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، (د،ت)، ص ص 103-104.

³ المرجع نفسه: ص 473.

تجاوزها وأهمالها.¹ والعمل على إيجاد قوانين وأحكام وضعية نابعة من إحدائيات المرحلة الحالية. حيث تحدث (الجابري) عن تجاوز التشريعات القرآنية الخاصة بهذه المسائل التي لا تتلاءم مع الحاضر، وفقاً لما فرضته تطورات الحياة الاجتماعية والثقافية، مثل تجاوز قضية الميراث، فالمرأة اليوم أصبحت تشتغل وتشارك في نفقة البيت والأولاد، وعليه تم تجاوز الآية: (للذكر مثل حظ الأنثيين) سورة النساء الآية 176، إلى جانب تطور المفاهيم والثقافة الداعية للمساواة بين المرأة والرجل في قضية الميراث.²

(2-5) ترسيخ فكرة تاريخية القرآن الكريم: عن طريق إخضاعه لحتمية الزمان والمكان الذي يؤدي إلى التخلص من سلطة النص.³ والتنصل من قواعده ومبادئه بحجة تجاوز حدودها الزمانية والمكانية، والدعوة إلى تطوير الفهم في مجال علوم القرآن والسنة كالتفسير والفقه وغيرها⁴، وتطويرها لخدمة البشرية وفق تجديد أحوالها الفكرية والاجتماعية والثقافية، فخاصية التغير تقتضي تبدل الأحكام والتشريعات التي فقدت جدواها في الحاضر وفق ما تفرضه الحتمية التاريخية التطورية.

(3-5) التأكيد على البعد المادي للقرآن الكريم: عن طريق إنكار المفاهيم الغيبية المتعلقة بقضايا (الوحي، الاله، المعجزات... الخ)، والاحتكام لكل ما هو مادي حسي تجريبي حيث قدم (الجابري) تفسيراً لحادثة الإسراء والمعراج كونها لا تخرج عن إطار رؤية منامية للنبي قائلاً: "...والذي نختاره أن الإسراء والمعراج حدث على صورة منامية".⁵ وهذا ينطبق مع المادية التطورية والرؤيا الاستشراقية التي صنعت في كل ما يتعلق بالأمور الخاصة بالنبوة، فالتفسير المادي للنص القرآني أفقده مكانته وقدسيتها، وأضحى القرآن مجرد نص ضمن المورث الثقافي لبيئة تجاوزها الزمن.

(4-5) ترسيخ النزعة التقدمية: من خلال تجاوز القراءات الكلاسيكية الأصولية، والنزوع نحو رؤية جديدة تعبر عن التقدم والتطور المجتمعي الحالي. وعليه وجب إهمال ركائز الفكر الإسلامي، ومقولاته الأساسية بحجة التطور الذي يعمل على تجاوز القديم منها، والاستغناء عنها، فما كان معمولاً به في السابق هو نابع من احتياجات المسلم في مرحلة مبكرة للإسلام،⁶ بعيداً كل البعد عن احتياجات الزمن الحاضر.

¹ محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، 2003م، ص 60.

² محمد عابد الجابري: القرآن والحداثة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1982م، ص ص 54-55.

³ أحمد إدريس الطعان: العلمانيون والقرآن الكريم، ط1، دار بن حزم، الرياض 2007م، ص 33.

⁴ محمد شحرور: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ط1، دار الأهالي، دمشق، 2000م، ص 125.

⁵ محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ط1، ج1، دار دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 190.

⁶ طيب تيزيني، محمد سعيد رمضان البوطي: الإسلام والعصر تحديات وأفاق، ط2، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص ص 114-116.

5-5) نزع القداسة عن النص القرآني: واعتباره مجرد نص تاريخي عادي منوط بزمن ماضي فقد سلطته وصلاحيته منذ زمن. لذا وجب تجديده وتحديثه تماشيا مع مستجدات العصر، حيث يقول (علي حرب): "كيف نقرأ النصوص قراءة نقدية تاريخية ونزعم أننا لا ننزع عنها صفة التعالي والقداسة؟ فلا مجال إذن للمداولة والالتفاف بل بالأحرى والأولى مجابهة المشكلة بدلا من الدوران حولها".¹

خاتمة:

ان مجمل ما طرحه الحداثيون العرب في مسألة تطوير الإسلام وعصرنته، ما هو الا محاكاة للمقولات الغربية الاستشراقية، التي رسخت فكرة ضرورة تجديد الإسلام وتطويره، استنادا على أساليب ومناهج العلوم التجريبية الغربية التي لا تتناسب مع القضايا الدينية عموما، والإسلام خصوصا. فالمنهج التطوري القائم على المادية والوضعية والتاريخية والماركسية، جعلها ايدولوجيات تبناها المفكرون العرب كخلفية فكرية للقراءات القرآنية المعاصرة. فالنزعة التطورية القائمة على انكار الغيبيات، كانت ولا تزال الركيزة الأساسية في انتشار الفكر الالحادي في الغرب الأوربي. وعلى الرغم من ذلك عمد النهضويون العرب إلى تطبيقه على التراث الإسلامي اقتداء بالمستشرقين، الامر الذي أدى الى التوصل الى النتائج ذاتها التي تتجلى في ضرب قواعد المنظومة الإسلامية ككل، وتفريغها من مضمونها، عن طريق الطعن في شمولية مبادئها وتشريعاتها، وتشويهها وتمييعها من اجل التماهي مع النموذج الغربي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد إدريس الطعان: العلمانيون والقرآن الكريم، ط1، دار بن حزم، الرياض 2007م.
2. بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدين، ط 2، مركز التأهيل للدراسات والبحوث المملكة العربية السعودية، 2012م.
3. بوشنسكي (إ.م): الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، 1992م.
4. حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ت).
5.: من العقيدة إلى الثورة المقدسات النظرية، دار التنوير للنشر والطباعة والمركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، لبنان، 1988م.

¹ علي حرب: نقد النص، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص77.

6. حمادي ذويب: السنة بين الأصول والتاريخ، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2013م.
7. درياز أنوف: محاضرات في تاريخ الماركسية، تر: جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت، 1970م.
8. صلاح عثمان: الدارونية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولة، منشأ المعارف، الإسكندرية 2001م.
9. طيب تيزني: النص القرآني أمام البنية والقراءة، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1997م.
10.، محمد سعيد رمضان البوطي: الإسلام والعصر تحديات وأفاق، ط2، دار الفكر، دمشق، 1999م.
11. عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.
12. عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، ط4، المركز الثقافي العربي، 1997م.
13. علي حرب: نقد النص، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
14. غازي الصوراني: مدخل إلى الفلسفة الماركسية، ط1 غزة، 2018م.
15. غولد زهر: العقيدة والشريعة، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، (د، ت).
16. فتح الدين أبو الفتح البيانوني: مدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، مكتب الملك فهد الوطنية، الرياض، 1433هـ.
17. فلاديمير لنين: سيرة مختصرة وعرض للماركسية، ط1، تونس، (د، ت).
18. كمال التابعي: تغريب العالم الثالث، ط2، دار النصر، القاهرة، 1995م.
19. محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، ط2، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1996م.
20. محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، (د، ت).
21.: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ط1، دار الأهالي، دمشق، 2000م.
22. محمد عابد الجابري: القرآن والحداثة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1982م.
23.: مدخل إلى الفلسفة العلوم والنصوص في الأبستمولوجيا المعاصرة، ج2، ط2 دار الطليعة، بيروت، 1982م.
24.: مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقران الكريم، ط1، ج1، دار الدراسات الوحدة العربية بيروت، 2006م.
25. محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ت).

26. محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، القاهرة، 2003م.
27. محمد محمد حسن: الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، القاهرة، (د، ت) ص 137.
28. نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، ط2، سينا للنشر، القاهرة، 1994.
29. هادي المدرسي: عن الإنسان والمادية الدارونية، دار التعاون، (د، ت).

2/ المعاجم والقواميس:

1. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، البيئة العامة لشؤون المطابع، مديرية مصر، 1983م.
2. جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م.
3. مراد وهبي: المعجم الفلسفي، دار قباء، مصر 2007م.

3/ المجلات والدوريات:

1. حسن غالي: إشكالية المنهج في علوم الإنسان بين الأصل والعصر، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 07، ديسمبر 2018م.

4/ الأطروحات الجامعية:

1. حسن بشاتي: الحداثة في الفكر العربي المعاصر وإشكالية الخصوصية والعالمية دراسة تحليلية نقدية، إشراف عبد الرحمان بوقاف، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2005م-2006م).

أهمية التراث الثقافي ودوره المؤثر في التنمية من منظور العلوم الاجتماعية The importance of cultural heritage And its influential role in development From a social sciences perspective

ط.د. عبد الكريم جندي/جامعة ابن طفيل، المغرب

JENDI ABDELKRIM/Guidance counsellor/PhD student, Ibn Tofail University, Morocco

Abstract:

This article attempts to approach the relationship of cultural factors with the issue of progress and development of societies from a social sciences perspective, More precisely, It is an attempt to determine the importance of the cultural dimension And its impact on the process of societies development Within the field of social sciences.

This article is not intended to defend the "determinism" of the cultural factor as the only factor that controls the development and progress of societies in various socio-historical contexts, it is an attempt to discuss the importance of this factor, Among other factors, From a social sciences perspective, With the initial recognition that "development" is a comprehensive and complex process that is formed by several dimensions, Therefore, addressing its problems requires different approaches that are consistent with its contexts.

key words: Heritage, Culture, Development.

ملخص:

يحاول هذا المقال الاقتراب من علاقة العوامل الثقافية بمسألة تقدم وتنمية المجتمعات من منظور العلوم الاجتماعية، وبشكل أدق، فهو محاولة للوقوف عند أهمية البعد الثقافي ومدى تأثيره في سيرورة تنمية المجتمعات ضمن حقل العلوم الاجتماعية.

ليس الغرض من هذا المقال الدفاع عن "حتمية" العامل الثقافي كعامل وحيد يتحكم في تنمية وتقدم المجتمعات في مختلف السياقات السوسيوثقافية، إنما هي محاولة لمناقشة مدى أهمية هذا العامل، ضمن العوامل الأخرى، من منظور العلوم الاجتماعية، مع الإقرار المبدئي بأن "التنمية" عملية شاملة ومركبة تشكلها عدة أبعاد، ولذلك فمعالجة إشكالياتها تتطلب مقاربات مختلفة تنسجم مع سياقاتها.

الكلمات المفتاحية: التراث، الثقافة، التنمية.

تمهيد:

لم يكن البحث العلمي الأكاديمي يولي اهتماما كبيرا بالتراث الثقافي وبمواده وعناصره خاصة قبل الحرب العالمية الأولى، وبعد هذه الفترة، تزايدت الدراسات المهمة بهذا الميدان، لكنها، في الغالب، ارتبطت باكتشاف الثقافات، وبقضايا الحفاظ على الذاكرة الجماعية، والتعريف بهوية المجتمع وخصوصيته الثقافية أمام المجتمعات والثقافات الأخرى. أما في العقود الأخيرة وخاصة بعد ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، فقد أصبح البحث الأكاديمي في التراث الثقافي يرتبط بميادين وقضايا وإشكاليات متعددة، لعل من أهمها مسألة تأثيره وتدخله في تنمية المجتمعات وفي مسار تقدمها؛ وقد حظيت هذه المسألة باهتمام متزايد خاصة لدى العلماء الاجتماعيين الذين سنقدم منظورات بعض منهم في هذا المقال؛ فقد انشغل هؤلاء بمدى تأثير عناصر التراث الثقافي في سلوك الإنسان وأنماط تفكيره وتمثله للعالم من حوله بشكل عام، وفي مسألة التنمية والتقدم بشكل خاص.

إن من أبرز الأخطاء الكبيرة التي سقطت فيها الكثير من المقاربات التنموية في مجتمعاتنا النامية، تتمثل في ارتكازها، في أحيان كثيرة، على منظور أحادي يغلب عليه البعد التقني والاقتصادي، وفي المقابل إهمالها للبعد الثقافي (La dimension culturelle) قبل تطبيق المشاريع التنموية، وأثناء تطبيقها في الواقع. هذا على الرغم

من كون هذه مجتمعاتنا "متأثرة كثيرا بما هو موروث"¹ كما قال عالم الاجتماع الفرنسي جاك بيرك (Jacques Berque).

خلافا لهذه الرؤية الأحادية فإنه من الضروري، بادئ الأمر، أن نشير إلى أن الإشكاليات التنموية لا يمكن اختزال معالجتها وفقا لمقاربة أو مدخل وحيد، وإلا سنجد أنفسنا نعيد إنتاج الفشل والعطب باستمرار. كما أن الالتجاء إلى إسقاط برامج تنموية سابقة على مجال آخر مختلف دون مراعاة خصوصيته الثقافية من جهة والجغرافية من جهة أخرى؛ فالنتيجة هي ما يمكن نعتة بالتنمية المعاقة أو التنمية المشوهة؛ لأنها لا تتماشى والوسط الذي طبقت فيه، بل وقد تلحق به الضرر؛ وهذا سيكون أشبه بتدخل طبيب مبتدئ لإجراء عملية جراحية لمريض دون إجراء التشخيص الأولي ليعرف نوع المرض، وأسبابه، وطبيعة جسم المريض، فحتما ستفشل العملية وستنعكس سلبا على صحة المريض.

البعد الثقافي ودوره المؤثر في التنمية من منظور العلوم الاجتماعية.

إن الإنسان ليس مجرد كائن اجتماعي فقط بل هو كائن ثقافي أيضا، ولهذا نجد أن المسألة الثقافية حظيت باهتمام كبير داخل العلوم الإنسانية وخاصة منها الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، إن الثقافة كما يوضح دنيس كوش تمكن الإنسان ليس من التأقلم مع محيطه فحسب، بل أيضا من تأقلم المحيط معه، ومع مشاريعه وحاجياته²، خاصة عندما نكون بصد وسط تسوده ثقافة تقليدية؛ حيث يؤكد مجموعة من الباحثين المعاصرين، لذين سنتطرق للآراء بعضهم، أنه "بدون معرفة الثقافة التقليدية فإنه من الصعب أن تنجح السياسة التنموية وأن تحقق أهدافها"³، وبالتالي فمصيرها يكون هو الفشل.

لكل هذه الاعتبارات، كان لا بد للعلماء الاجتماعيين والمهتمين بقضايا التنمية وإشكالياتها أن يعمقوا البحث أكثر في أسباب التأخر والركود الذي تعرفه بعض البلدان النامية، لكن هذه المرة بالارتكاز على التفسيرات الثقافية بعد هيمنة النظريات ذات التفسير الخطي/الميكانيكي للتاريخ، حيث ترى هذه النظريات أن جميع المجتمعات يجب أن تمر بنفس مراحل التنمية التي قطعها الدول المتقدمة، كما في نظرية الاقتصادي الأمريكي

1 رحمة بورقية، "الدولة والسلطة والمجتمع"، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت 1991، ص: 161.

2 دنيس كوش، "مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية"، م.س، ص: 10.

3 Rachid Najib, « la culture amazighe et le développement humain », colloque et séminaires, direction Moha Ennaji, Editeurs Revue & L, imprimerie Simpama Fes, 1ère édition 2007, p : 25.

والت روستو (Walt Rostow)¹، بالإضافة إلى النظريات ذات التوجه الاقتصادي والتقني². فلم تعد الثقافة إذن محايدة في تشكيل التقدم والازدهار الذي تنشده المجتمعات، كما أنها ليست بريئة في عرقلة هذه الأهداف، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقام من خلال استحضار منظورات مهمة لبعض العلماء والباحثين في حقول العلوم الاجتماعية.

• ماكس فيبر: القيم الدينية البروتستانتية أساس تقدم النظام الرأسمالي.

إذا كان هناك عدد من الباحثين في العلوم الاجتماعية الذين ركزوا اهتماماتهم على العوامل الثقافية في تفسير السلوك الإنساني عموماً والتنمية والتقدم بشكل خاص؛ فإن عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (Max Weber) كان من الأوائل الذين استطاعوا رسم الطريق والمنهج لتحقيق ذلك، بل إن أغلب المهتمين المعاصرين بجذلية الثقافة والتنمية في حقل العلوم الاجتماعية ينعتون بكونهم من "الفيريين الجدد" أو من "ورثة ماكس فيبر".

لقد كان الارتكاز على البعد الثقافي بارزاً في تصور فيبر للطريقة التي يجب على علم الاجتماع أن يتبعها في دراسة الظواهر الاجتماعية، فهو يعد من أبرز من رفضوا الباراديغم الاستيمولوجي "الوضعي التفسيري" في العلوم الإنسانية لصالح الباراديغم الاستيمولوجي "الفهمي". ولهذا فإن العلم الاجتماعي وفق منظور فيبر هو الذي يتأسس على فهم ثقافة المجتمع عبر فهم المعنى الذي يعطيه أفراد المجتمع لممارساتهم.

كما نتلمس اهتمام فيبر بالأبعاد الثقافية بوضوح أكثر، من خلال مساهماته في مجالي الدين والاقتصاد وتحديداً في العلاقة الموجودة بين القيم الدينية والقيم الاقتصادية، فقد كان هذين المجالين "من أهم ميادين الأنشطة الإنسانية التي أثارت انتباه فيبر"³ كما يشير جوليان فروند (Julien Freund). لقد أدى به هذا الاهتمام إلى البحث في كيفية "تأثير الأديان على صناعة السلوك والأفكار، حيث توصل للفرضية القائلة بتأثير الأخلاق البروتستانتية على نشوء الرأسمالية وتطورها"⁴، وهي الأطروحة التي دافع عنها في دراسته المشهورة حول "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" (L'Éthique protestante et l'esprit du capitalisme)، والتي "أثارت

1 تنبني نظرية "روستو" حول التنمية على فكرة مفادها أن عملية انتقال أي مجتمع من حالة التخلف إلى حالة التقدم يجب أن تكون وفق سلسلة من الخطوات والمراحل، التي لا بد من المرور بها. (نقلاً عن: جمال حلاوة وعلي صالح، "مدخل إلى علم التنمية"، نشر الشروق، الطبعة الأولى، 2010، ص: 53).

2 J.C.Sanchez – Arnau et D. Desjeux, « la culture clé du développement », op. cit, p :15.

3 Julien Freund, « MAX WEBER », Presse universitaires de France, Paris 1969, P : 39.

4 لورن فلوري، "ماكس فيبر"، ت: محمود علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2008، 1، ص: 13.

منذ ظهورها جدلا والتباسا كبيرين¹ كما قالت كاترين كوليو-تيلين (Catherine Colliot-Thélène). فكيف دافع فيبر عن أطروحته هذه؟

اعتبر فيبر أن المعتقدات والقيم أشياء واقعية مثلها مثل القوى المادية، من الممكن أن تغير من طبيعة الواقع الاجتماعي، ولهذا كان فيبر يعتقد أن أي تفسير منطقي ومادي للرأسمالية غير كاف، لأنه يتجاهل روحها، أي القيم التي تشكلها وبالتأكيد سابقة عليها، كما أنها تفسر نشوءها وتاريخها². فالرأسمالية وفق هذا المنظور "انطلقت كحضارة صناعية وتقنية من العقلية المسيحية، وتحديدًا من الأخلاق البروتستانتية"³. وهذا ما يبرز مدى أهمية العامل الثقافي في تشكل الأنظمة الاقتصادية وفي تنمية وتقديم المجتمعات، عكس ما كان سائدا من آراء وتفسيرات في فترة ظهور هذه الأطروحة الفيبرية.

يقول فيبر في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" أن بإمكان دراسته هذه أن تساهم في تفسير كيفية تحول الأفكار إلى قوى تاريخية فعالة⁴، وأن ما يهيمه من خلال هذا البحث هو اكتشاف الحواجز السيكولوجية التي تمتد جذورها إلى المعتقدات والممارسات الدينية التي ترسم للفرد سلوكه وتبقيه عليه⁵، وبشكل أدق، تعيين حدود التأثيرات الدينية ومساهماتها في تكوين العقلية الرأسمالية تكوينا نوعيا، وفي نشرها كميًا عبر العالم، ويكمن أيضا بالإضافة إلى ذلك في تعيين المظاهر الملموسة للحضارة الرأسمالية⁶، هذه الحضارة التي كانت العقيدة البروتستانتية ركيزتها الروحية لتظهر على الشاكلة التي هي عليه الآن من تقدم وازدهار.

إن البروتستانتية كما قال فيبر "تهتم اهتماما كبيرا بتدشئة الفرد تدشئة عقلية، وهي تمنح المهنة قيمة أخلاقية كبيرة، كما أنها تقديس العمل، بل وتعتبر أن تأدية العمل بأمانة وحماسة واجب مقدس"⁷، وهذه المعايير والقيم هي من شكلت الرافعة والدعامة الأساسية للتقدم الذي عرفته الدول الرأسمالية، في حين أن

1 كاترين كوليو-تيلين، "ماكس فيبر والتاريخ"، ت: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1994، ص:34.

2 أنظر: آدم كوبر، "الثقافة: التفسير الأنثروبولوجي"، ت: تراجي فتحي، مراجعة: ليلي الموسوي، عالم المعرفة-349، مارس 2008، ص:66.

3 Gilbert Durand, « Les grands Textes de la sociologie moderne », DORDAS, Paris 1969, P : 150.

4 ماكس فيبر، "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" ت: محمد علي مقلد، مراجعة: جورج أبو صالح، نشر مركز الإنماء القومي لبنان، ص:58.

5 المرجع نفسه، ص:67.

6 المرجع نفسه، ص:59.

7 طلال عبد المعطي مصطفي، "أبحاث في علم الاجتماع: نظريات ونقد"، دار هادي-دمشق، الطبعة الأولى 2002، ص:95.

"النقص المطلق في الأمانة، والأنانية والطمع، والشراسة في طلب الربح هي كلها ملامح مميزة في البلاد التي بقي فيها التطور الرأسمالي والبرجوازي متخلفا بالقياس الغربي"¹ وفقا لهذا المنظور الفيبيري.

اعتمد فيبر في بناء استدلالاته على معطيات إحصائية وأمثلة ميدانية استحضرها في كتابه المذكور سابقا، يقول في هذا السياق: إذا عدنا إلى الإحصائيات المهنية في بلد تتعايش فيه الطوائف الدينية المتعددة نلاحظ بصورة متوازية واقعا يتلخص في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة، والملاك التقني والتجاري ذو الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة، هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية². ومن الأمثلة الأخرى التي استعان بها فيبر للدفاع عن أطروحته ما ذكره حول وجود عدد كبير من مناطق "الرايخ" (ألمانيا) الأكثر غنى والأكثر تطورا من الناحية الاقتصادية، والأوفر حظا في أوضاعها، وأيضا غالبية المدن الغنية قد اعتنقت البروتستانتية منذ القرن (16م)، وهي حقيقة كان لها وما يزال مضاعفات وضعت البروتستانتين في الظروف الفضلى من النضال من أجل الوجود الاقتصادي³. كما أن البروتستانتية كانت أحد أهم العوامل في تطور الرأسمالية والصناعة في فرنسا⁴ كما قال فيبر.

وفي المقابل فسبب عدم نمو الرأسمالية في بعض المناطق الأخرى كان مرده حسب فيبر لطبيعة الإيتوس (L'éthos) أي العادات والتقاليد التي تسيطر على ذهنيات أفراد المجتمع؛ وفي هذا الصدد يضرب لنا مثلا بالصين القديمة التي رغم توفرها على الشروط المادية، ووجود نظام نقدي، وتوسع ديمغرافي، إلا أن غياب الأحكام الأخلاقية وعلى وجه التحديد بسبب الإطار الصارم والجامد للعادات والطقوس، أي النزعة المحافظة التي تنطوي عليها الكونفوشيوسية، كان حائلا أمام نمو الرأسمالية بهذا البلد⁵ وفق منظور فيبر.

من كل ما سبق، نستنتج أن التصور الفيبيري يمدنا بالأسس النظرية لدراسة العلاقة بين العوامل الثقافية والتنمية، ليصبح سؤال "كيف تصنع الثقافة التنمية؟" سؤالا مشروعاً يستفز عقل الباحثين الاجتماعيين، ليتمكن هؤلاء من الاقتراب أكثر من معالجة قضايا التنمية، وخاصة في مجتمعاتنا النامية التي يحدد السلوك الاجتماعي فيها وفق معيار ثقافي بامتياز. إلا أن ارتكاز فيبر على الطائفة البروتستانتية التي يعتبرها تمتلك المقومات الثقافية لتشكيل مجتمعات متقدمة، كان من ضمن الانتقادات التي وجهت لأطروحته، ومن بينها تلك

1 المرجع نفسه، ص:31.

2 المرجع نفسه، ص:16.

3 المرجع نفسه، ص:16.

4 المرجع نفسه، ص:19.

5 لورن فلوري، "ماكس فيبر"، م.س، ص:57.

التي قدمها عالم الاجتماع الأمريكي (الروسي الأصل) سوروكين (Pitirim Sorokin) الذي يقر بأنه لا يجد مبرر يدعو فيبر إلى اعتبار الكونفوشية أكثر خرافية وأقل عدائية للسحر من المسيحية واليهودية، ذلك لأننا نلاحظ أن الكونفوشية تدعو إلى العمل، وتعارض النزعة الميتافيزيقية، كما أنها تتضمن نظرة عقلية منظمة في تنشئة الفرد تتردد في تعاليم كونفوشيوس¹. لنتساءل ونحن نستحضر خصوصيتنا الثقافية، ألا يمكن لمجتمعاتنا الإسلامية أن تحقق التقدم والتنمية إلا إذا تم ترسيخ قيم ومعتقدات الطائفة البروتستانتية؟ أم أن الدين الإسلامي يتضمن مبادئ وقيم وتعاليم جديدة بتمكين إنسان هذه المجتمعات من تحقيق التطور والازدهار على شاكلة الدول المتقدمة؟

• مشروع أكاديمية هارفورد حول القيم الثقافية والتقدم البشري.

نظمت أكاديمية هارفورد للدراسات الدولية والإقليمية بالولايات المتحدة الأمريكية مشروعاً بإشراف لورانس هاريزون (Lawrence Harrison) المدير السابق لمعهد التغيير الثقافي في مدرسة فليتشر (Fletcher School) جامعة تافتس (Tufts University). وقد كان كتاب "قضايا الثقافة: كيف تشكل القيم التقدم الإنساني" (Culture Matters: How Values Shape Human Progress)²- الذي ترجمه شوقي جلال إلى العربية بعنوان "الثقافات وقيم التقدم"³- الناتج الرئيس وليس الوحيد لهذا المشروع⁴؛ وكان هاجس الباحثين المشاركين في الندوة هو الإجابة عن السؤالين التاليين: ترى إلى أي حد تصوغ العوامل الثقافية التطور الاقتصادي والسياسي؟ وإذا كانت هي الحاكمة لهذه الصيغة، فكيف يمكن إزاحة أو تغيير العوائق الثقافية التي تعيق التطور الاقتصادي والسياسي حتى يتسنى تيسير عملية التقدم⁵؟ وقد شارك في هذا المشروع فريق من الباحثين تجاوز عددهم العشرين باحثاً من دول مختلفة.

1 Pitirim Sorokin, « contemporary sociological theories », Harper, N, Y, 1928, P: 693-696.

نقلا عن: محمد علي محمد، "القيم الثقافية والتنمية"، من كتاب: دراسات في التنمية الاجتماعية، تأليف جماعي، سلسلة علم الاجتماع المعاصر الكتاب العاشر، ط3، دار المعارف مصر 1977، ص: 341.

2 أنظر:

Lawrence E. Harrison, Samuel P. Huntington, « Culture Matters: How Values Shape Human Progress », Published by Basic Books, A Member of the Perseus Books Group, New York 2000.

3 أنظر: لورانس إ. هاريزون، صامويل هنتجتون، "الثقافات وقيم التقدم"، ت: شوقي جلال، ط2، القاهرة 2009.

4 صمويل هنتجتون، "الثقافات ودورها المؤثر"، من كتاب "ثقافات وقيم التقدم"، تحرير: لورانس هاريسون وصمويل هنتجتون، ت: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة 2009، ص: 20.

5 المرجع نفسه، ص: 20.

يقول هاريزون واصفا بعض معالم هذا المشروع، أنه استطاع أن يثير اهتمام نسبة كبيرة جدا من الباحثين في الندوة التي أنجزت في صيف (1998) بأكاديمية هارفورد للدراسات الدولية والإقليمية لاستكشاف الحلقة التي تربط بين الثقافة والسياسة والتطور الاقتصادي والاجتماعي¹. لكن مشروع هاريزون هذا لم يكن وليد تلك الفترة التي أنجزت فيها الندوة، بل كان استمرارا لمشروع ضخيم رسم ملامحه الأولى منذ نشر كتابه "التخلف حالة عقلية: حالة أمريكا اللاتينية" (Underdevelopment Is a State of Mind: The Latin American Case) الذي صدر عن مركز هارفورد للشؤون الدولية عام (1985)، وقد حاول من خلاله أن يثبت أن الثقافة في الغالبية العظمى من بلدان أمريكا اللاتينية كانت العقبة الأولى والأساسية في طريق التطور. وقد أثار تحليل هاريزون في هذا الكتاب عاصفة من الاحتجاجات من جانب الاقتصاديين والمثقفين والخبراء لشؤون أمريكا اللاتينية، ولكن بدأ كثير من هؤلاء خلال السنوات التالية يرون أن دراسته تتضمن عناصر صائبة². وما ندوة هارفورد إلا نتيجة لهذا الجهد المتراكم.

يرى هاريزون أن عدد الباحثين والصحفيين والسياسيين والمسؤولين عن التنمية الذين يركزون على دور القيم والاتجاهات الثقافية كعوامل من شأنها أن تيسر أو تعيق التقدم يتزايد. وأن هؤلاء هم الورثة الفكريون لأليكسيس دي توكفيل (Alexis de Tocqueville) الذي خلص إلى القول بأن ما جعل النظام السياسي الأمريكي نظاما ناجحا هو توفر ثقافة متلائمة مع الديمقراطية. ولماكس فيبر (Max Weber) الذي فسر صعود الرأسمالية بأنها ظاهرة ثقافية في جوهرها لها جذورها العميقة في الدين كما وضعنا سابقا. وأيضا لإدوارد بانفيلد (Edward Banfield) الذي كشف عن الجذور الثقافية للفكر ونزعة الحكم التسلطي في جنوب إيطاليا، وهذه حالة لها تطبيقاتها في أنحاء كثيرة في العالم³ كما يقول هاريزون.

إن الكثير من المحللين الذين عكفوا على دراسة معجزات شرق آسيا الاقتصادية على مدى العقود الثلاثة الأخيرة خلصوا - كما يوضح هاريزون- إلى أن القيم "الكنفوشية" مثل التأكيد على المستقبل، والعمل، والإنجاز والتعليم والجدارة والادخار، كان لها دور حاسم في تطوهم⁴، وهذا يدعم الانتقاد الذي قدمه سوروكين (Sorokin) لفيدر كما ذكرنا سابقا. أما فيما يخص التقدم بالدول الإسلامية، فيبين هاريزون أنه باستثناء بعض

1 لورانس هاريزون، "لماذا الثقافة مهمة؟"، من كتاب "ثقافات وقيم التقدم"، تحرير: لورانس هاريسون وصمويل هنتيجتون، ت: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة 2009، ص: 32.

2 أنظر: صمويل هنتيجتون، م.س، ص: 20.

3 أنظر: لورانس هاريزون، م.س، ص: 32.

4 لورانس هاريزون، "دعم التغيير الثقافي المرحلي"، من كتاب "ثقافات وقيم التقدم"، تحرير: لورانس هاريسون وصمويل هنتيجتون، ت: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة 2009، ص: 489.

الدول كتركيا وماليزيا فإن التقدم بهذه الدول ظل بطيئا، ومن مظاهره الأمية خاصة بين النساء وارتفاع وفيات الأطفال، وبالرغم من غنى الدول الخليجية كالسعودية والإمارات والكويت، لكنها لا تزال، وفق منظور هاريزون، تقليدية للغاية في كثير من المجالات¹. فما السبب في هذه المفارقات التي تعرفها البلدان الإسلامية وفق هذا التحليل الهاريزوني؟

يرى هاريزون أن حركة التقدم البطيئة في العالم الإسلامي خلال القرون الأخيرة تتناقض تناقضا صارخا مع القوة التقدمية التي تمتعت بها البلدان الإسلامية على مدى مئات السنين بعد تأسيس الإمبراطورية الإسلامية، وتتناقض أيضا مع القوة الطاغية للإمبراطورية العثمانية على مدى القرنين الخامس عشر والسادس عشر². ومن أبرز الشخصيات الذين يردون انحسار الإسلام إلى عوامل ثقافية المؤرخ البريطاني برنارد لويس (Bernard Lewis)، إذ يؤكد على أن النتائج المترتبة على مسألة غلق باب الاجتهاد على أيدي الفقهاء الإسلاميين فيما بين القرنين (9م و11م)، هي قمع مشروعات الأعمال والتجربة والأصالة، وإعادة ترسيخ النظرة القدرية إلى العالم³، وهي عوامل ثقافية أدت إلى تراجع وركود المجتمع الإسلامي بعد ديناميته في ميادين مختلفة وفق هذا التصور. وضمن أهم الباحثين المشاركين في ندوة أكاديمية هارفورد حول العوامل الثقافية والتقدم الإنساني، نجد أستاذ العلوم السياسية الأمريكي صامويل هنتيجتون (Samuel Huntington)، وهو الذي حرر مع هاريزون الكتاب المنبثق عن هذه الندوة المذكور سابقا.

يقول هنتيجتون أنه في مطلع تسعينيات القرن العشرين تصفح بيانات عن "غانا" و"كوريا الجنوبية" فانهش بعد أن لاحظ مدى تماثل الاقتصاد في البلدين آنذاك. فقد كانا متقاربين من حيث مستوى نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي، وأيضا في قطاعات اقتصادهما في مجال المنتجات الأولية والتصنيع والخدمات... كذلك كان البلدان يتلقيان مساعدات اقتصادية على مستوى واحد تقريبا. ولكن بعد مرور بضع سنوات، أصبحت كوريا الجنوبية عملاقا صناعيا يحتل المرتبة الرابعة عشر بين أضخم الاقتصاديات في العالم، ولم تشهد غانا تغيرات مماثلة، إذ لا يزال نصيب الفرد من الدخل القومي فيها حوالي خمس نظيره في كوريا الجنوبية⁴. فتساءل: كيف لنا أن نفسر هذا الفارق المثير في التنمية بين البلدين؟

1 لورانس هاريزون، "دعم التغيير الثقافي المرحلي"، م.س، ص: 497.

2 أنظر: لورانس هاريزون، "دعم التغيير الثقافي المرحلي"، م.س، ص: 497.

3 Bernard Lewis, « The west and the middle east », Foreign Affairs 76 (January-February 1997).

نقلا عن: لورانس هاريزون، "دعم التغيير الثقافي المرحلي"، م.س، ص: 498.

4 أنظر: صمويل هنتيجتون، "الثقافات ودورها المؤثر"، م.س، ص: 19.

وجوابا عن هذا السؤال، قال هنتجتون: "لا ريب أن ثمة عوامل كثيرة لها دورها المؤثر، ولكن بدالي أن الثقافة لها دور أساسي في التفسير، إذ إن الكوريين الجنوبيين يعلنون من قيمة الاقتصاد المزدهر والاستثمار والعمل الجاد، والتعليم والتنظيم والانضباط، هذا بينما تسود الغانين قيم مغايرة. خلاصة القول: "الثقافة لها دورها المؤثر"¹ في مسار تقدم وتنمية المجتمعات. يؤكد هنتجتون أن باحثين آخرين اقتربوا في مطلع التسعينيات إلى نفس النتائج التي توصل إليها بخصوص الدور المؤثر للثقافة في التنمية، واعتبر أن هذا التطور جاء كجزء من تجديد الاهتمام على نحو كبير بين العلماء الاجتماعيين. لأن الثقافة، في أربعينيات القرن العشرين، حظيت باهتمام كبير باعتبارها عنصرا حاسما في فهم المجتمعات، وتحليل الفوارق فيما بينها، وتفسير تطورها الاقتصادي والسياسي؛ ومن بين هؤلاء الباحثين يذكر هنتجتون كلا من مارجريت ميد وروث بينيديكت ودافيد ماكلييلاند وأليكس أنكيليس... الخ.

لكن خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين انخفض حجم هذا الاهتمام الأكاديمي بشكل كبير، ليبدأ انتعاشه من جديد في الثمانينيات باعتبارها إحدى المتغيرات للتفسير. في هذا السياق يرى هنتجتون أن أهم وأبرز إسهام في عملية الإحياء هذه، وأكثرها إثارة للجدل هو كتاب هاريزون بعنوان "التخلف حالة عقلية، حالة أمريكا اللاتينية". وبعد ذلك اتجه العلماء الاجتماعيون أكثر فأكثر إلى العوامل الثقافية لتفسير عمليات التحديث والدمقرطة السياسية والاستراتيجية العسكرية وسلوك الجماعات الإثنية والانحيازات والتطاحنات فيما بين البلدان². وهكذا تحول الاهتمام بالبعد الثقافي من عامل لا يؤخذ بعين الاعتبار أو عامل ثانوي ضمن العوامل الأخرى، إلى عامل مهم في فهم وتفسير إشكاليات التنمية والتقدم في مختلف المجتمعات.

• العوامل الثقافية وتأثيرها في تنمية المجتمعات العربية.

من أهم الدراسات العربية التي اهتمت بشكل مباشر بإشكالية التنمية في المجتمعات النامية من مدخل ثقافي، نجد الدراسة الميدانية التي قام بها كامل عبد المالك المدونة في كتابه: "ثقافة التنمية: دراسة في أثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة"³، حيث عمل الباحث على جرد مجموعة من الرواسب أو البقايا الثقافية (survivances culturelles) التي احتفظ بها المجتمع المصري، وبين مدى ارتباطها بمسار التنمية التي ينشدها هذا المجتمع، من خلال دراستها كظواهر تآثر في سلوك الأفراد وتفكيرهم. ولم يكن همه - كما وضح في مقدمة الكتاب - يكمن في الفصل بين قديم سيء وجديد متطور، بل في معالجة بعض ما خلفته الثقافة من

1 المرجع نفسه، ص: 19.

2 المرجع نفسه، ص: 21.

3 أنظر كتاب: عبد المالك كامل، "ثقافة التنمية: دراسة في أثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة"، دار مضر المحروسة، ط1، القاهرة 2008.

أنماط في التفكير والسلوك أصبحت اليوم معرقله لتنمية المجتمع، ولهذا فقد نبه لخطورتها خاصة وأنها منغرسه في المخيال الاجتماعي بشكل يجعل من الصعب نزع حضورها وتوقيف انتشارها في الأوساط الشعبية. ينطلق عبد المالك في هذه الدراسة بتوضيحه لملاحظة منهجية مهمة، وهي أن الرواسب الثقافية ليست كلها وفي جميع الأماكن تعرقل المشروعات التنموية، بل هي تختلف وفق الظروف الاجتماعية والعوامل التاريخية، كما أنها تختلف حسب متغير المكان فقد تكون حوافز لإنماء هذه المشروعات في بعض البلدان كما حدث في اليابان مثلا، بينما تقف حائلا في إنجاز أي من هذه المشروعات في بلدان أخرى ومن ضمنها بلداننا النامية. ولن يسعفنا المقام للتطرق لكل الرواسب الثقافية التي تناولها الباحث وإلى تأثيراتها في التنمية، بل سنكتفي بذكر بعض منها فقط.

يحدد هذا الباحث الرواسب الثقافية في المعتقدات من خلال تتبعه لبعض مظهراتها التي تنتشر في المجتمع المصري، لعل أكثرها بروزا وانتشارا ما يرتبط بالمعتقدات السحرية والمعتقدات المرتبطة بالتفاؤل والتشاؤم؛ فقد تبين للباحث أن الكثير من أعمال وأنشطة الناس محددة وفق هذا المعيار، إضافة إلى الاعتقاد بالأولياء وبقدراتهم، وقد بين الباحث أن الكثير من الأشكال الطقوسية التي ترتبط بهذا الاعتقاد لا تمت بالإسلام بصلة، إنما هي اعتقادات ناتجة عن تقليد وثني؛ وهذا أيضا ما أشار إليه الأنثروبولوجي إدوارد ويستمارك (Edvard Westermarck) الذي يرى أن تقديس الأولياء نبتت في الأصل في حقل الوثنية السابقة عن مجيء الإسلام¹. ومن الرواسب الثقافية أيضا ما يعرف بالعين الشريرة، أو الاعتقاد في الحسد، حيث يعتقد الساكنة أن الحسد له مفعول سلبي حتى على منتوجاتهم الزراعية، أما علاج ضحايا الحسد فيتم عن طريق طقوس سحرية كالأحجبة والتمائم والتعاويد وغيرها.

كما تطرق الباحث للرواسب الثقافية المرتبطة بالقدرية، وكيف ينعكس التأويل الخاطئ على الحياة العملية للمجتمع، فالبدوي في المجتمع القبلي التقليدي يشعر دائما أنه مسير ولا مجال أمامه للاختيار، مما يدفعهم إلى التواكلية السلبية. وكذلك الرواسب المرتبطة بالنظرة التي يحملها أفراد المجتمع لدور المرأة، خاصة في تحديد المهام المنوطة بها، بالإضافة إلى حرمانها من مجموعة من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لعل التعليم أبرزها، وكل هذا يصاغ بذريعة دينية، بالرغم من كون الدين بريء من ذلك، إنما هي ترسبات ثقافية اختلطت في أذهان الناس كما يقول الباحث.

1 عبد الغاني منديب، "الدين والمجتمع"، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية 2010، ص: 22.

لقد حرص الباحث على ربط هذه الرواسب الثقافية التي تناولها بإشكاليات التنمية بالمجال المدروس، ليجد أنها تمثل نوعاً من الركود الثقافي الذي يصعب الخروج منه لاحتفاظ أفراد المجتمع بها، وتناقلها من جيل إلى جيل رغم عدم جدواها لحياتهم العملية؛ وخاصة عندما يتم إسنادها إلى التعاليم الدينية، وإكسابها الشرعية حتى تتفق وميولاتهم ورغباتهم.

في هذا السياق يوضح أحمد رشوان في كتابه "علم الاجتماع الريفي" أن التنمية لا تتطلب الجمود والسكون والتواكل والكسل، والتفكير الخرافي، وإنما تتطلب النمو والتطور وسيادة قيم الطموح وروح المبادرة، ولن يتم ذلك إلا بإحداث تغيير ثقافي يؤدي إلى إضعاف القيم الاجتماعية المتوارثة، أو استبدالها بطائفة من القيم ومظاهر السلوك الجديدة التي لا تتعارض مع خصوصية المجتمع الدينية، لأن جوهر التعاليم الدينية الإسلامية لا تتعارض مع متطلبات التنمية والتحديث الذي يخدم مصالح الأفراد والمجتمع، ولهذا دعى هذا الباحث إلى ضرورة الانتفاع بالحوافز الدينية خاصة في التنمية القروية فهي التي تحركهم وتحم سهم في تطوير المجتمع¹، وهو المبدأ الذي فسّر من خلاله ماكس فيبر نشوء وتطور النظام الرأسمالي كما بينا سابقاً.

وفي سياق المجتمع المغربي يبين ريمي لوفو (Rémy Leveau) في دراسته حول "الفلاح المغربي المدافع عن العرش" (Le fellah marocain défenseur du trône) أن أهم العوامل التي تعوق التنمية في المجتمع، هي العوامل الثقافية، ومنها خصائص وطبيعة العائلة، والقيم والعادات والتقاليد، ونظرة الناس إلى العالم الذي يعيشون فيه². ولهذا نبه إلى مسألة لطالما يهملها الذين يطبقون البرامج التنموية في المغرب الذين يعتمدون مقارنة تقنية/اقتصادية ميكانيكية، دون مراعاة الخصوصية التي تميز المجال؛ يقول لوفو في هذا الشأن: إن قبول أي برامج للتنمية أو جزء منه لا بد أن يكون مصمماً بشكل يتفق مع العوامل الثقافية المعقدة والممارسات الاجتماعية والمعتقدات ورؤى العالم والقيم والاتجاهات السائدة في هذا المجتمع لأن هذه العوامل لها دور كبير وذو فاعلية وأهمية من حيث قبول أفراد المجتمع أو رفضهم للبرامج الخاصة بالتغيير المباشر الذي يتم عن طريق المؤسسات الخارجية³. ولهذا ففكرة البعد الثقافي تكمن في كونه يرتبط بكل مراحل العمليات والمشاريع التنموية الصغيرة والكبيرة، ولهذا فإن أخذه بعين الاعتبار يعد ضرورة ملحة لإنجاح المشاريع التنموية.

1 أنظر: أحمد رشوان، "علم الاجتماع الريفي"، مؤسسة شباب الجامعة، ط 1، القاهرة 2005، ص: 235-239-242.

2 ريمي لوفو، الفلاح المغربي المدافع عن العرش"، ت: محمد بن الشيخ، منشورات وجهة نظر، ط 1، 2011، ص: 45.

3 المرجع نفسه، ص: 36.

خاتمة:

نخلص من خلال هذا المقال الذي حاول الاقتراب من إشكالية تأثير التراث الثقافي في تنمية المجتمعات وتقدمها من منظور العلوم الاجتماعية، إلى أن المسألة التنموية ليست منفصلة عن البعد الثقافي داخل المجتمع، أو أن هذا البعد ليس له أهمية كبيرة مقارنة بالأبعاد الأخرى، بل لقد اتضح لنا، في المقابل، أن التراث الثقافي بما يتضمنه من عناصر وخاصة القيم والمعتقدات وأنماط التفكير ومختلف التمثلات التي يتشبهت بها الناس في مخيالهم الاجتماعي، يساهم بشكل قوي في الأسلوب الذي ينتهجه الناس في تسيير وتدبير مواردهم المادية والبشرية، وفي تركيب حالة التنمية والتقدم في المجتمع بشكل عام. فمن المؤكد أن للتراث الثقافي والتنمية ارتباط عضوي لا يمكن الفصل بينهما، أو الادعاء بأن تأثير الأول في الثانية مجرد تأثير ثانوي مقارنة مع تأثير العوامل الأخرى المتحركة في دينامية المجتمع وتقدمه.

قائمة المراجع:

- 1- أحمد رشوان، "علم الاجتماع الريفي"، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، القاهرة 2005.
- 2- آدم كوبر، "الثقافة: التفسير الأنثروبولوجي"، ت: تراجي فتحي، مراجعة: ليلى الموسوي، عالم المعرفة -349، مارس 2008.
- 3- إدوارد شيلز، "التراث، تأصيل وتحليل من منظور علم الاجتماع"، ت: محمد الجوهري، محمد عبد الرشيد، عدلي السمري، مصطفى خلف، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب جامعة القاهرة.
- 4- أنطوني غيدنز، "علم الاجتماع" ت: فايز الصياغ، المنظمة العبية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت 2005.
- 5- جمال حلاوة وعلي صالح، "مدخل إلى علم التنمية"، نشر الشروق، الطبعة الأولى، 2010.
- 6- جمال جمال عليان، "الحفاظ على التراث الثقافي"، عالم المعرفة 322، الكويت، ديسمبر 2005.
- 7- جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع (المجلد الأول)، ت: محمد الجوهري، أحمد زايد، محمد محيي الدين، عدلي السمري، محمود عبد الرشيد، هناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط2، 2007.
- 8- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، "الثقافة: دراسة في علم الاجتماع الثقافي"، نشر مؤسسة شباب الجامعة، جامعة الإسكندرية.
- 9- دنيس كوش، "مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية"، ت: منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، نشر المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2007.

- 10-رحمة بورقية، "الدولة والسلطة والمجتمع"، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت 1991.
- 11-ريمي لوفو، الفلاح المغربي المدافع عن العرش"، ت: محمد بن الشيخ، منشورات وجهة نظر، ط 1، 2011.
- 12-شارلوت سيمور-شميث، "موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات والأنثروبولوجية"، ت: مجموعة من الأساتذة في علم الاجتماع، بإشراف محمد الجوهري، القاهرة 2008.
- 13-عبد الغاني عماد، "سوسيولوجيا الثقافة" (المفاهيم وإلشكاليات..من الحداثة إلى العولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت 2006.
- 14-عبد الغاني منديب، "الدين والمجتمع"، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية 2010.
- 15-عبد المالك كامل، "ثقافة التنمية: دراسة في أثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة"، دار مضر المحروسة، ط 1، القاهرة 2008.
- 16-فريدريك معتوق، "سوسيولوجيا التراث"، نشر شبكة المعارف. الطبعة الأولى، 2010.
- 17-كاترين كوليو-تيلين، "ماكس فيبر والتاريخ"، ت: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، 1994.
- 18-لورانس إ. هاريزون، صامويل هنتجتون، "الثقافات وقيم التقدم"، ت: شوقي جلال، ط 2، القاهرة 2009.
- 19-لورن فلوري، "ماكس فيبر"، ت: محمود علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008.
- 20-ماكس فيبر، "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" ت: محمد علي مقلد، مراجعة: جورج أبو صالح، نشر مركز الإنماء القومي لبنان.
- 21-مالك بن نبي، "مشكلات حضارية: مشكلة الثقافة"، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، الطبعة الرابعة، بيروت 2000.
- 22-محمد الجوهري، "المدخل إلى علم الاجتماع"، كلية الآداب، الطبعة الثانية، القاهرة 2007.
- 23-محمد علي محمد، "القيم الثقافية والتنمية"، من كتاب: دراسات في التنمية الاجتماعية، تأليف جماعي، سلسلة علم الاجتماع المعاصر الكتاب العاشر، ط 3، دار المعارف مصر.
- 24-Gilbert Durand, « Les grands Textes de la sociologie moderne », DORDAS, Paris 1969.
- 25-Grigori Lazarev, «Ruralité et changement social; Etudes sociologiques», Série: Essais et Etudes n 64, faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, 1ère édition 2014, P :123-124.
- 26-J.C.Sanchez – Arnau et D. Desjeux , « la culture clé du développement »,op. cit.
- 27-Julien Freund, « MAX WEBER », Presse universitaires de France, Paris 1969.
- 28-Lawrence E. Harrison, Samuel P. Huntington, « Culture Matters: How Values Shape Human Progress », Published by Basic Books, A Member of the Perseus Books Group, New York 2000.

29- Madeleine Grawitz, « Lexique des science sociales », DALLOZ, 7e édition 2000.

30- Report of the World Commission on Environment and Development: "Our Common Future", 1987.

31- Tylor, Edward Burnett, "Primitive Cultures: Researches Into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art and Custom", Vol. 1, London: John Murray, 1920.

الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) وعلاقتها بفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي

دراسة ميدانية بمدينة المدية:

Behavioral patterns (A.B.C) and their relationship to the effectiveness of primary education teacher's teaching, Field study in Medea city

ط.د. حاج كولة عقيلة/ جامعة لوني سي علي البلدية 2

Hadj koulah Akila/ Université Lounici Ali Blida2

Abstract:

The study aims to recognize the relationship between different behavioral styles of primary education teachers and the effectiveness of teaching , as well as to learn about their dominant pattern , and to uncover gender differences in behavioral patterns and the effectiveness of teaching , the was done using a sample estimated at (170) primary phase teachers by applying the behavioral pattern scale and the measurement of teaching effectiveness , and after using various statistical methods , the following results were obtained:

- The behavioral Pattern A is the dominant pattern of primary education teachers.
- There is no statistically significant correlation between behavioral pattern (a,b,c)and the effectiveness of teaching in primary education teachers .
- There are no statistically significant differences between primary education teachers in behavioral patterns due to gender (male/female).
- There are no statistically significant differences between primary education teachers in the effectiveness of teaching, which are attributable to the gender variant (male/female).

Key words: behavioral patterns, effectiveness of teaching, primary school teacher.

ملخص :

هدفت الدراسة للتعرف على العلاقة بين مختلف الانماط السلوكية لأساتذة التعليم الابتدائي وفعالية التدريس، وكذا معرفة النمط السائد لديهم والكشف عن الفروق بين الجنسين في الانماط السلوكية وفعالية التدريس، وقد تم ذلك باستخدام عينة قدرت ب(170) من معلمي الطور الابتدائي وذلك بتطبيق مقياس الانماط السلوكية ومقياس فعالية التدريس، وبعد استخدام مختلف الاساليب الإحصائية تم التوصل إلى النتائج التالية :

- النمط السلوكي (أ) هو النمط السائد لدى أساتذة التعليم الابتدائي .

- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط السلوكية (أ، ب، ج) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي .

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم الابتدائي في الأنماط السلوكية (أ، ب، ج) تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث) .

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم الابتدائي في فعالية التدريس تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث) .

الكلمات المفتاحية: الانماط السلوكية، فعالية التدريس، أستاذ التعليم الابتدائي .

مقدمة :

شهدت المنظومة التربوية الجزائرية في السنوات الأخيرة إصلاحات كبرى مكنتها من بناء مناهج جديدة وفق مقاربة تدريس حديثة هي المقاربة بالكفاءات، رغم أن هذه الأخيرة تولي اهتماما كبيرا بالمتعلم دون إهمالها المعلم باعتباره في هذه المقاربة الموجه للتعلم فقط، ورغم ذلك يبقى المعلم هو أهم عنصر يشمل هذا التغيير فعلية النجاح مرتبطة بالدرجة الأولى به، وهذا يعود إلى دوره العظيم في تربية وإعداد إطارات المستقبل لذلك كان من الضروري الاهتمام بالمدرس خاصة في أهم مرحلة في بناء شخصية المتعلمين وهي مرحلة التعليم الابتدائي فالإصلاح يبدأ أولا من تحسين وضعية المدرس ماديا ومعنويا لأنه هو المطبق لهذه الإصلاحات على أرض الواقع ومن هذا المنطلق نجاح العملية التعليمية مرهون بالعقل البشري وبالناحية المهنية والنفسية والصحية

للمدرس ، لأن الحياة النفسية للمدرس مليئة بالمشاكل والمتاعب الناجمة عن مهنة التدريس ، ما يساعد في ظهور بعض الانماط السلوكية لدى المعلم ، والتي بدورها قد تساهم في فعاليتهم في التدريس وحبهم لهذه المهنة ومن بين هذه الأنماط التي قد تميز بعض معلمي المرحلة الابتدائية الأنماط السلوكية (أ، ب، ج) والتي تظهر من خلال تفاعل المعلم مع بيئته وكذا مختلف عناصر العملية التعليمية .

الإشكالية :

يعتبر المعلم من بين أهم عناصر العملية التعليمية - التعليمية ، فهو الموجه و قائد الصف فلا يمكن الاستغناء عنه رغم تطور الأنظمة التربوية ، لذلك حضي بمكانة رفيعة في المجتمع خاصة عند تعامله مع أصعب مرحلة وأهمها ، وهي المرحلة الابتدائية التي تعتبر القاعدة الأساسية في المسار التعليمي ، كونها تسهم في تكوين شخصية الفرد ، وذلك رغم تطور الوسائل والتكنولوجيا التي يشهدها العالم اليوم ، وحتى الإصلاحات التي شهدتها المنظومة التربوية الجزائرية في مجال التربية والتعليم وذلك باعتماد المقاربة بالكفاءات ، والتي يتمتع فيها المتعلم بنوع من الاستقلالية في نشاطه وفسح المجال له أمام مبادراته وأراءه ، لكن كل هذه التغيرات لم تنقص من دور المعلم الفعال في تنشيط المتعلمين وتوجيههم و تكييف ظروف التعلم ، وفي هذا الصدد يذكر محمد الديب عن الدريدي " أن طرق التفاعل الإيجابية أو السلبية أو عدم التفاعل بين التلميذ و المدرس تؤثر في النواتج المعرفية والوجدانية للتعلم " ¹

وقد تختلف درجة هذا التفاعل والنجاح في هذه العملية باختلاف شخصية المعلم ومدى امتلاكه لأهم المؤهلات التي تجعل منه معلما فعالا ، كما تملكه مهارات الاتصال ، وتوظيفه لمختلف طرق التدريس التي تحقق له أهدافه التعليمية ، وكذا مراعاته للفروق الفردية بين المتعلمين ، فضلا عن ذلك يجب أن يتميز ببعض الصفات الشخصية التي تجعل منه معلما فعالا ، باعتباره قدوة حسنة للمتعلم حيث توصلت رمزية الغريب (1970) في ناصر الدين زبدي في دراسة لها " حول أثر شخصية المدرس على تحصيل التلميذ إلى أن التلميذ يتأثر بالمدرس بكامل صفاته وهذا ما ينعكس سلبا أو إيجابا على تحصيله الدراسي " ².

¹ عبد المنعم أحمد الدريدي ، الجوانب الاجتماعية في التعلم المدرسي ، مقدمة نظرية وتطبيقات ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 109

² ناصر الدين زبدي ، سيكولوجيا المدرس ، دراسة وصفية تحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص 75.

ولقد توصلت بعض البحوث النفسية والتربوية إلى تبيان ثماني خصائص شخصية تم التوصل إليها باعتبارها الأكثر شيوعاً عند المدرسين الفعالين وهي: الحماس، الدفء وروح الدعابة، التكيف و المرونة، التوقعات العالية للنجاح، التشجيع والمساندة التوجه نحو العمل، سعة الاطلاع.¹

كل هذه الخصائص يجب أن تتوفر لدى المعلم الفعال لما تتطلب مهنة التدريس باعتبارها من أصعب المهن، وكذا الظروف المشتركة التي يعمل بها المعلم الجزائري، كاحتفاظ الأقسام، كثافة البرنامج الدراسي، قلة الوسائل التعليمية، حيث قد يكون لها تأثير على شخصية المعلم في مختلف الجوانب منها الجانب الصحي والنفسي، مما قد يساعد في ظهور بعض الصفات كالإحساس بضغط الوقت، العدائية، نقص الدافعية في الإنجاز، عدم الرضا عن العمل، والتي قد يشترك فيها العديد من المعلمين رغم اختلافهم من حيث الجنس أو خبرتهم في التدريس، وهذه السمات المشتركة تتكون وتتشكل لتصبح أنماطاً سلوكية، وقد ظهرت هذه الأنماط في المجال الإكلينيكي على يد كل من فريدمان و روزنمان (1959)، والتي من شأنها أن تؤثر على شخصية المعلم النفسية والمهنية، كما قد يكون لها تأثير على العملية التعليمية وذلك من خلال تفاعل المعلم مع تلاميذه ويمكن ظهور هذه الصفات بعد فترة زمنية معينة، لتشكل أحد الأنماط السلوكية الثلاثة (أ، ب، ج) وهذا التأثير يمكن أن يكون إيجابياً أو سلبياً حسب خصائص كل نمط، فالنمط السلوكي (أ) والذي اكتشفه روزنمان مع نهاية الخمسينات من خلال متابعته لمرضى القلب والذي يتميز بمجموعة من الصفات والتي يذكر منها أنه "عبارة عن علاقة بين الفعل و الانفعال ويكون لدى هؤلاء الأشخاص صراع دائم يهدف الحصول و بأقل وقت ممكن على عدد معين من الأشياء والأهداف كما أنه منظم مرتب يتعامل و يتفاعل مع محيطه بشكل جيد، كما أنه متحكم في ذاته واثق منها كما أنه يدرك مفهوم الوقت، ويعي مروره لذلك فهو لا يريد مروره دون أن يحقق شيئاً"²

أما النمط السلوكي (ب) فكما حدده فريدمان وروزنمان وأشار إليها جابر عبد الحميد وعلاء كفاقي 1996 إلى أن شخصية هذا النمط يستطيع أن يسترخي دون الشعور بالذنب ويعمل دون أن يتعرض للإحباط بسهولة ويشارك في الرياضات، الأنشطة الترويحية الأخرى بدون الشعور بالحاجة إلى البرهنة على تفوقه و على قدراته.³ وهنا يبدو لنا جلياً أن النمط السلوكي (ب) هو عكس النمط السلوكي (أ) من خلال تفاعله مع مرور الوقت، حتى أنه ليس عدوانياً ولا يتعرض للإحباط بسهولة.

¹ جابر عبد الحميد جابر، مدرس القرن الواحد والعشرين الفعال والمهارات والتنمية المهنية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 2000، ص 18.

² محمد أحمد النابلسي، أصول الفحص النفسي ومبادئه، الشاطبي الإسكندرية، 1997، ص ص 64، 65.

³ جابر عبد الحميد، علاء كفاقي، معجم علم النفس و الطب النفسي، دار النهضة العربية، ج 8، القاهرة، 1996، ص 48.

وفي ما يخص النمط السلوكي (ج) الذي ظهر في ثمانينات القرن العشرين على يد جيريوموريس 1980 والذي يتميز ببعض الخصائص التي نذكر منها أن يكون هادئا رصينا يميزه لطف مفرط، خضوع للسلطة والمعايير الاجتماعية، لديه تبعية للآخرين تثبيط لمشاعر العدوانية، خوف من الصراعات، شعور بالذنب دون سبب وشعور بالدونية و ميل اكتئابي.¹

وقد تختلف هذه الصفات الشخصية من معلم لآخر، مما يجعل الاختلاف حتى في عملية التدريس حيث جاء في دراسة سامح محافظة (2009) والتي هدفت إلى الكشف عن معلم المستقبل من حيث الخصائص والمهارات والكفايات اللازمة لإعداده، حيث كشفت نتائج الدراسة أن أهم الخصائص الواجب توافرها في معلم المستقبل هي: المعرفة الجيدة بمحتوى موضوع التخصص، والدراية الجيدة بخصائص المتعلمين وقدراتهم ونفسياتهم، ومهارة عالية في أساليب التدريس والتقييم، وقدرة عالية على التفاعل مع التلاميذ، أما في مجالات الكفايات فقد كشفت نتائج الدراسة أن الكفايات الضرورية للمعلم هي: الإعداد النظري والعملية له والالتزام بالقواعد الأخلاقية للمهنة والاستعداد لخدمة المجتمع المحلي والتواصل معه.²

هذا ما يجعل فعالية التدريس ترتبط بعدة عوامل من بينها شخصية المعلم، وحبه و ميله في اختيار مهنة التدريس، مما يجعله فعالا في أدائه، محققا بذلك ذاته وطموحه في إعداد جيل بأكمله، لذا حظيت دراسة هذا الموضوع أهمية في البحوث التربوية باعتبارها مرتبطة بأداء المعلم وشخصيته، وكذا الظروف المحيطة بعمله والتي قد تنعكس على أدائه المهني سواء بالسلب أو الإيجاب.

وبعد حديثنا عن متغيرات الدراسة، وكذا بعض الدراسات السابقة التي تطرقت لهذا الموضوع الذي دعت الحاجة التربوية للاهتمام به، يمكننا أن نطرح التساؤلات التالية:

- ما هو النمط السلوكي السائد لدى أساتذة التعليم الابتدائي؟

- هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط السلوكية (أ، ب، ج) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم الابتدائي في الأنماط السلوكية تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث)؟

¹ فتيحة بن زروال، أنماط الشخصية وعلاقتها بالإجهاد (المستوى، الأعراض المصادر واستراتيجيات المواجهة)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2012، ص 232.

² سامح محافظة، معلم المستقبل خصائصه، ومهاراته وكفاياته، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثاني، نحو استثمار أفضل للعلوم التربوية و النفسية في ضوء تحديات العصر المنعقد في رحاب جامعة دمشق، الكلية التربوية من 25-27 تشرين الأول 2009.

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم الابتدائي في فعالية التدريس تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث)؟

فرضيات الدراسة :

-النمط السلوكي (أ) هو النمط السائد لدى أساتذة التعليم الابتدائي .

- توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم الابتدائي في الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث).

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أساتذة التعليم الابتدائي في فعالية التدريس تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث).

أهمية الدراسة:

يعتبر موضوع فعالية التدريس من بين أهم المواضيع التي تحتاج إلى اهتمام كبير خاصة في المجال التربوي و ربطها بمتغير يخص شخصية المعلم ، ومن خلال دراستنا هذه سوف نبرز أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:-
-إثراء مجال البحث بالنسبة للباحثين و الدارسين في مجال علم النفس التربوي من خلال الكشف عن أهم العوامل المؤثرة على مهنة المعلم سواء المهنية أو الشخصية.

-الربط بين المجال الإكلينيكي و المجال التربوي في العملية التعليمية ، من خلال ارتباط الأنماط السلوكية بالمجال الإكلينيكي .

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف دراستنا في ما يلي :

- الكشف عن النمط السائد لدى أساتذة التعليم الابتدائي .

- التعرف على علاقة الأنماط السلوكية (أ، ب ، ج) بفعالية معلم الطور الابتدائي في التدريس .

-معرفة الفروق بين الجنسين في الأنماط السلوكية وفعالية التدريس لأساتذة التعليم الابتدائي.

مفاهيم الدراسة :

الأنماط السلوكية :

يعرفها لازاروس و غنيم (1985) إن لغة الأنماط تمكن من تبني نظام أوسع ، وأكثر توحد يسمح لنا بتصنيف مجموعة من الأفراد في نمط واحد على أساس أنهم يشتركون في مجموعة من السمات المتشابهة.¹

وفي دراستنا هذه اخترنا ثلاثة أنماط النمط (أ) والنمط (ب) والنمط (ج) والتي عرفت كما يلي :

يعرف جمعة سيد النمط السلوكي (أ) بأنه مجموعة من الخصائص السلوكية التي تظهر لدى الفرد وفق شروط معينة ولظروف محددة ، أو هو نمط من السلوك يتصف أصحابه ببعض الخصال المميزة مثل العدوانية والقابلية للاستثارة والشعور بضغط الوقت ، وعدم التحلي بالصبر والنشاط.²

أما محمد أحمد عبد الخالق (1996) يعرف النمط السلوكي (ب) بأن أصحابه أكثر استرخاء وتمهلا وصبرا، فإنهم يتكلمون ويتصرفون بطريقة أكثر بطئا وهدوء ، ويكشف أصحاب النمط (أ) بالمقارنة إلى أصحاب النمط (ب) عن نسبة أكبر في كل من الأزمات القلبية، حتى عندما يوضع في الاعتبار الفروق في كل من العمر، مستوى دهون الدم (الكوليسترول) ، معدل التدخين ، ضغط الدم.³

ويعرف النمط السلوكي (ج) والذي تصفه تيموشوك 1990 وزملائها الذين ساهموا في تطويره بالسمات الآتية: العجز للتعبير عن الغضب وتفريغ التوتر، الميل للموافقة والانصياع .

- غير مؤكد لذاته مضح بها ، ميال للتساهل وتجنب الصراع .

- صبور ، قادر على الانتظار وتقبل ضغط الوقت ، هادئ ، لا يفصح عما يستبد به من انفعالات ، تقدير منخفض للذات ، يتمسك بالروتين ، يعيش في وحدة نفسية ، كما أنه يعاني الاكتئاب والتشاؤم ويشعر باليأس.⁴

التعريف الإجرائي للأنماط السلوكية : هي ميل مجموعة من السمات للارتباط بعضها ببعض ويقصد به في هذا البحث أحد الأنماط الثلاثة ، النمط (أ) أو النمط (ب) أو النمط (ج) التي يقيسها مقياس أنماط الشخصية عند حصول المعلم على أعلى درجات في كل محور منه، المصمم من طرف الباحثة فتيحة بن زروال . (2008).

¹ ريتشارد.س. لازاروس ترجمة سيد محمد غنيم ، الشخصية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985 ، ص 62.

² يوسف جمعة سيد ، دراسات في علم النفس الإكلينيكي ، دار غريب ، القاهرة ، 2000 ، ص 68 ، 69 .

³ أحمد محمد عبد الخالق ، قياس الشخصية ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1996 ، ص 262

⁴ بدر محمد الأنصاري ، الشخصية من المنظور النفسي ، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1997 ، ص 94 ، 95

فعالية التدريس : وعرفته قطاعي بأنه مجموعة من الإجراءات التي يقوم بها المعلم في البيئة المدرسية ، عن قصد بهدف الوصول إلى نتائج في مجال التدريس من دون إهدار الوقت ، و الطاقة¹.

التعريف الإجرائي لفعالية التدريس : يمكن تعريف فعالية التدريس بأنها نشاط تعليمي مخطط ذو أهداف محددة مسبقا وإحداث تفاعل إيجابي بين أطراف العملية التعليمية ، كما تحدد الفعالية التدريسية للمعلم في دراستنا الحالية من خلال تطبيق مقياس فعالية التدريس لـ إينوكس و أخرون Enochs et al ، عند تحصل المعلم على أعلى درجة في هذا المقياس .

الدراسة الاستطلاعية: تعد الدراسة الاستطلاعية من الخطوات الرئيسية التي يقوم بها الباحث أثناء تطبيق دراسته فهي تساعده على التحقق من صدق وثبات أدوات جمع البيانات وتحديد مقاييس متغيرات الدراسة ، فقد تم استخدام مقياس أنماط الشخصية (أ ، ب ، ج) ومقياس فعالية التدريس ، وذلك من خلال تطبيقنا لأدوات الدراسة على عينة استطلاعية تقدر ب 50 معلم ومعلمة ببعض المدارس الابتدائية بمدينة المدية وتم اختيارهم بطريقة عشوائية ، وهذا لغرض تجريب أدوات الدراسة و التأكد من درجة صدقها وثباتها.

الدراسة الاساسية :

المنهج المتبع في الدراسة : نظرا لطبيعة موضوع دراستنا الحالية والمتمثلة في الأنماط السلوكية لأساتذة التعليم الابتدائي وعلاقتها بفعالية التدريس ، فإن المنهج الملائم لدراستنا هو المنهج الوصفي الارتباطي الذي من خلاله يتم وصف الظاهرة محاولين تفسيرها وتحليلها .

مجتمع الدراسة الأساسية :

يتكون مجتمع الدراسة في دراستنا من جميع مدرسي ومدرسات التعليم الابتدائي المثبتين بمدينة المدية والبالغ عددهم (664) فرد منهم (372) ذكور بنسبة مئوية قدرها (56,02%) و(292) إناث بنسبة مئوية قدرت (43,97%) موزعين على (52) ابتدائية حسب الإحصائيات المستمدة من مديرية التربية لولاية المدية للموسم الدراسي 2014-2015 والتي هي بدورها موزعة على (5) مقاطعات تفتيشية تربية.

طريقة اختيار العينة: وفي دراستنا بلغ عدد أفراد العينة (170) معلما ومعلمة مختارة بطريقة عشوائية بسيطة للمدارس الابتدائية عن طريق القرعة والتي بلغت نسبتها (25,60%)، وتم اختيار العينة بعد كتابة أسماء الابتدائيات والتي عددها (52) في قصاصات ورقية و إجراء القرعة حسب المقاطعات لبلدية المدية

¹ نايفة قطاعي ، مهارات التدريس الفعال ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، 2004 ، ص 485.

والبالغ عددها (05)، وكان عدد المدارس التي كانت ضمن القرعة (16) مدرسة ابتدائية من بين (52) مدرسة، وكان اختيار المعلمين بطريقة قصدية بحيث اخترنا المعلمين المثبتين والذين لا تقل خبرتهم عن سنة واحدة، كما احتوت عينتنا على كل المعلمين، اللغة العربية والفرنسية وذلك بمساعدة مدراء هذه المدارس، والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول رقم (01) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة الأساسية حسب الجنس ومدة التدريس:

النسبة المئوية	التكرار	مدة التدريس
3,52%	06	أقل من 5 سنوات
8,82%	15	10-5
20%	34	15-11
18,23%	31	20-16
14,70%	25	25-21
22,94%	39	30-26
11,76%	20	35-31
100%	170	المجموع
100%	55.88%	الذكور
	44.11%	الإناث

أدوات الدراسة:

-مقياس أنماط الشخصية (أ، ب، ج):

تم تصميم هذا المقياس بهدف تحديد طبيعة نمط الشخصية الذي يميل كل فرد من أفراد العينة إليه من طرف الباحثة بن زروال فتيحة (2008)، بالاعتماد على استبيان النشاط لجنكيز (Jenkins Activity Survey, JAS) الذي وضعه جنكيز، وزيراسكي و روزنمان (jenkins 1979) وكذا الاعتماد على مقياس قروسارث ماتيسياك و آيزيك (1990) بالنسبة لمقياس النمط السلوكي (ج) وكانت صورته النهائية في دراستها، على الشكل الموضح (الجدول رقم 01) بعد تطبيقها للمقياس بما يناسب البيئة الجزائرية حيث صيغت على

شكل عبارات يطلب من المفحوص تحديد مدى تطابق كل واحدة منها على شخصيته ، وذلك وفق سلم تدريجي (سلم ليكرت) يحمل خمسة بدائل: أبدا ، نادرا ، أحيانا ، غالبا ، دائما .

يتكون هذا المقياس في شكله النهائي من ثلاثة أجزاء رئيسية هي :

- الجزء الأول : يخص معلومات عامة حول الجنس ، والسن والمهنة وسنوات الأقدمية

- الجزء الثاني : خصص للنمطين (أ) و (ب) باعتبار أنهما مقترنان ، من حيث أن الميل للنمط (أ) يعني

غياب خصائص النمط (ب) ، ويمثل هذا الجزء 36 بندا تتوزع على أربعة أبعاد غير متساوية من حيث الأهمية.

- الجزء الثالث : خصص للنمط السلوكي (ج) ، ويمثل هذا الجزء 17 بندا تتوزع على بعدين كما هو موضح

في الجدول التالي و الذي يمثل توزيع عبارات مقياس الأنماط السلوكية (أ، ب، ج).

جدول رقم (02) يوضح توزيع عبارات مقياس الأنماط السلوكية (أ، ب، ج)

المجموع	رقم العبارة	الأبعاد	
08	08-07-06-05-04-03-02-01	بعد الاستعجال	النمط السلوكي (أ، ب)
07	15-14-13-12-11-10-09	بعد الاندماج المهني	
11	26-25-24-23-22-21-20-19-18-17-16	بعد العدائية	
10	36-35-34-33-32-31-30-29-28-27	بعد التعبير الخارجي عن الانفعالات	
09	45-44-43-42-41-40-39-38-37	بعد الإدراكات الإكتئابية	النمط السلوكي (ج)
08	53-52-51-50-49-48-47-46	بعد قمع الانفعالات	
53		المجموع الكلي	

طريقة تصحيح المقياس :

للحصول على بيانات تعكس ميل أفراد العينة لكل نمط من أنماط الشخصية ، تم رصدها في شكل درجات عن طريق إعطاء لكل بديل من البدائل الخمسة رقم كالتالي: أبدا (1) ، نادرا (2) ، أحيانا (3) ، غالبا (4) ، دائما (5) ، حيث أصبح لكل فرد ثلاث درجات تعبر عن مستوى ميله لكل نمط تتراوح بين :

36 كحد أدنى و 180 كحد أقصى بالنسبة للنمط السلوكي (أ) .

36 كحد أدنى و 180 كحد أقصى بالنسبة للنمط السلوكي (ب) ويتم الحصول عليها انطلاقاً من درجة النمط السلوكي (أ) وفق المعادلة التالية: (180 - درجة النمط (أ) + 36).
بالنسبة للنمط السلوكي (ج): 17 كحد أدنى و 85 كحد أقصى.
الخصائص السيكومترية للمقياس في الدراسة الحالية:

أ. ثبات المقياس:

الجدول رقم (03) يوضح ثبات مقياس الأنماط السلوكية باستخدام ألفا كرونباخ

عدد العبارات	ألفا كرونباخ
53	0,836

يتضح من خلال الجدول رقم (03) أن معامل الثبات لألفا كرونباخ بلغت قيمته (0,83) وهذه القيمة تؤكد ثبات هذا المقياس.

ب. صدق المقياس:

تم تقدير الارتباطات بين الدرجات الكلية للمحاور (الأول أ، ب) والثاني (ج) مع الدرجة الكلية للمقياس ككل بطريقة الاتساق الداخلي للمقياس حيث جاءت قيم الارتباط كلها دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ألفا ($\alpha=0,01$) فقد قدر الارتباط بين الدرجة الكلية للمحور الأول مع الدرجة الكلية للمقياس ككل (0,92)، أما ارتباط الدرجة الكلية للمحور الثاني مع درجة الكلية للمقياس ككل فقد قدرت بـ (0,59)، وبالتالي يمكن القول بأن هذا المقياس صادق، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (04) يوضح معاملات ارتباط درجات المحاور مع الدرجة الكلية لمقياس الانماط السلوكية

المقياس ككل		
0.924	معامل الارتباط بيرسون	المحور الأول (أ، ب)
0.000	مستوى الدلالة	
0.598	معامل الارتباط بيرسون	المحور الثاني (ج)
0.000	مستوى الدلالة	
50	حجم العينة	
. الارتباط دال عند $(\alpha=0.01)$ **		

- مقياس فعالية التدريس :

قام بتطوير هذا المقياس إينوكس وزملائه Enochs et al 2000 ، وهو مقياس يتكون من 21 مفردة من نوع ليكرت ذي التدرج الخماسي في الاستجابات (موافق بشدة ، موافق ، غير متأكد ، غير موافق ، غير موافق بشدة)، و قد وزعت مفردات المقياس على مجالين اثنين هما :

- فاعلية الذات ويتضمن 13 مفردة . - الناتج المتوقع ويتضمن 08 مفردات .

وقد توزعت مفردات المقياس بأرقامها على مجالي المقياس كما يوضح الجدول التالي:

جدول رقم (05) يوضح العبارات الموجبة والسالبة في مقياس فعالية التدريس

المجموع	رقم العبارة	نوع العبارة	الأبعاد
5	20 16 - 11 – 05 – 02	موجبة	فاعلية الذات
7	21-19-17-15-08-06-03	سالبة	
7	14-13 -12- 10 -09 -04 -1	موجبة	الناتج المتوقع
2	08 – 07	سالبة	
21	12	مجموع العبارات الموجبة	مقياس
	09	مجموع العبارات السالبة	فاعلية التدريس

طريقة تصحيح المقياس:

ويتراوح مدى الدرجات لاستجابات المعلمين على كل مفردة بين الدرجة (01 و 05) بحيث تمنح الدرجات للبنود الإيجابية على النحو التالي: 5 – 4 – 3 – 2 – 1 .

أما في حالة البنود السلبية فتمنح الدرجات عكس الأولى: 1- 2- 3 – 4 – 5 .

بحيث أعلى درجة يمكن أن يتحصل عليها المعلم في المقياس ككل هي (105) و أدنى درجة هي (21).

الخصائص السيكومترية للمقياس في الدراسة الحالية :

أ. الثبات :

الجدول رقم (06) يوضح ثبات مقياس فعالية التدريس باستخدام ألفا كرونباخ

ألفا كرونباخ	عدد العبارات
0.765	21

يتضح من خلال الجدول رقم (06) أن معامل الثبات لألفا كرونباخ بلغت قيمته (0,76) وهذه القيمة تؤكد ثبات هذا المقياس.

ب. صدق المقياس :

تم تقدير الارتباطات بين المحاور مع الدرجة الكلية للمقياس ككل حيث جاءت كلها دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ألفا ($\alpha=0.01$)، حيث بلغ ارتباط الدرجة الكلية للمحور الأول (فاعلية الذات) مع الدرجة الكلية للمحور الثاني (النتائج المتوقعة) (0.56)، أما ارتباطه مع الدرجة الكلية للمقياس ككل فقد بلغ (0,91)، في حين بلغ ارتباط الدرجة الكلية للمحور الثاني (النتائج المتوقعة) مع الدرجة الكلية للمقياس ككل (0,84) وعموماً يمكن القول بأن هذا المقياس صادق ، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (07) يوضح معاملات ارتباط محور فعالية الذات ومحور النتائج المتوقع مع الدرجة الكلية

لمقياس فعالية التدريس

الدرجة الكلية	النتائج المتوقعة	فاعلية الذات		
.916**0	.561**0	-	معامل الارتباط	فاعلية الذات
0.000	0.000	-	مستوى الدلالة	
50	50	-	حجم العينة	
.846**0	-	-	معامل الارتباط	النتائج المتوقعة
0.000	-	-	مستوى الدلالة	
50	-	-	حجم العينة	

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الاولى : النمط السلوكي (أ) هو النمط السائد لدى أساتذة التعليم الابتدائي "

الجدول رقم (08) الفرق بين المتوسط الحسابي لأفراد العينة والمتوسط الفرضي لمقياس الأنماط السلوكية

القرار	مستوى الدلالة	درجة الحرية	T	الفرق بين المتوسطات	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	حجم العينة	الدرجة الكلية
0.01	000.0	169	71.19	311.21	108	31.129	170	النمط (أ)
0.05	002.0	169	-3.09	976.-1	51	02.49	170	النمط (ج)

من خلال النتائج المبين بالجدول أعلاه رقم (08) نلاحظ وبناءً على المتوسط الحسابي لأفراد عينة الدراسة على مقياس الأنماط السلوكية والذي بلغ 129.31 بالنسبة للنمط (أ) أنه أعلى تماماً من المتوسط الفرضي الذي يفرضه هذا النمط في المقياس والمقدر بـ 108 بناءً عليه فإن درجات أفراد عينة الدراسة وكذا المتوسط الحسابي يشير إلى أن النمط (أ) هو النمط السائد لدى أساتذة التعليم الابتدائي، والذي يتميز أصحابه كما حددها جنكينز (1975) jenkins بانهم أفراد يتصفون بسلوك علني أو أسلوب معيشي يتميز بأقصى درجة من التنافس والكفاح من أجل تحقيق الإنجازات ، والعدوانية ، والتهور وفقدان الصبر وعدم الراحة الانزعاج الشديد ، الانفعال أثناء مخاطبة الآخرين والتشنج في عضلات الوجه ، والشعور المشدود بالوقت أو أن الوقت عليه كالسيف ، وتحت ضغط المسؤولية التي يتحملها دائماً ومثل هؤلاء الأشخاص يكونون دائماً مشدودين إلى عملهم ومتحمسين له لدرجة أنهم يهملون نسبياً جوانب أخرى من حياتهم¹.

إذن قد يتصف المعلم في المرحلة الابتدائية ببعض هذه الخصائص السلوكية والتي قد تفرزها مهنة التدريس كالعدوانية باعتبار تعامل المعلم مع أصعب مرحلة من حيث المتعلمين ، وكذا أهم مرحلة تعليمية فهذه المرحلة تتطلب جهداً من طرف المعلم ، وهذا ما توصلت إليه دراسات جانستر وزملائه (1991) وكذا

¹ عبد الرحمان ، محمد السيد ، رضوان فوقية ، حسن عبد الحميد ، مقياس النمط السلوكي (أ) دليل المقياس ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1996 ، ص 8

جرازياني وسويندسن (2004) من أن العدوانية لدى النمط (أ) ترتبط ارتباطا وثيقا بالاستجابات الفيزيولوجية إزاء المواقف المجهدة.¹

لهذا قد ينتج عن طبيعة مهنة التدريس صفة العدوانية باعتبارها مهنة صعبة و مجهدة ، إذ على المعلم الفعال أن ينظر كما يؤكد اللقاني و فارعة (1995) إلى كل تلاميذه في فصله كحالة مفردة لها اهتماماتها وميولها وقدراتها ومشكلاتها.²

كل هذا قد يتعب المعلم فكريا و جسديا، وهذا قد يفرز لديه هذه الصفة، وكذا الكفاح المستمر لتحقيق الإنجازات، من خلال تطبيقه لأهم الأهداف المسطرة لعملية التدريس كذلك سعيه في التطلع نحو التجديد دائما.

كل هذه الأمور تجعله دائما يريد تحقيق المزيد من الإنجازات في مجال عمله ، كما قد تجعله قلقا و عديم الراحة مما يؤدي إلى ظهور بعض الضغوط لديه كضغط المسؤولية ، فمهنة التدريس ليست بالمهنة السهلة التي يمكن لأي معلم أن يؤديها على أحسن وجه .

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

" توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي "

للإجابة على هذه الفرضية تم حساب العلاقة بين الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) وفعالية التدريس بواسطة معامل بيرسون ، والجدول التالي يظهر لنا معامل الارتباط بيرسون بين درجات أفراد عينة الدراسة على مقياس الأنماط السلوكية و درجاتهم على مقياس فعالية التدريس .

جدول رقم (09): قيم معاملات الارتباط بيرسون بين الأنماط السلوكية (أ) و (ب) و (ج) وفعالية التدريس

العلاقة الارتباطية	قيمة معامل بيرسون	مستوى الدلالة	درجة الحرية
بين النمط السلوكي (أ) وفعالية التدريس	0.147	0.055	168
بين النمط السلوكي (ب) وفعالية التدريس	-0.147	0.055	
بين النمط السلوكي (ج) وفعالية التدريس	-0.301	0.01	

¹ -بن زروال ، المرجع السابق الذكر، ص 307

² - أحمد حسين القاني ، فارعة حسن محمد ، التدريس الفعال ، عالم الكتب ، القاهرة الطبعة الثالثة ، 1995، ص 12.

نلاحظ من الجدول رقم (09) بأنه لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين النمط السلوكي (أ) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي حيث كانت قيمة معامل الارتباط بيرسون ($r = 0.147$) وهي غير دالة إحصائياً (0.055) ودرجة حرية (168)، كما أنه لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين النمط السلوكي (ب) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي. حيث كانت قيمة معامل الارتباط بيرسون ($r = -0.147$) وهي غير دالة إحصائياً (0.055) ودرجة حرية (168).

يمكننا تفسير ذلك بأن النمط السلوكي (أ) بما يحتويه من صفات أنه لا يرتبط بفعالية التدريس ومن بين أهم هذه الصفات التي يمكن أن تكون منافية للمعلم الفعال باعتبار أنه يتعامل مع تلاميذ المرحلة الابتدائية والتي تمثل قاعدة الهرم التعليمي وكما يذكر محمد أحمد النابلسي (1997) بأن أصحاب النمط السلوكي (أ) يمتازون بعدة صفات منا منظم، متحكم في ذاته يدرك مفهوم الوقت و يعي مروره دون أن يحقق شيئاً ولذلك نراه دائماً نافذ الصبر وعديمه ومستعجلاً من أجل تحقيق أهدافه، كما أن اعتماده الزائد على نفسه بالإضافة إلى عدائته يجعلانه ميالاً للسيطرة وخاصة إذا كان من شأن هذه السيطرة أن تساعد على التخلص من العقبات التي تواجهه أثناء عمله لتحقيق أهدافه.¹

كما أن اتصافه بالعدائية قد يكون من بين الأسباب التي تضعف فعالية التدريس وتؤثر بشكل سلبي على العملية التربوية بحيث تؤكد دراسة كونين وجامب (Conin and Gymp, 1961) التي أظهرت أن الأطفال الذين يتولى تعليمهم معلمون عقابين، يظهرون سلوكاً عدوانياً، مقارنة مع الأطفال الذين يقوم بتعليمهم معلمون غير عقابين أو متسامحين.²

أما بالنسبة للنمط السلوكي (ب) باعتباره عكس خصائص النمط السلوكي (أ) والذي بدوره لا توجد بينه وبين فعالية التدريس علاقة ارتباطية لدى أساتذة التعليم الابتدائي والذي من بين صفاته كما أوردها هل Hill (2000) أن أصحاب هذا النمط أقل دافعية للإنجاز وأقل شعوراً بالحاح الوقت فلا يشعرون بأنهم في سباق مع الزمن.³

¹-النابلسي، المرجع السابق الذكر، ص 65.

² عبد المجيد نشواتي، علم النفس التربوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، 2003، ص 229.

³ ليلى شريف، أساليب مواجهة الضغط النفسي وعلاقتها بنمطي الشخصية (أ، ب) لدى أطباء الجراحة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2003، ص 98.

وعليه يمكننا تفسير عدم وجود علاقة ارتباطية بين النمطين (أ) و (ب) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي إلى عدة عوامل منها توفر بعض الصفات لدى بعض المعلمين (كالصبر ، الالتزام بالزمن أو الوقت المقرر للبرنامج، الود و التسامح) التي تعكس فعاليتهم لمهنة التدريس .

كما توصلنا أنه توجد علاقة ارتباطية سالبة دالة إحصائيا بين النمط السلوكي (ج) وفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي. حيث كانت قيمة معامل الارتباط بيرسون ($r = -0.301$) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة أقل من (0.01) ودرجة حرية (168). وهذا يعني أن ارتفاع درجات النمط السلوكي (ج) مرتبطة بانخفاض درجات فعالية التدريس.

نستنتج من أن الفرضية تحققت مع النمط السلوكي (ج) فقط ولم تتحقق مع النمطين (أ) و (ب) وعليه يمكن تفسير ذلك بأن أصحاب النمط السلوكي (ج) في عينة البحث، كلما كانت سمات النمط السلوكي (ج) متوفرة بشكل كبير لدى أساتذة التعليم الابتدائي انخفضت فعاليتهم في التدريس .

فقد يكون لهذه السمات التأثير السلبي على فعالية التدريس بالنسبة للمعلمين ، وكما أثبتت الدراسة التتابعية التي قام بها قروسارث ماتيسك وزملائه (Grossorth- Maticek et al ,1988) والتي أوضحت أن أفراد نمط السلوك (ج) حينما يظهرون ذلك المستوى من التوافق و الهدوء ، فإنهم في حقيقة الأمر يخفون قلقهم وتوترهم ببذل جهد دفاعي ضد الانفعالات السلبية التي تنتابهم و بشكل خاص الغضب و العدائية وهذا يجعلهم أكثر عرضة للإصابة من غيرهم بمرض السرطان ، كما أنهم يحصلون على درجات منخفضة في المقاييس الخاصة بتقدير الذات مما يدفعهم إلى الخضوع والاستسلام و التبعية للآخر.¹

ولعل هذا الكبح في الانفعالات يرجع لما تتطلب مهنة التدريس خاصة في المرحلة الابتدائية مراعيها فيها خصائص النمو للمتعلمين في هذه المرحلة العمرية التي تتطلب نوعا من المعاملة الخاصة وقد يكون لهذه الضغوط وعدم السيطرة من طرف المعلم تأثيرا سلبيا على فعاليته في التدريس خاصة ذوي الخبرة الطويلة في هذه المهنة .

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة:

"توجد فروق بين أساتذة التعليم الابتدائي في الأنماط السلوكية تبعا لمتغير الجنس (ذكور، إناث).

¹- Bruchon-Schweitzer M « psychologie de la Santé , modèles concepts et méthodes » Dunod.paris,2002, p176

بما أن قيمة اختبار ليفين لتجانس التباين (0.607) كانت غير دالة إحصائياً (0.473) فإننا نقبل الفرضية الصفرية بأن تباين الإناث يساوي تباين الذكور. وبالتالي سنستخدم اختبار (ت) لعينتين مستقلتين متجانستين لمقارنة متوسط درجات الذكور (177.09) والإناث (179.91). حيث يظهر الجدول رقم (10) نتائج اختبار (ت).

جدول رقم (10): اختبار (ت) للفرق بين متوسط درجات الذكور والإناث في الأنماط السلوكية

السلوكية

القرار	مستوى الدلالة	قيمة (T)	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	مستوى الدلالة	اختبار ليفين للكشف عن التجانس (F)	الجنس	
غير دال عند	0.298	-1.04	168	18.290	177.09	95	.4370	.6070	ذكور	الأنماط
0.05				16.296	179.90	75			إناث	السلوكية

من خلال النتائج التوصل إليها والتي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأنماط السلوكية (أ)، (ب، ج) بالنسبة لأساتذة التعليم الابتدائي تبعاً لمتغير الجنس (ذكور ، إناث)، ومعنى ذلك بأنه لا يوجد نمط سلوكي من الأنماط الثلاثة يتميز به الأساتذة الذكور عن الإناث بل يشترك كلاهما في بعض الصفات التي تندرج ضمن هذه الأنماط .

وقد نرجع عدم تواجد الفروق في الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) إلى البيئة التي يعمل فيها المعلم وكذا طبيعة المرحلة التعليمية وما تتطلب من خصوصيات ومعايير يجب توفرها لدى معلم هذه المرحلة لهذا نجد أن أغلب الصفات في كل الأنماط السلوكية (أ ، ب ، ج) متوفرة لدى المعلمين و المعلمات بنفس الدرجة تقريبا ، مما أدى إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأنماط السلوكية لأساتذة التعليم الابتدائي تعزى لمتغير الجنس. ومن بين الدراسات التي اتفقت نتائجها مع نتائج دراستنا فيما يخص الفروق بين الجنسين (ذكور/ إناث) لدى المعلمين في المرحلة الابتدائية ، دراسة المبرجي (1999) ، دراسة بوكاتي (2001) كذلك دراسة عبد الحليم خلفي (2006) والتي أثبتت عدم وجود فروق بين المعلمين في المرحلة الابتدائية في بعض السمات الشخصية تبعاً لمتغير الجنس ومن بين هذه الصفات المشتركة بين المعلمين و المعلمات (الاتزان الانفعالي ، السيطرة ، قوة الأنا الأعلى ، الثقة بالنفس) .

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الرابعة:

"توجد فروق بين أساتذة التعليم الابتدائي في فعالية التدريس تبعاً لمتغير الجنس (ذكور ، إناث)"

بما أن قيمة اختبار ليفين لتجانس التباين (0.856) كانت غير دالة إحصائياً (0.356) فإننا نقبل الفرضية الصفريّة بأن تباين الإناث يساوي تباين الذكور. وبالتالي سنستخدم اختبار ت لعينتين مستقلتين متجانستين لمقارنة متوسط درجات الذكور (78.80) والإناث (79.74). حيث يظهر الجدول رقم (11) نتائج اختبار ت.

جدول رقم (11): اختبار ت للفرق بين متوسط درجات الذكور والإناث في فعالية التدريس

القرار	مستوى الدلالة	قيمة (T)	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	مستوى الدلالة	اختبار ليفين للكشف عن التجانس (F)	الجنس	
غير دال عند	0.390	-0.86	168	7.659	78.80	95	0.356	0.856	ذكور	فعالية التدريس
0.05				6.333	79.74	75			إناث	

من خلال النتائج التي توصلنا إليها في هذه الفرضية و التي تنفي وجود فروق بين أساتذة التعليم الابتدائي في فعالية التدريس تعزى لمتغير الجنس (ذكور ، إناث) ومعنى ذلك أن فعالية المعلم في التدريس بالنسبة لكلا الجنسين لها نفس الدرجة تقريبا .

ولعل ذلك يرجع إلى إتباع المعلمين و المعلمات نفس الخطوات في عملية التدريس وكذا تأكيد نفس الهدف من العملية التدريسية ، وحتى التزامهم ببعض صفات التدريس الفعال التي حددها أندرسون Anderson وهي : أن يكون شرح المدرس واضحاً ، أن يستفيد إلى حد كبير من الأنشطة التعليمية المستمدة من الواقع ، أن يتم فيه تشجيع المتعلمين على المشاركة الفعالة في التعلم ، وكذا أشارت قطامي إلى مواصفات التدريس الفعال ، كاعتماد الاقتصاد بالوقت و الجهد و اعتبارهما معياراً أساسياً في اختيار طريقة التدريس ، وكلما تحققت أهداف التدريس بوقت أقصر وجهد أقل كان التدريس ناجحاً و فعالاً ، كذلك تنوع طرائق التدريس لمعالجة محتوى المنهج¹.

¹- محسن علي عطية ، الاستراتيجيات في التدريس الفعال ، دار صفاء ، عمان الأردن الطبعة الأولى ، 2008 ، ص 61.

لهذا يمكننا أن نفسر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة أساتذة التعليم الابتدائي في فعالية التدريس تعزى لمتغير الجنس (ذكور ، إناث) ، إلى عدة عوامل غير العوامل الشخصية للمعلم ، كنظام التعليم ، بيئة العمل الظروف المادية و الاجتماعية التي يتعرض لها المعلم في الطور الابتدائي ، كذا الروتين الذي يمارسه معلم هذه المرحلة .

ومن بين الدراسات التي اتفقت نتائجها مع نتائج دراستنا دراسة رمانة عيسى (2013) والتي أسفرت عن عدم وجود فروق دالة إحصائية في درجات المعلمين على مقياس الفعالية التدريسية ترجع لمتغير الجنس وهذا الاتفاق قد يرجع إلى البيئة التي طبق فيها البحث أو إلى اختيار نفس العينة (معلمي الابتدائي).

خاتمة :

ما يمكن استخلاصه أن طبيعة مهنة التعليم وما تفرضه من ضغوط مهنية تجعل هذه الصفات التي يتميز بها صاحب هذا النمط السلوكي (أ) تظهر لدى المعلم سواء في بداية مشواره أو حتى بعد مرور مدة من أدائه لمهنة التدريس خاصة في مرحلة التعليم الابتدائي ، وما تتميز به هذه المرحلة من خصوصيات على المعلم الالتزام بها و احترامها ، مما يشكل لديه نوعا من السلوكيات الظاهرة عليه سواء في مكان عمله أو خارجه ، و المعلم الفعال هو المعلم الذي لديه المهارة في التواصل مع متعلميه مهما كان نوع شخصيته كما أن فعالية المعلم تختلف باختلاف المواقف التعليمية .

قائمة المراجع :

- 1- أحمد حسين القاني ، فارعة حسن محمد (1995) ، التدريس الفعال ، عالم الكتب ، القاهرة الطبعة الثالثة.
- 2- أحمد محمد عبد الخالق (1996) ، قياس الشخصية ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، الطبعة الأولى .
- 3- بدر محمد الأنصاري (1997) ، الشخصية من المنظور النفسي ، دار الكتاب الجامعي للنشر و التوزيع ، الكويت ، الطبعة الأولى .
- 4- جابر عبد الحميد ، علاء كفا في (1996) ، معجم علم النفس و الطب النفسي ، دار النهضة العربية ، ج 8 ، القاهرة .
- 5- جابر عبد الحميد جابر (2000) ، مدرس القرن الواحد و العشرين الفعال و المهارات و التنمية المهنية ، دار الفكر العربي ، مصر ، القاهرة.
- 6- ريتشارد .س .لازاروس ترجمة سيد محمد غنيم (1985) ، الشخصية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

7-سامح محافظة(2009) ، معلم المستقبل خصائصه ، ومهاراته وكفاياته ، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثاني ، نحو استثمار أفضل للعلوم التربوية و النفسية في ضوء تحديات العصر المنعقد في رحاب جامعة دمشق ، الكلية التربوية من 25-27 تشرين الأول .

8-عبد الرحمان ، محمد السيد ، رضوان فوقية ، حسن عبد الحميد (1996) ، مقياس النمط السلوكي (أ) دليل المقياس ، دار النهضة العصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

9-عبد المجيد نشواتي (2003)، علم النفس التربوي ، دار الفرقان للنشر و التوزيع عمان ، الأردن ، الطبعة الرابعة.

10-عبد المنعم أحمد الدرديري (2005)، الجوانب الاجتماعية في التعلم المدرسي ، مقدمة نظرية وتطبيقات ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

11-فتيحة بن زروال(2012)، أنماط الشخصية وعلاقتها بالإجهاد (المستوى، الأعراض المصادر واستراتيجيات المواجهة)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر .

12- ليلي شريف(2003)، أساليب مواجهة الضغط النفسي وعلاقتها بنمطي الشخصية (أ، ب) لدى أطباء الجراحة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق .

13-محسن علي عطية (2008)، الاستراتيجيات في التدريس الفعال ، دار صفاء ، عمان الأردن الطبعة الأولى.

14-محمد أحمد النابلسي (1997)، أصول الفحص النفسي ومبادئه ، الشاطبي الإسكندرية .

15-ناصر الدين زبدي (2007) ، سيكولوجيا المدرس ، دراسة وصفية تحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر و التوزيع ، الجزائر.

16-نايفة قطامي (2004) ، مهارات التدريس الفعال ، دار الفكر ، عمان ، الأردن.

17-يوسف جمعة سيد (2000)، دراسات في علم النفس الإكلينيكي، دار غريب، القاهرة.

18-Bruchon-Schweitzer M(2002) « psychologie de la Santé , modèles concepts et méthodes »

Dunod .paris.

Carl Rogers's self-theory نظرية الذات لكارل روجرز

أشرف مزور، مفتش تربوي لمادة الفلسفة، أكاديمية فاس - مكناس، المغرب

ChrifMezour, Educationalinspector/Philosophy, Academy of Fes-Meknes

ملخص:

غرضنا من هذا المقال الحديث عن نظرية الذات عند روجرز، فأساس الشخصية عنده يتمثل في رغبة الإنسان في تحقيق إمكاناته، إنه في الواقع يمتلك شخصية قادرة على التحكم في الذات، أضف إلى ذلك فالفرد يصبح كائنا اجتماعيا بفضل رغباته، وبكيفية لا يتصورها المرء. فلا يوجد وحش في أعماق الإنسان، بل داخل الإنسان يوجد الإنسان. بيداغوجيا يجعلنا هذا الأمر نفهم بأن طريق العلم والمعرفة لا يقتصر على ما هو فصلي، وإنما الغرض الأساس هو كيف يدمج المتعلم ما تعلمه في المدرسة في وضعيات عدة لمعالجتها والتكيف معها، إن المدرسة بهذا المعنى مجتمع صغير يتعلم فيه الفرد الانسجام وأيضا التميز والإبداع.

الكلمات المفتاحية: تحقيق الذات/الشخصية/الصحة النفسية/التعلم.

Abstract:

Our purpose of this article is to talk about Rogers's self-theory, the basis of his personality is the desire of man to realize his potential, that he actually possesses a personality of self-control, in addition to that an individual becomes social being by virtue of his desires, and in a way that one cannot imagine. There is no monster in the depths of man, rather, within man there is man. Pedagogically speaking, this makes us understand that the path of science and knowledge is not limited to what is quarterly, but the main purposes how the learn reintegrates what he has learned in school in several situations to deal with address and adapt to it, the school in this sense is a small community in which the individual learns harmony, as well as excellence and creativity.

key words: Self-realization/Personality/Psychological-health/Learning.

تقديم :

ترجع شهرة روجرز Rogers (1902 – 1987) إلى الأسلوب العلاجي غير المباشر الذي اسماه "العلاج المعقود على العميل" Client-centered therapy، ومن المعلومات التي حصلها روجرز خلال علاجاته تلك، توصله إلى نظرية في الشخصية مفادها أن الإنسان له دافع واحد مهيم، وهذا الدافع هو تحقيق إمكانات وقدرات الإنسان. ومن أبرز الدلائل على أهمية روجرز في علم النفس المعاصر أنه انتخب عام 1946 رئيساً لجمعية علم النفس الأمريكية (APA)، ومن أهم كتبه "العلاج المعقود على العميل" الصادر سنة 1951، ثم "تكون الشخص" الذي أصدره سنة 1961.

ينتمي روجرز إلى ما يسمى بعلم النفس الإنساني كقوة ثالثة إلى جانب التحليل النفسي والسلوكية؛ يحاول الاهتمام بتنمية القوى والإمكانات الموجودة عند الإنسان، ومن أبرز رواده ماسلو وروجرز. نشأت هذه المدرسة في الخمسينيات من القرن الماضي كرد فعل ضد نظريات السلوكية والطاقة النفسية لأنهما خفضتا من قيمة إنسانية الإنسان، فالفرويدية تنتقد (بفتح القاف) لاعتقادها بأن السلوك محكوم بدوافع فطرية حيوانية، وتنتقد السلوكية لانشغالها بالبحث في عالم الحيوان وبوجهات نظرها الميكانيكية في الشخصية. ومعلوم أن القائلين بنظرية تحقيق الذات كثير، يستلهمون آراء روسو في خيرية الطبيعة الإنسانية ونبلها، ولهذا راحوا يركزون أبحاثهم على الطرق التي تسهل تحقيق الذات وتوفر الحرية للنمو والتعبير عن القوى الذاتية، ورأوا أن عدم الاستواء النفسي يحدث عندما تقف العوائق والمشكلات أمام السعي والتقدم للتعبير عن المنازع الطبيعية، وقد اتجه ماسلو Maslow إلى التركيز على قوانا الداخلية الفريدة، أما روجرز فاهتم بالعوائق التي تعترض سبيل تحقيق الذات.

أ- تحقيق الذات وبناء الشخصية

اشتق روجرز نظريته "تحقيق الذات" من خلال دراساته على الأسوياء وعلى المرضى (علاجاته المعقودة على العميل)، وهذه التسمية تمثل جزءاً من رأيه في الشخصية الإنسانية، حيث يضع مسؤولية التغيير على عاتق العميل (المسترشد) أكثر من وضعها على عاتق المعالج (كما تفعل مدرسة التحليل النفسي)، ويفترض روجرز أن الإنسان يستطيع شعورياً وعقلانياً أن يتحكم في نفسه، وأن يتحول من الأساليب غير المرغوبة في الفكر

والسلوك إلى الأساليب المرغوبة، وهو لا يعتقد أن الناس محكومون بالقوى اللاشعورية، أو بخبرات الطفولة المبكرة، ذلك أن الشخصية في نظره تتشكل بأحداث الحاضر وبرؤيتنا لهذه الأحداث⁽¹⁾.

بالنسبة للعلاج المعقود على العميل، فهو نظام للعلاج النفسي يقوم على أساس الافتراض القائل بأن الفرد أو العميل هو الأقدر على حل مشكلاته، وأن على المعالج أن يخلق جوا علاجيا يتسم بالدفء والتسامح، بحيث يشعر المريض بالحرية في مناقشة مشكلاته، مما يمكنه من الاستبصار بها، وفي العلاج المعقود على العميل يقوم المعالج بدور غير مباشر، ولا يتدخل إلا بالتشجيع والتعليقات البسيطة على ما يروييه العميل⁽²⁾. جدير بالإشارة أن روجرز طور نظريته في الشخصية من خلال عمله العلاجي مع المرضى النفسيين، وأكد أنه بإمكاننا أن نتعرف ونختار اتجاهاتنا الصحيحة في الحياة من خلال تجاربنا، وقد سمي مدخله العلاجي في بداية الأمر بالعلاج المتمركز حول العميل، ولكنه وسع في نظريته لاحقا ليؤكد جوانب غير إكلينيكية للمريض من حيث إشراكه لوالديه والتربية والعلاقات الشخصية في تشكيل شخصية الفرد، لذا غير اتجاهه نحو مسمى أكثر اتساعا، وهو العلاج المتمركز حول الشخص⁽³⁾ (person-centered therapy).

تدور أبحاث روجرز حول تنمية شخصية الإنسان، والشخصية هي تكامل جميع المميزات الفردية في منظومة فريدة تحدد محاولات الفرد للتكيف مع محيط متغير باستمرار وتحدد بها، والكلمة المفتاح الأولى في مفهوم الشخصية هي تفرد الفرد، أما الثانية فهي ثبات أو ديمومة سمات الشخصية ومميزاتها عبر الزمان والأحوال⁽⁴⁾. تتلخص نظرية روجرز في الشخصية بما دعاه بمفهوم الذات، وعرفه بأنه مجموعة معتقدات الشخص عن طبيعته وصفاته الفريدة وسلوكه النمطي، وتتضمن الذات إجابة عن سؤالين: من أنا؟ ما الذي أقدر عليه؟ إن الذات "تكوين معرفي منظم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا، حيث يتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المحددة لكيونته الداخلية والخارجية"⁽⁵⁾.

يعتقد روجرز أن القوة الدافعة الأساسية عند الإنسان هي تحقيق الذات، ورغم أن الدافع نحو تحقيق الذات فطري، إلا أن التعلم والخبرات التي يتعرض لها الفرد تؤثر على هذا الدافع، وعلاقة الطفل بأمه علاقة مهمة، لأن من شأنها أن تؤثر على الشعور بالذات، وعندما ترضي الأم حاجة الطفل إلى الحب والتي يسميها

¹- ربيع محمد شحاتة، 2004، تاريخ علم النفس ومداركه، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 372.

²- المرجع نفسه، ص. 374.

³- زغلول عبد الرحيم وآخرون، 2012، مدخل إلى علم النفس، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ص. 411.

⁴- وقفي راضي، 2014، مقدمة في علم النفس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ص. 568.

⁵- زغلول عبد الرحيم وآخرون، مدخل إلى علم النفس، مرجع سابق، ص. 411.

روجرز بالاهتمام الإيجابي، فإن الطفل ينشأ غالباً على شخصية سوية⁽¹⁾. بتعبير آخر إن ميول الفرد لتحقيق الذات تعمل بانسجام لإشباع قدراته الفطرية، إذ يتطلب ذلك دعماً بشكل إيجابي من المربين واهتماماً بالطفل خلال مراحل نموه المختلفة، من خلال تقديم طرق توجيهه من الآخرين (الوالدين، المربين) الذين يستطيعون إشباع هذه الحاجات الملحة.

تؤكد نظرية الذات عند روجرز على أن أساس الشخصية يتمثل في رغبة الإنسان في تحقيق إمكاناته، يقول: "يتضح بأن الفرد يفصح عن حقيقته بإخضاعه للعلاج. فهو في المقام الأول جسم بشري بكل ما يعنيه ذلك من مظاهر الغنى المرتبطة بهذا الوضع. إنه في الواقع يمتلك شخصية قادرة على التحكم في الذات، أضف إلى ذلك فالفرد يصبح كائناً اجتماعياً بفضل رغباته، وبكيفية لا يتصورها المرء. فلا يوجد وحش في أعماق الإنسان، بل عوض ذلك نقول: يوجد الإنسان داخل الإنسان وهذا ما استطعنا أن نتوصل إليه وثبتت صحته"² وغير بعيد عن ذلك يقول: "رغم وجود اتجاهات مختلفة في الثقافة الغربية، إلا أنها تؤكد على أهمية الأفراد. وما يؤكد ذلك، هو أن فلسفة التربية على حقوق الإنسان والحق في أن يقرر الإنسان مصيره بنفسه هي العناصر التي يتم التنصيب على التقيد بها"⁽³⁾.

يعني التحقيق الكامل للشخصية أن يعيش الأفراد في توافق تام مع أنفسهم ومع الآخرين، لكن التحقيق الكامل لهذه الإمكانيات يعتمد على الجو الذي يعيش الفرد في ظله، ويأمل روجرز أن يعكس هذا الجو تقبلاً إيجابياً غير مشروط، يحظى فيه الأفراد بالقيمة والاحترام والحب لما هم عليه بالفعل، وليس لشيء آخر. وقد وجد روجرز لسوء الحظ أن معظم الناس يربون فيما يبدو في جو قوامه التقبل الإيجابي المشروط، حيث يعطى القبول من أجل أنواع معينة من السلوك وليس من أجلها جميعاً؛ فعندما تجعل الأم بذل الحب لطفلها مشروطاً بما ينتهجه من سلوك لائق، فإن الطفل سوف يتدخل اتجاه الأم، ويكون ما سماه روجرز "إشراطات الجدارة" condition of worth، وفي هذا الموقف يشعر الطفل بذاته في ظل شروط معينة، ويحاول أن يتجنب تلك التصرفات التي تؤدي إلى غضب الأم أو عدم رضاها، ونتيجة لهذا كله فيما يرى روجرز، فإن الذات لا تسمح لها بالنمو الكامل، لأنه لا يتاح لها بالتعبير عن كل مظاهر جوانبها⁽⁴⁾. فحنان الوالدين ومحبتهم لا تكون إلا إذا تصرف الطفل ضمن شروط معينة، وهذا ما يجعله يقوم بمراجعة مشاعره الحقيقية لكي يكون كما يريد له

1- ربيع محمد شحاتة، تاريخ علم النفس ومداركه، مرجع سابق، ص 373.

2-Rogers, C. (1980). A way of being. Boston. Houghton Mifflin company, p. 105.

3-Ibid, pp. 183.184.

4-Ibid, p. 373

الآخرون أن يكون، فتتكون له مشاعر زائفة تحل محل مشاعره الأصيلية، وعندما يضطر الطفل إلى المزيد من المراجعات بقيم توحى من الآخرين، يتزايد الصراع وخداع الذات، فيصبح الفرد عنيفا قلقا مهددا وغير آمن، ولهذا يقترح روجرز في أسلوبه العلاجي النفسي مساعدة الشخص على إعادة تنظيم خبراته بعد فحصها وحذف ما لا ينسجم مع مفهومه لذاته في أجواء آمنة تيسر هذه المراجعة لمفهوم الذات وهضم الخبرات المتصارعة معها⁽¹⁾.

يمكن القول إذن، أن الذين يعيشون الذات بدقة بما فيها من تفصيلات وقدرات وتخيلات ونواقص يكونون في طريقهم الصحيح إلى تحقيق الذات، أما الذين تتشوه خبراتهم عن أنفسهم فإن نموهم يعاق⁽²⁾. هدف تحقيق الذات في نظر روجرز هو الوصول إلى أعلى مستوى للصحة النفسية، وهي حالة يسميها "كمال الوظيفة"، والفرد كامل الوظيفة يتميز بالانفتاح على كل الخبرات والتجارب، ويميل إلى أن يعيش في كل لحظة من وجوده، كما يتميز بإحساس بالحرية في الفكر والعمل، هذا إلى جانب قدر كبير من الابتكارية⁽³⁾. في هذا الصدد يقول: "أنا متيقن بأن الشخص قادر على اكتشاف مدى ثقته في اعتقاداته وأفكاره الخاصة، فضلا عن ردود أفعاله، وفي نفس الوقت يكتشف بأن دوافعه الأساسية والعميقة ليست هدامة أو كارثية. إلى جانب ذلك، فهو في حاجة إلى مواجهة الحياة بناء على قدراته الذاتية وعلى أساس قاعدة متينة. فبقدر ما يتعلم الثقة في نفسه بشكل أصيل، يغدو أكثر قدرة على الثقة في الآخرين: زوجته وابنه. علاوة على قبول المعتقدات والقيم الخاصة والفريدة التي يؤمن بها أولئك الأشخاص"⁽⁴⁾.

بنى روجرز نظريته "تحقيق الذات" من خلال عدة مفاهيمية قوية نذكر من بينها:

- مفهوم الكائن العضوي الذي هو الفرد ككل.

- مفهوم المجال الظاهري الذي هو مجموع الخبرات الفردية أو الخبرة في كليتها وليس في جزئياتها.

- مفهوم الذات، وهي ذلك الجزء من المجال الظاهري الذي يتكون من مركب من الإدراكات والقيم المتعلقة بالذات أو الأنا أو الفرد كمصدر للخبرة والتصرف⁽⁵⁾.

- ويتميز الكائن العضوي في رأي هذه النظرية بالخصائص التالية:

¹- وقفي راضي، مقدمة في علم النفس، مرجع سابق، ص. 602.

²- المرجع نفسه، ص. 601.

³- ربيع محمد شحاتة، تاريخ علم النفس ومداركه، مرجع سابق، ص. 373.

⁴- Rogers, C, A way of being, Boston. Houghton Mifflin company, op. cit p. 325.

⁵- رحو جنان سعيد، 2005، أساسيات في علم النفس، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص. 323.

- أنه يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري لإشباع حاجاته المختلفة.

- إن الدافع الأساسي لهذا الكائن العضوي هو تحقيق ذاته وصيانتها والرفق بها.

- إما أن يتمثل خبرته تمثلاً رمزياً فتصبح شعورية، وإما أن ينكر على نفسه هذا التمثيل فتبقى الخبرة لا شعورية، أو أن يتجاهل هذه الخبرة¹.

- وتشمل مدركات الفرد ما يلي:

- المدركات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائياً وسلوكياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو، ويطلق على هذا مفهوم الذات المدركة (الواقعية).

- المدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد بأن الآخرين في المجتمع يتصورونها، ويتمثلها الفرد خلال تفاعله الاجتماعي وعلاقاته مع الآخرين، ويطلق على هذا مفهوم الذات الاجتماعية.

- المدركات والتصورات التي تحدد المثالية للشخص أي ما يرغب أن يكون عليه، وهذا هو مفهوم الذات المثالية⁽²⁾.

ب- الصحة النفسية في نظرية روجرز

يرى روجرز أن تحقيق الفرد للصحة النفسية يعتمد على مدى تطابق ذاته الواقعية مع ذاته المثالية، وعلى مدى تطابق خبراته الذاتية مع الواقع الخارجي، فكلما أحدث الفرد انسجاماً (قدرة على التعامل مع الواقع) بين ذاته وبين المحيط الخارجي، كلما أصبح أكثر تكيفاً وازتانا في سلوكه. تبعاً لذلك، من الممكن تغيير شخصية الفرد عن طريق تغيير مدركاته أي مفهومه لذاته. في هذا الصدد، من المفيد الإشارة إلى أن الخبرة بصفاتها كل ما يقع في نطاق الوعي والشعور هي الركيزة التي تبنى عليها الشخصية، حيث بالخبرة التي يكتسبها الإنسان في مسيرة الحياة، وبالقوى الفطرية التي ولد مزوداً بها، يبدأ في تكوين مفهوم عن ذاته، ويظل يناضل ليحافظ على هذا المفهوم، فإذا كان الفرد يظن في نفسه أنه ذكي فسيسعى لأن يكون باستمرار في مستوى هذه الصورة، وإذا كان يعتقد أنه رياضي فسيظل يجد لتحقيق هذه الصورة، إنه الاجتهاد من أجل تحقيق الذات، وعندما يتناغم مفهوم الفرد لذاته مع قابلياته الموروثة، فإنه يغتنى ويقرر لنفسه ما الذي يتمنى أن يفعله، وما الذي يتمنى أن يكونه بالرغم من أنه قد لا يتطابق في ذلك مع من يحيطون به. بيد أن الفرد يصبح أكثر اكتمالاً إذا ما نشأ في

¹- المرجع نفسه، ص. 313.

²- زغلول عبد الرحيم وآخرون، مدخل إلى علم النفس، مرجع سابق، ص. 412.

جو إيجابي غير مشروط، أي أن يعامل بدفء واحترام وقبول ومحبة بصرف النظر عن مشاعره واتجاهاته ومسالكه الخاصة¹.

حاصل القول، فأسباب نمو السلوك المضطرب هي:

- ✓ عدم التطابق بين العالم الشخصي (العالم كما يدركه الفرد) والعالم الخارجي (العالم كما هو).
- ✓ عدم التطابق بين الذات المدركة (الواقعية) والذات المثالية.
- ✓ الصراع بين الذات والكائن العضوي، فيشعر الفرد بأنه مهدد وقلق، ويصف روجرز الشخصية الإنسانية باثنين وعشرين قضية نورد بعضها منها⁽²⁾:
- ✓ يوجد كل فرد في عالم دائم التغير من الخبرة، وهو مركز هذا العالم.
- ✓ للشخص نزعة واحدة وهي أن يكافح لتحقيق الكائن الحي الذي يحيا الخبرة ليحافظ على نفسه ويزيد من قيمتها.
- ✓ أفضل موقع لفهم التصرف هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه.
- ✓ يعبر الفرد عن خبراته رمزيا أو يتجاهلها أو يشوهها عندما لا تتفق مع بنية ذاته.
- ✓ تتكون بنية الذات نتيجة للتفاعل مع البيئة وخاصة التفاعل اليومي مع الآخرين.
- ✓ يراجع الفرد نظامه القيمي بشكل دوري في ضوء إدراكه للمزيد من الخبرات ومدى تقبله لها في بنية الذات لديه.
- ✓ نمو الذات يساعد الفرد على مواجهة مواقف الحياة اليومية الصعبة.

يتأسس الإرشاد النفسي عند روجرز على خطوات، يقول: " دعوني أشرح ما أقصده بقولي إن الهدف الذي يستهدفه الفرد، ويعتبره أجدر من غيره، وكذا الغاية التي يسعى إليها عن علم أو لا شعوريا، هي أن يصبح هو نفسه، بمعنى يتطابق مع ذاته. فعندما يقصدني شخص مضطرب بفعل تظافر مجموعة من الصعوبات، أجد بأنه من المفيد جدا أن أحاول بناء علاقة معه، والتي من خلالها يشعر بالأمان والحرية. إن هدي من ذلك هو فهم الطريقة التي يفكر بها داخل عالمه الخاص الداخلي، كما أنني أعمل على تقبله كما هو، وأن أخلق مناخا

¹- وقفي راضي، مقدمة في علم النفس، مرجع سابق، ص. 602.

²- زغلول عبد الرحيم وآخرون، مدخل إلى علم النفس، مرجع سابق، ص. 412-413.

مناسبا للحرية، والذي يستطيع عبه أن يصول بتفكيره وشعوره ووجوده في جميع الاتجاهات"⁽¹⁾. نلخص ذلك فيما يلي:

✓ الاستكشاف والاستطلاع: أي تعرف مصادر قلق المسترشد وتوتره، وتحديد الجوانب السلبية والإيجابية في شخصيته لتوظيفها في تحقيق أهدافه.

✓ توضيح وتحقيق القيم: يساعد المرشد المسترشد في زيادة فهمه وإدراكه لقيمه الحقيقية بهدف تعرف التناقض فيما بينها، والكشف عن أسباب التوتر الناجم عن اختلاف قيمه عن الواقع.

✓ المكافأة وتعزيز الاستجابات: يوضح المرشد مدى التقدم أو التغير الإيجابي ويقويه لدى المسترشد كخطوة أولية للتغلب على مشكلاته الانفعالية.

وكل نظرية، فأطروحة روجرز في بناء الشخصية لها إيجابيات، وتعتبرها سلبيات:

من إيجابيات تصور روجرز ونظريته:

✓ تحترم الإنسان وإرادته وتنظر إليه نظرة إيجابية، وأنه مدفوع بدافع داخلي للمحافظة على نفسه وتطويرها على العكس من النظرة السلبية لفرويد.

✓ تتناسب مع الأسلوب الديمقراطي في الحياة.

✓ علاجها سريع إذا ما قورن بالمدرسة التحليلية كما أنها سهلة وبالإمكان تعلم

✓ طريقتها العلاجية.

✓ تعمل على توفير مناخ نفسي آمن يساعد العميل على البوح بمكنوناته. يقول روجرز: " في حالة علاقة

آمنة وسليمة مع العميل الذي يكون العلاج معقودا عليه، وفي حالة غياب أي تهديد فعلي أو ضمني للذات،

فبمقدوره الإفصاح عن المظاهر المختلفة لتجربته كما يشعر ويحس بها في الواقع، وكما يفهمها عبر أجهزته

الحسية والباطنية وذلك دون تشويهها أو المساس بها، بشكل يجعلها متلائمة مع مفهوم الذات الحالية"⁽²⁾.

✓ تؤكد على ضرورة معرفة توجهات العميل الإنسانية والفكرية والعامية قبل العمل معه على مستوى المشاعر والخبرات.

1-Rogers, C. (1961). on becoming a person: a therapist's view psychotherapy. California, Western behavioral sciences institutes, pp.108- 109.

2-Ibid, p. 76.

أما سلبيات النظرية فنجملها في:

✓ تهمل عملية التشخيص، رغم إجماع معظم طرق الإرشاد على أهميتها.

✓ تراعي الإنسان على حساب العلم والحقيقة، إذ إن الفرد هو مصدر المعلومات الوحيد، والمهم هنا هو كيف يرى العميل المشكلة لا كما هي حقيقة.

✓ تترك العنان للمسترشد، مما قد يدفعه إلى الغوص في دوامات ومتاهات ولا يصل إلى حل محدد.

إبستمولوجيا لا أحد يجادل في كون تصور روجرز المعروف بتحقيق الذات ينتمي إلى ما يسمى بعلم النفس الإنساني كقوة ثالثة تهتم بتنمية القوى والإمكانات الموجودة عند الإنسان بعد التحليل النفسي والسلوكية؛ وكرد فعل ضدهما لأنهما خفضتا من قيمة إنسانية الإنسان؛ فالتحليل النفسي الفرويدي انتقد لاعتقاده بأن السلوك محكوم بدوافع فطرية حيوانية، وتنتقد السلوكية لانشغالها بالبحث في عالم الحيوان وبوجهات نظرها الميكانيكية في الشخصية، في حين تركز نظرية روجرز حول الشخصية على الطرق التي تسهل تحقيق الذات وتوفير الحرية للنمو والتعبير عن القوى الذاتية، نحن إذن أمام تفكير يحاول إعادة الاعتبار للإنسان بعدما تم تجريده من خصائصه مع الفرودية والسلوكية. بجانب ذلك تكمن قيمة تصور روجرز في كونه باشر تحليلا لشخصية الإنسان بطريقة علمية والدليل على ذلك هو اعتماده على العلاج المتمركز حول العميل، ولكنه وسع في نظريته لاحقا ليؤكد جوانب غير إكلينيكية للمريض من حيث إشراكه لوالديه والتربية والعلاقات الشخصية في تشكيل شخصية الفرد، لذا غير اتجاهه نحو مسمى أكثر اتساعا، وهو العلاج المتمركز حول الشخص. ونتيجة لذلك باتت نظريته تعتمد في الطب النفسي لفعاليتها على مستوى الصحة النفسية والحد من أسباب السلوك المضطرب؛ فالفرد يصبح أكثر اكتمالا إذا ما نشأ في جو إيجابي غير مشروط، أي أن يعامل بدفء واحترام وقبول ومحبة بصرف النظر عن مشاعره واتجاهاته ومسالكه الخاصة...

تربويا تفيدينا نظرية روجرز في عدة مسائل نذكر منها:

✓ تحترم الإنسان وإرادته وتنظر إليه نظرة إيجابية، وأنه مدفوع بدافع داخلي للمحافظة على نفسه وتطويرها على العكس من النظرة السلبية لفرويد. بالنسبة للعلاج المعقود على العميل، فهو نظام للعلاج النفسي يقوم على أساس الافتراض القائل بأن الفرد أو العميل هو الأقدر على حل مشكلاته، وأن على المعالج أن يخلق جوا علاجيا يتسم بالدفء والتسامح، بحيث يشعر المريض بالحرية في مناقشة مشكلاته، ويقوم المعالج بدور غير مباشر، ولا يتدخل إلا بالتشجيع والتعليقات البسيطة على ما يرويه العميل، هذه المسألة تسهم في فهم لم تركز التربية الحديثة على محورية المتعلم في بناء معارفه بنفسه على غرار العميل والمسترشد الذي يستطيع تحمل مسؤولية في حل مشكلاته.

✓ تتناسب مع الأسلوب الديمقراطي في الحياة، وبالتالي تتعامل مع خصوصية كل حالة حلى حدة، ومن ثم تفيد في الاهتمام بمسألة الفروق الفردية بين المتعلمين تربويا وكذا الذكاءات المتعددة.

✓ تؤكد على ضرورة معرفة توجهات العميل الإنسانية والفكرية والعامية قبل العمل معه على مستوى المشاعر والخبرات. في هذا المستوى تفيدنا نظرية روجرز في الاهتمام بتمثيلات المتعلمين لا لمحاربتها ولكن للاشتغال عليها من أجل بناء معرفة جديدة من مكتسباته، فالقطيعة لا تمارس مع الفراغ ولكن مع ما يعرفه التلميذ، ومنه تكون المعارف الجديدة على صلة حية بمعيش التلميذ. إن ميول الفرد لتحقيق الذات تعمل بانسجام لإشباع قدراته الفطرية، إذ يتطلب ذلك دعما بشكل إيجابي من المربين واهتماما بالطفل خلال مراحل نموه المختلفة، من خلال تقديم طرق توجيهه من الآخرين (الوالدين، المربين) الذين يستطيعون إشباع هذه الحاجات الملحة.

✓ تتكون بنية الذات عند روجرز نتيجة للتفاعل مع البيئة وخاصة التفاعل اليومي مع الآخرين. وبالتالي يراجع الفرد نظامه القيمي بشكل دوري في ضوء إدراكه للمزيد من الخبرات ومدى تقبله لها في بنية الذات لديه. فينتج عن ذلك أن الفرد يستطيع مواجهة مواقف الحياة اليومية الصعبة. تربويا هذه المسألة تجعلنا نفهم بأن طريق العلم والمعرفة لا يقتصر على ما هو فصلي، وإنما الغرض الأساس هو كيف يدمج المتعلم ما تعلمه في المدرسة في وضعيات عدة لمعالجتها والتكيف معها، إن المدرسة بهذا المعنى مجتمع صغير يتعلم فيه الفرد الانسجام وأيضا التميز والإبداع. يفترض أن تلعب القيم في المدرسة دور المحفز المسرع للتعليمات، لأنها تعطي معنى للمدرسة وللتعليمات ذاتها، ناهيك عن وظيفتها المجتمعية، بحيث تتيح قيم المواطنة وحقوق الإنسان الرفع من قدرات المتعلم العرضانية، وخصوصا منها السوسيو-وجدانية، إعداده ليتقبل التعايش مع الآخرين ويتسامح إزاء الاختلاف وينخرط في العمل الاجتماعي التضامني الهادف.

قائمة المراجع:

1. ربيع محمد شحاتة، 2004، تاريخ علم النفس ومداركه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
2. رحو جنان سعيد، 2005، أساسيات في علم النفس، الدار العربية للعلوم، بيروت.
3. زغلول عبد الرحيم وآخرون، 2012، مدخل إلى علم النفس، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.
4. وقفي راضي، 2014، مقدمة في علم النفس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.
5. Rogers (C.), 1980, A way of being. Houghton Mifflin company, Boston.
6. Rogers (C.), 1961, on becoming a person: a therapist's view psychotherapy. Western behavioral sciences institutes, California.

دور الوقف الإسلامي في تفعيل الرعاية الصحية: (البيمارستانات في المغرب والأندلس)

The role of the Islamic Waqf in achieving health care (Bimaristans in Al-Maghrib and Al-Andalus)

د. خديجة خيري عبد الكريم خيري / جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، السودان

Dr.khadiga khairy abdalkareem khairy/University of the Holy Qura'n and Taseel of science ,Sudan

Abstract:

The Waqf is one of the good deeds that Islam has prescribed and encouraged to donate to, in order to satisfy Allah; following the example of the Prophet and the righteous companions. The Waqf is a feature of the Islamic society and one of its important social cooperative systems; it took various forms and covered different fields, throughout the Islamic history, aiming at serving the needs of the Islamic communities.

The field of health care is one of the important areas in which the Waqf played a prominent role in providing health services to patients on the one hand, and advancing medical science and education on the other. Through the Waqf, health institutions such as Bimaristans (hospitals) were established, and funds have been allocated to these hospitals, in order to meet their needs and to ensure the continuity of their services. These hospitals have not only provided treatment and medicine, but have also developed into educational centers that have demonstrated the scientific and practical superiority of Muslims.

Keywords: Waqf - Health Care - Bimaristans

ملخص

إن الوقف من الأعمال الصالحة التي شرعها الإسلام، ورغب فيها بالإنفاق في أوجه البر والخير ابتغاءً لمرضاة الله، واقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالسلف الصالح، ويعتبر الوقف سمة من سمات المجتمع الإسلامي، وأحد أنظمتها التكافلية الاجتماعية المهمة، تنوعت إسهاماته- في التاريخ الإسلامي- وتعددت أنماطه وأغراضه بما يخدم احتياجات المجتمعات الإسلامية.

ولعل مجال الرعاية الصحية من المجالات المهمة التي كان للوقف دور بارز ومشهود في تقديم الخدمات الصحية للمرضى من جهة، والنهوض بعلم الطب وتعليمه من جهة أخرى. فعن طريق الأوقاف أنشأت المؤسسات الصحية الوقفية كالبيمارستانات (المستشفيات) ووقفت عليها الأموال لتلبية احتياجاتها، ولضمان استمرارية تقديم خدماتها، ولم تقتصر تلك المستشفيات على تقديم العلاج والدواء، بل تطورت لتصبح مراكز تعليمية أظهرت تفوق المسلمين علمياً وعملياً.

الكلمات المفتاحية: الوقف- الرعاية الصحية- البيمارستانات.

مقدمة:

إن الصحة من أعظم النعم- بعد نعمة الإيمان- التي منّ الله بها على عباده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)¹. فالإسلام اهتم بصحة الإنسان وقائياً وعلاجياً، كما حث على العناية بالمرضى، ورعايتهم، وعلاجهم، وعيادتهم، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم حتى يتماثلوا للشفاء، ومن ثم فقد حظي المريض في الإسلام بكثير من الرعاية والعناية والاهتمام، باعتباره من أكثر فئات المجتمع حاجة إلى المساعدة والعون، وخاصة إذا ما كان فقيراً ومحتاجاً.

ولقد لعبت الأوقاف دوراً بارزاً في مجال توفير الرعاية الصحية للمرضى، فالمتتبع لتاريخ الطب في الإسلام، يلاحظ تلازماً بين نمو وتطور الأوقاف وانتشارها واتساع نطاقها من جهة، وبين تقدم وتطور الطب علمياً ومهنياً، حيث يكاد يكون الوقف هو المصدر الأول للإنفاق على المستشفيات والمدارس والمعاهد الطبية، وغيرها من الأمور المتعلقة بالصحة.

ويرجع كثير من المحللين للتاريخ الإسلامي التقدم الذي شهدته البلاد الإسلامية في علم الطب والصيدلة والكيمياء إلى نظام الوقف الإسلامي. وبالرغم من الدور الكبير الذي لعبته الأوقاف في العهد الإسلامي السابق

¹ صحيح البخاري، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا يعيش إلا عيش الآخرة، ج5، ص2357، (حديث رقم:6049).

تراجع دور الوقف في حياة المسلمين في الوقت الحاضر، في حين تطور وازدهر عند غيرهم، وخاصة في دول غرب أوروبا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، والتي اهتمت بمؤسسة الأوقاف (Endowment) وخاصة في النواحي التعليمية- وبالتحديد في التعليم الجامعي-.

واليوم يعتبر كثير من الباحثين نظام الوقف أحد الأسس المهمة لهضبة المجتمعات المسلمة، بأبعادها المختلفة، الاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، والعلمية...ولذلك اتجهت الأنظار إليه في محاولة لإعادة دوره التنموي باعتباره البذرة الصحيحة لبداية نهضة الأمة الإسلامية في شتى نواحي الحياة.

الوقف والرعاية الصحية

الوقف (الحبس) نوع من أنواع الصدقات التي حثَّ الله عز وجل عباده على فعلها، وندب للقيام بها، يتقرب العبد بها إلى الله سبحانه وتعالى، بالإنفاق في أوجه البر والخير المتنوعة، سواء أكان وقفاً على جهة من الجهات العامة كالفقراء، وابن السبيل، وطلبة العلم..... أم كان وقفاً على القرابة والذرية¹.

وللوقف أثر عظيم في رعاية حياة الفرد والمجتمع، وذلك لما تقوم به مؤسساته من تلبية احتياجات مختلف فئات المجتمع المسلم، محققاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)².

والدارس لتاريخ الوقف في الإسلام، يقف على الدور الكبير الذي لعبته الأوقاف في تنمية المجتمعات الإسلامية في جميع جوانب الحياة؛ الصحية، والعلمية، والاجتماعية، والاقتصادية... فمن خلال الوقف ازدهرت جوانب كثيرة من جوانب الحضارة الإسلامية؛ فشيدت البيمارستانات (المستشفيات) في الحواضر الإسلامية، ووفرت العلاج للمرضى، وبنيت المساجد والمدارس والمكتبات والأربطة والحصون، وتم الصرف على متطلبات الجهاد من سلاح وخيول وفك الأسرى، إلى غير ذلك من آثار عظيمة عم الوقف بنفعها بلاد المسلمين.

الرعاية الصحية: المفهوم والمعنى:

الرعاية الصحية مصطلح مركب من لفظين "الرعاية" و "الصحة"، والرعاية في اللغة بمعنى الحفظ والعناية. أما الصحة فخالق السقم، فهي ذهاب المرض³. وقد عرّفت منظمة الصحة العالمية WHO الصحة

¹ محمد عبيد عبد الله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج1، بغداد، 1977م، ص33.

² سنن الترمذي، باب الستر على المسلم، ج4، ص34، (حديث رقم: 1426)

³ لفظ رعاية انظر مادة رعى في: الجوهري، الصحاح، ج6، ص2358. ولفظ صحة انظر مادة صحح في: الجوهري، الصحاح، ج1، ص381.

بأنها "حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرد انعدام المرض أو العجز"¹. فالصحة إذاً "حالة أو ملكة بها تصدر الأفعال عن موضعها سليمة"². وبتركيب المعنيين، يصبح المدلول الاصطلاحي للرعاية الصحية هو: الاهتمام، وحفظ الملكة التي تصدر الأفعال عن موضعها سليمة³.

و تستمد الرعاية الصحية في الإسلام من مختلف التوجيهات والتشريعات التي وردت في القرآن والسنة النبوية المطهرة، التي تسعى إلى المحافظة على الإنسان بشكل يشمل جميع أطوار حياته ونواحي جسمه ونفسه، من أجل تحقيق مرامي الشريعة في جعل الإنسان يقوم بواجب الخلافة⁴.

فالرعاية الصحية بمفهومها العام لا تخرج من السياق العام لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"⁵.

مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة الإسلامية :

إن الخدمات التي قدمها الوقف في المجال الصحي ارتبطت بجملة المقاصد العامة للشريعة الإسلامية؛ الضرورية (الدين، والنفس، و العقل، والمال والنسل) و الحاجية والتحسينية، وذلك بما اشتملت عليه الأوقاف من محتوى يرمي إلى تحقيق جزء مهم من تلك المقاصد.

أولاً: مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة الضرورية:

الضَّرُورِيَّات؛ هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تستقم مصالح الدنيا، وكان الخسران وفوات النعيم في الآخرة، ومجموع الضروريات خمس (حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)⁶. والوقف من عقود التبرعات، التي تعود بالنفع على المصالح العامة والخاصة للأمة، فرغبت الشريعة الإسلامية فيها⁷.

1. الوقف وحفظ الدين: لعب الوقف دوراً مهماً في الحفاظ على الجانب الديني، من خلال إقامة المساجد والمدارس والمكتبات والزوايا والأربطة، فكان لتلك المنشآت الدينية الوقفية أثر واضح في نشر العلم والدين. ولم

¹ www.who.int/suggestions/faq/ar/

² الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت، 1983م، ص132.

³ بن زينة أحميدة، الرعاية الصحية للفرد في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص7.

⁴ المرجع السابق، ص9-10.

⁵ صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج4، ص2052 (حديث رقم: 2664).

⁶ الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة آل سليمان، ج2، 1997م، ص17-20.

⁷ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: حمد الحبيب بن الخوجة، ج3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م، ص506.

تقتصر الأوقاف على تلك المنشآت فحسب، بل كان لها علاقة وثيقة بالجهاد في سبيل الله، فحبست الخيول والأسلحة، كما شملت الأحباس فداء الأسرى¹.

2. **الوقف وحفظ النفس:** ساهم الوقف في توفير الحياة الكريمة للفقراء والمساكين والمحتاجين والمرضى عبر التاريخ، فعمل على تلبية احتياجاتهم الأساسية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وعلاج، فكان هناك الحبس على الأراضي الزراعية، والحبس على الزوايا والدور والتكايا والأربطة، والحبس على صهاريج المياه، والحبس على الرحي (الطواحين)، والحبس على أراضي وتخصيصها لدفن الموتى، والحبس على البيمارستانات...². ولم يكن الوقف مقصوراً على النفس البشرية فقط، بل خصصت بعض الأوقاف لرعاية الحيوانات والطيور³.

3. **الوقف وحفظ العقل:** لقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً كبيراً، وأعلى من قيمته ومنزلته، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بأحكام وافيه تحقق حفظ العقل من أن يدخل عليه خلل، لأن دخول الخلل على العقل مؤدٍ إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف⁴. ولوقف إسهامات ملموسة واضحة في تطور الحركة العلمية التي شهدتها الحضارة الإسلامية في شتى صنوف المعرفة. فكانت هناك أوقاف على مراكز التعليم (المساجد، المدارس، المكتبات....) وأوقاف أخرى على المشتغلين بالتعليم (المدرسين وطلبة العلم)⁵.

4. **الوقف وحفظ النسل:** من المقاصد المهمة في الشريعة حفظ النسل، فحفظه من الركائز الأساسية لعمارة الأرض، وبه تكمن قوة الأمة، لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (**النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَتَزَوَّجُوا، فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصَّيَّامِ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ**)⁶، فالإسلام عني بحفظ النسل وحمائتها، وحث على ما يحصل به تكثيره واستمراره، ولتحقيق ذلك خصصت العديد من الأوقاف، فكانت هناك أوقاف على الذرية، واليتامى وأوقاف على الأراذل والمطلقات، وأوقاف لتزويج الفقيرات⁷. فكفلت الأوقاف لتلك الفئات الرعاية؛ بتلبية احتياجاتها، لتواصل دورها في الحياة.

5. **الوقف وحفظ المال:** المال نعمة وخير، فينبغي أن نحافظ عليه لنلبي به حاجياتنا الأساسية، وقد نهى الإسلام عن إضاعة المال، قال النبي صلى الله عليه و سلم: (**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات**

¹ انظر: انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م، ص 47-53.

² للمجالات التي شملتها الأوقاف في الحضارة الإسلامية انظر: عبد الله بن ناصر السدحان، توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف: الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية، مكة المكرمة، 2006م، ص 23-32. أيضاً: راغب السرجاني، من روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ص 86-156.

³ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، مصر، 1998م، ص 89.

⁴ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج 3، ص 238.

⁵ انظر: انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، ص 67-84.

⁶ سنن ابن ماجه، باب ما جاء في فضل النكاح، ج 1، ص 592 (حديث رقم: 1846).

⁷ أنظر: محمد بن عبد العزيز بنعبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج 1، المملكة المغربية، 1996م، ص 134. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص 98-99.

ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال¹. وفي الوقف ضمان لبقاء المال ودوام الانتفاع به والاستفادة منه مدة طويلة، و تساهم أموال الأوقاف في الإنفاق على العديد من مرافق الحياة - الدينية، والتعليمية، والصحية، والاجتماعية- بل أصبحت الممول الأساسي لبعضها². كما أن معظم المشاريع التي تقوم بدعم أوقاف توقف لصالحها تستمر في أداء رسالتها، بعكس التي تقوم دون وجود وقف مساند، حيث تتعرض للتعطيل بوفاة المتكفل بها، أو انصرافه عن الاهتمام بها³.

ثانياً: مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة الحاجية:

الحاجيات؛ وهي ما كان مُفْتَقَرًا إِلَيْهَا من حيث التوسعة ورفع الضيق⁴، وقد استطاعت مؤسسة الوقف أن تسهم في تنمية العديد من القطاعات التي تخدم فئات المجتمع المختلفة، ومن المؤسسات الوقفية نذكر: المدارس والمكتبات والبيمارستانات والتكايا والزوايا والأسبلة والخانات والفنادق للمسافرين والمنقطعين...⁵. أيضاً أسهم الوقف في تأمين وظائف للعديد من الأفراد، وبالتالي أمن احتياجات العديد من الأسر⁶.

ثالثاً: مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة التحسينية:

عرف الإمام الشاطبي التَّحْسِينَاتُ بقوله: "الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المذنبات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك مكارم الأخلاق"⁷. ومن الأمور التي عمل الوقف على تحسينها؛ العناية بالمساجد وتزيينها، وبناء القناطر و الحدائق الوقفية، وتوفير كلفة الحج للعاجزين، كما شملت الأوقاف برعايتها الحيوانات- قطط، خيول، كلاب- إلى غير ذلك من نماذج وقفية تزخر بها الحضارة الإسلامية⁸.

البيمارستانات (المستشفيات) الوقفية ودورها في توفير الرعاية الطبية.

إن المتتبع لتاريخ الطب والمستشفيات في الإسلام، يلحظ تلازماً شبه تام بين تطور الأوقاف واتساع نطاقها وانتشارها في جميع بلاد المسلمين من جهة وبين تقدم الطب، باعتباره علم ومهنة، والتوسع في مجال الرعاية

¹ صحيح البخاري، باب ما ينهى عن إضاعة المال ، ج2، ص848 (حديث رقم:2277).

² محمود أحمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر، جدة، 1423هـ، ص17.

³ انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، ص88-89.

⁴ الشاطبي، الموافقات، ج2، ، ص21.

⁵ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص94-99.

⁶ انظر: انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، ص90-95.

⁷ الشاطبي، الموافقات، ج2، ، ص22.

⁸ راغب السرجاني، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ص86 وما بعدها. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص94-99.

الصحية للمواطنين من جهة أخرى، حيث يكاد يكون الوقف هو الممول الوحيد والأول في كثير من الأحيان للإنفاق على العديد من المستشفيات، والمدارس، والمعاهد الطبية، هذا إلى جانب ما تقدمه الأوقاف من أموال تصرف على بعض الأمور المتعلقة بالنواحي الصحية، مثل الحمامات، وتوفير المياه، ورعاية العاجزين والمحتاجين¹.

نشأة وتطور البيمارستانات (المستشفيات) في الإسلام:

بِيمَارِسْتَان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) وتعني مريض، و(ستان) وتعني مكان؛ أي دار المرضى - مرادفها اليوم لفظ مستشفى² - واختصر أهل المغرب والأندلس لفظ بيمارستان وصار عندهم مارستان³.

و البيمارستانات إحدى المنشآت العمرانية الوقفية - كالمساجد، والحصون، والزوايا- درج الخلفاء و السلاطين والأمراء وأهل البر على إنشائها والإنفاق عليها، صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية، ولم تقتصر مهمتها على مداواة المرضى فحسب بل كانت معاهد علمية ومدارس لتعلم الطب⁴.

أولاً: أنواع البيمارستانات:

اعتنى المسلمون عناية فائقة بإنشاء البيمارستانات بشقيها الثابت والمتنقل، فالثابت هو ما كان يشيد في المدن والأحياء الإسلامية، فانتشرت تلك البيمارستانات - من بغداد شرقاً إلى الأندلس غرباً - وكثرت ووصل عددها في قرطبة وحدها خمسين بيمارستاناً في القرن العاشر الميلادي⁵.

وترجع فكرة بناء البيمارستانات الثابتة إلى عهد ما قبل الميلاد، وتنسب المصادر العربية القديمة بناء أول مستشفى ثابت في التاريخ إلى أبقراط-أبو الطب عند اليونان-، وذلك عندما خصص جزءاً من بستانه جمع فيه المرضى وقدم لهم الرعاية الصحية، وسماه "أخسندوكين" أي مجمع المرضى⁶. ويعتبر بيمارستان جنديسابور - في بلاد فارس- النموذج الأول الذي بنيت على نمطه أوائل المستشفيات في الدولة الإسلامية قبل أن تطور وترتقي.

¹ أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 119، 1428م، قطر، ص70.

² للفظ بيمارستان انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ص47. الجوهرى، الصحاح، ج3، بيروت، 1987م، ص978. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص79.

³ انظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، القاهرة، 1974م ص50. ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، 1972م، ص217.

⁴ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، 1939، ص3-4.

⁵ زغريدة هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، فاروق دسوقي، الطبعة الثامنة، بيروت، 1993م، ص228-229.

⁶ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص47. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص78.

ويرجع المقرزي بناء أول بيمارستان إسلامي إلى عصر الوليد بن عبد الملك سنة 88هـ¹، وهناك من يرجعه إلى عصر هارون الرشيد-خامس خلفاء بني العباس- وأواخر القرن الثاني الهجري (أوائل الثامن الميلادي) باعتباره أول مستشفى عام به جميع التخصصات المعروفة، أمر بتشيد هارون الرشيد في مدينة بغداد وأوكل الإشراف عليه وتنظيمه إلى طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع².

أما المتنقل من البيمارستانات فهو الذي يحمل من مكان إلى آخر، وذلك بحسب الظروف والأمراض وأماكن انتشار الأوبئة وكذلك ظروف الحرب، ويعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أقام بيمارستاناً حربياً، وذلك في غزوة الخندق، فلما أصيب سعد بن معاذ في أكحله، قال صلى الله عليه وسلم لقومه: "اجعلوه في خيمة رفيده³، حتى أعوده من قريب"⁴.

ولعل تلك الخيمة كانت أول بيمارستان حربي متنقل في الإسلام، ثم توسع فيه الخلفاء والأمراء - فيما بعد- حتى أصبح البيمارستان المتنقل مجهزاً بجميع ما يحتاجه المرضى، من علاج وأطعمه وأشربه وملابس وأطباء وصيادلة، وقد بلغ بعض هذه المستشفيات المتنقلة حداً من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملاً⁵.

ثانياً: عمارة البيمارستانات:

شهد نظام عمارة البيمارستانات - على مر عصور التاريخ الإسلامي- تطوراً ملحوظاً، طبعها بطابع خاص يتمثل في:

1. اختيار الموقع:

إن اختيار الموقع المناسب لبناء البيمارستانات، يعد من الأمور المهمة التي أولاهها المسلمون اهتماماً كبيراً، فراعوا في الموقع توفر الهواء النقي، ولقد ورد أن الرازي⁶ عندما استشاره السلطان عضد الدولة البويهي في الموضوع الذي يجب أن يبني فيه البيمارستان العضدي، أمر -أي الرازي- بوضع قطع من اللحم في أماكن مختلفة من مدينة بغداد، ووقع الاختيار على الموقع الذي لم يتغير فيه اللحم بسرعة⁷. وبنفس هذه الطريقة اختير موضع بناء البيمارستان النوري في حلب⁸.

¹ المقرزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4، بيروت، 1418هـ، ص267.

² أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص79-80. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص178.

³ رفيده الأنصارية أو الأسملية: صحابية جليلة كانت لها خيمة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم تداوي فيها الجرحى. انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، بيروت، 1415هـ، ص136.

⁴ ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية، ج2، مصر، ص239. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص107.

⁵ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، القاهرة، 1998م، ص107-108.

⁶ أبو بكر مُحَمَّد بن زَكْرِيَّا الرَّازِي (250-320هـ/864م-933م): من مشاهير الأطباء المسلمين في العصور الوسطى، له العديد من المؤلفات أهمها كتاب "الهاوي". تاج السر حران، العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرياض، 2004م، ص70-72.

⁷ انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص415.

⁸ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص224.

أيضا راعوا في الموقع المساحة الواسعة، وقربه من الأنهار ومصادر المياه، وذلك حرصاً لإيصال الماء الجاري إلى جميع أنحاء البيمارستان، فالبيمارستان المراكشي الذي بناه يعقوب بن يوسف الموحي تخير لبنائه ساحة فسيحة في أحسن موضع، وأمر أن تغرس فيه الأشجار، وأجرى فيه مياهاً كثيرة، زيادة على أربع برك¹. وهذا ما كان من شأن مارستان غرناطة أيضاً؛ ساحة عريضة، وهواء طيب، ومياه متدفقة، وانسدال الأشجار².

2. التخطيط والتصميم:

لا تسعفنا المصادر الإسلامية بمعلومات وافية عن طبيعة تخطيط وتصميم المارستانات المغربية والأندلسية، فمن خلال ما توفر من معلومات وبخاصة تلك التي تعقد مقارنة بين مارستانات المشرق والمغرب نخلص إلى أن تخطيط وتصميم مارستانات بلاد المغرب والأندلس لم يختلف عن نظيرتها في المشرق الإسلامي، ومن ثم كان المخطط الأساسي يحتوي على:

1. قسم خاص لعلاج الرجال، وآخر لعلاج النساء، حيث احتوى كل قسم على عدد من القاعات للأمراض المختلفة.
2. بيت للأشربة والمعاجين الطبية (صيدلية)، تحضر فيها الأدوية وتحفظ.
3. مطبخ لإعداد الطعام للمرضى.
4. غرف لرئيس الأطباء وبقية الإداريين.
5. قاعة محاضرات يلقي فيها الدرس ويجتمع فيها التلاميذ.
6. مصلى (مسجد).
7. حمامات ومتوضآت.
8. مكان لغسل الموتى.
9. مكتبة.
10. باحات وأفنية وحدائق تحتوي على مختلف الأشجار من المشمومات والمأكولات³.

ثالثاً: إدارة البيمارستانات وأنظمتها العلاجية:

لم نقف على معلومات كافية توضح لنا النظام الإداري السائد في مارستانات المغرب والأندلس وما وقفنا عليه يفيد بارتباط الأشراف الإداري العام للبيمارستان بمدير يعاونه عدد من المساعدين، تحت مراقبة ناظر الأحباس المشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة للمارستان وعلى سلامة المباني واحتياجاته وسير العمل

¹ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، بيروت، 2006م، ص 209.

² ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ص 50-51.

³ حول تخطيط وتصميم المارستانات المغربية والأندلسية انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 209. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ص 50-52. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، ص 93-94.

فيه¹. وإلى جانب الفريق الطبي المكون من الأطباء والصيادلة والمرضى، ضم المارستان موظفين آخرين: كتاب، طباطين، حراس، وغيرهم ممن يهتمون بالمرضى².

وفيما يختص بالنظام العلاجي كفلت البيمارستانات مجانية العلاج للمرضى عامة: الفقير والغني، المقيم والغريب، حيث خصصت لهم قاعات يوزعوا عليها على حسب التخصصات الطبية، وخصص لكل قسم طبيب، وكان رئيس الأطباء يدور على المرضى يتفقد أحوالهم ومعه معاونيه من أطباء وطلاب، فكل ما يكتب للمريض من علاج وغذاء يصرف له دون أي تأخير³. ولم تقتصر البيمارستانات على تقديم العلاج فحسب بل اهتمت بأوضاع المرضى بعد شفائهم وخروجهم من المارستان حيث خصصت مبالغ مالية للمرضى الفقراء وهم في فترة النقاهة⁴.

ولم تقتصر عناية الحكام المسلمين ببناء المارستانات، والإنفاق عليها وتوفير العلاج لفئات المجتمع المختلفة فحسب، بل شملت عنايتهم تنظيم مهنة الطب أيضاً؛ حفاظاً على صحة الإنسان وحمايةً لمهنة الطب من المشعوذين وغير المؤهلين والمدعين له، فكان للأطباء رئيس عرف باسم "المزوار" - في عهد الموحدين- يراقبهم وينظم أعمالهم، ويصرح لهم بمزاولة مهنة الطب، ويتقبل شكاوى العامة، يختاره الخليفة من بين أكثر الأطباء مهارة وتجربة⁵.

البيمارستانات في المغرب والأندلس:

على غرار بلدان المشرق الإسلامي عرفت بلاد المغرب والأندلس البيمارستانات، وأهتم أهلها- حكماً ومحكومين- ببنائها وتطوير أساليب عملها، وخصصوا لها أوقاف لترميمها وإطعام المرضى وتوفير الأدوية لهم وصرف رواتب الأطباء، ولم تقتصر تلك البيمارستانات على تقديم الخدمات العلاجية للمرضى فحسب، بل كانت مدارس ومعاهد للتجارب الطبية والصيدلية، و ملاجئ لعلاج الطيور والحيوانات المصابة، ولم تقتصر العناية في المارستانات على الفقراء دون الأغنياء بل كانت تستقبل حتى الغرباء، ومن تلك المارستانات نذكر:

¹ حول النظام الإداري انظر: البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، المجلة الصحية المغربية، عدد3، أكتوبر2012م، ص50. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، المجلة الصحية المغربية، عدد4، أبريل2013، ص49.

² انظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، ج1، بيروت، 1983م، ص229.

³ البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، ص50.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص209-210.

⁵ البشير بنجلون، بيمارستان مراكش، المجلة الصحية المغربية، عدد6، ديسمبر2013م، ص45.

1. مارستان مراكش:

يعتبر مارستان مراكش من أهم البيمارستانات العامة التي نشأت في المغرب، وأكثرها شهرة، أسسه الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحد (580هـ-595هـ)¹، و أولاه عنايته واهتمامه من حيث البناء والتصميم وتوفير كل مستلزماته من فرش و أثاث ومعدات وأدوية وطعام، وكساء للمرضى- ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً- ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل وعولج فيه².

وبلغ من عناية الخليفة به أنه كان يتفقد نزلاء المارستان ويزورهم كل جمعة بعد صلاته، يسأل عن

حاليهم، وعن مستوى الخدمة الطبية المقدمة لهم، وظل الخليفة يعود مرضى المارستان إلى أن توفاه الله³.

ولعل من أهم مظاهر التنظيم الطبي في المارستان؛ وجود قسم خاص لتحضير الدواء من أشربة وأكحال وأدهان وغيرها تصنع وتحفظ فيه على الدوام، إلى جانب الأدوية التي تجلب إليه، ولتحقيق مجانية العلاج خصصت الدولة أموالاً لتلبية احتياجات هذا القسم؛ مثل مرتبات الصيادلة و متطلبات صنع الدواء⁴.

2. مارستان فاس (سيدي فرج):

يقع المارستان وسط مدينة فاس بين سوق العطارين وسوق الحناء، وهو من المارستانات المهمة التي نشأت في القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي- أسسه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) سنة 685هـ/1286م، وجدده السلطان أبو عنان (749-759هـ/1348-1358م) وأدخل عليه زيادات. وترجع تسمية مارستان فاس بمارستان سيدي فرج إلى؛ طبيب أندلسي من النازحين من بني الأحمر اسمه فرج الخزرجي، تولى سنة 900هـ رئاسة المارستان، وهو صاحب فكرة العلاج النفسي بالموسيقى⁵.

يتكون المارستان من طابقين أرضي و يضم ثماني عشرة غرفة خاصة بعلاج الرجال، وطابق علوي و به اثنتان وعشرون غرفة خاصة بالنساء، هذا إلى جانب الحديقة المخصصة استراحة للمرضى ولإقامة عروض الموسيقى الأندلسية الأسبوعية للترويح عنهم. وقد كفل المارستان العلاج لجميع المرضى، إذ ضم عدداً من

¹ ابن أبي زرع، الأندلس المطرب، ص216-217. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والمرينية، الطبعة الثانية، تونس، 1966، ص15-17.

² عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص209-210.

³ عبد الواحد المراكشي، المرجع السابق، ص210.

⁴ البشير بنجلون، بيمارستان مراكش، المجلة الصحية المغربية، عدد 6، ديسمبر 2013م، ص45.

⁵ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص285-287. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص49-50.

التخصصات الطبية – كالطب الباطني، جراحة العظام، طب العيون، الطب النفسي، واقتصر - فيما بعد- على علاج الأمراض النفسية والعقلية¹.

ولضمان استمرارية وجودة خدمات المارستان الطبية، خصصت الدولة أموالاً تصرف عليه من خزينتها مباشرة، هذا إلى جانب الأوقاف التي حبست عليه من قبل سلاطين بني مرين ومن هبات وتبرعات المحسنين، فمن أوقاف المارستان تم الصرف على الفقراء الذين يغادرون المارستان إلى أن تتحسن أوضاعهم المادية، وعلى أصحاب الإعاقات والأمراض المزمنة، وعلى الذين يعزفون الموسيقى، وعلى الغرباء الذين يموتون، فيتم تغسيلهم وتكفينهم ودفنهم.

وإلى جانب علاج الإنسان كان المارستان بمثابة عيادة طبية للطيور وبخاصة طائر اللقلق، فخصصت أوقاف لعلاجها تصرف على من يقوم بمداواتها وإطعامها وتقديم الرعاية لها².
و استمر المارستان في أداء مهامه كمارستان عام ضم جميع التخصصات حتى القرن السادس عشر الميلادي، ثم اقتصر على علاج الأمراض النفسية إلى حدود منتصف القرن العشرين، ومن ثم حول إلى مكان لبيع الملابس والأدوات المنزلية (قيسارية) وهو وضعه الحالي³.



مارستان سيدي فرج بعد أن حول إلى قيسارية⁴

¹ انظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ص228. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص50.
² شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص49-50. البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، ص49.
³ شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص50.

⁴ <https://www.hespress.com/regions/414169.html>

3. مارستان سلا (سيدي عاشور):

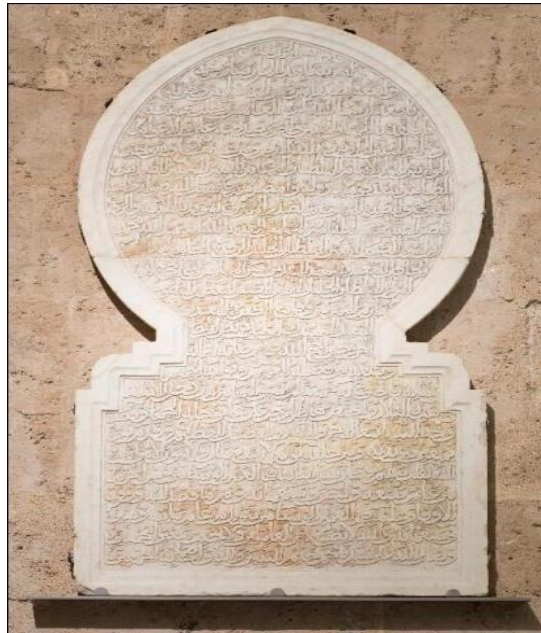
أسسه الطبيب أحمد بن محمد بن عاشور الأنصاري، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، في مدينة سلا¹.

4. مارستان محمد الغازي:

في مدينة الرباط أسسه السلطان عبد العزيز المريني، وهو من الممارسات الخاصة بعلاج المجانين².

5. مارستان غرناطة:

أسسه السلطان محمد الخامس الغني بالله سنة 767هـ-768هـ، لضعفاء مرضى المسلمين، ووقف الأوقاف عليه، وقد خلد ذكرى بناء هذا المارستان في لوح رخامي كتبت عليه كتابة بالخط العادي الأندلسي، واحتوى اللوح الرخامي على معلومات توضح تواريخ ومدة البناء، كما حدد النص المنتفعين منه، هذا إلى جانب عبارات كثيرة تجزل الثناء للسلطان، وتؤكد على أسبقيته لبناء مارستان لم تشهد الأندلس مثله منذ فتحها³.



اللوح الرخامي: ذكرى إنشاء مارستان غرناطة⁴

¹ البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، ص 49.

² نفسه.

³ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص 290-292.

⁴ <http://lastresgranadas.blogspot.com/2011/12/el-maristan-de-granada.html>

وفي مؤلف ابن الخطيب "الإحاطة" وصف عام لهذا المارستان، والذي يسمه بالمارستان الأعظم، لما يحتويه من مساحة واسعة ومساكن عديدة وجريان للمياه، وانسدال للأشجار¹، وقد ضم مركز المارستان باحة داخلية بها حوض عميق تصب فيه عينان كل عين تمثل أسد جاث، وبعد سقوط غرناطة سنة 1492م، في يد النصارى الأسباب حول المارستان إلى دار ضرب السكة، ثم حدثت فيه تغيرات عديدة، وتهدم معظمه².

دور البيمارستانات الوقفية والمعاهد الطبية في تطور علم الطب:

تعد البيمارستانات الوقفية- في المشرق والمغرب- والمدارس الطبية، و عناية الحكام المسلمين بالأطباء - ودعمهم للنشاط العلمي في كافة المجالات وبخاصة المجال الطبي- من العوامل المهمة التي أسهمت في تطور وانتعاش علم الطب، ومن ثم نبوغ أطباء برعوا في التطبيب والتصنيف.

فعلى مر عصور التاريخ الإسلامي لعبت البيمارستانات دوراً مهماً في تدريس الطب والاهتمام به – هذا إلى جانب دورها في معالجة المرضى- وذلك أن خصص في البيمارستان قسماً لتدريس الطب، تلقى فيه الدروس النظرية والعملية للطلاب، و أوكلت مهمة الأشراف العام على العملية التعليمية-النظرية والتطبيقية- إلى رئيس الأطباء، يعاونه رؤساء الأقسام المتخصصة. وألحق بالمارستان مكتبة طبية لتوفير الكتب الطبية³.

وإلى جانب المدارس الملحقة بالبيمارستانات، كانت هناك مدارس طبية متخصصة أنشأها المسلمون، ولعل من أشهرها المدرسة الدخوارية في دمشق، أسسها الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بدخوار، سنة 628هـ/1230م، وأوقف عليها الضياع وعدة أماكن، للإئفاق على مصالحتها⁴. ومن المدارس التي أسسها الحكام المسلمون وضمت أقساماً عدة من بينها الطب المدرسة المستنصرية في بغداد؛ أسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة 633هـ/1235م⁵، والمدرسة العنانية في فاس، والتي أسسها السلطان المريني أبو عنان⁶.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص50-51.

² أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص299. مثنى فليفل سلمان، همسة صالح عبد القادر، الخدمات العامة في مملكة غرناطة، مجلة الأستاذ، العدد 213، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2015م، ص172.

³ أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص136-137.

⁴ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص733. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص40-41.

⁵ مؤمن أنيس عبد الله البابا، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2009، ص160-161.

⁶ السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج3، الدار البيضاء، 1954م، ص206.

لم تقتصر عناية الحكام المسلمين بإنشاء البيمارستانات والمدارس الطبية فحسب، بل اهتموا بالطب وأهله؛ فاستقطبوا الأطباء إلى بلاطهم، واعتنوا بتصانيفهم، حتى بعد مماتهم فهذا ما كان من شأن مصنفات أبي العلاء (ت: 525هـ/1131م)¹، أمر بجمعها أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين المرابطي (477-537 هـ/1084-1143 م)- من سائر مدن المغرب والأندلس- وتم نسخها سنة 526هـ².

و من عناية الحكام المسلمين بعلم الطب أيضاً: اهتمامهم بترجمة كتب اليونان الطبية، وبذلوا من أجل ترجمتها أموالاً جلية، هذا إلى جانب حرصهم على جمع مختلف المصنفات الطبية في مكتبات وقفية كفلت الاطلاع للجميع. ولعل من أهم إسهاماتهم في تطور مهنة الطب، تنظيمهم لها وتطهيرها من الكهنة والدجالين والمشعوذين وأدعياء الطب³.

خاتمة:

اهتم الإسلام بصحة الإنسان، وذكر بأهميتها وعظيم شأنها، قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّما حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"⁴. وقد تنوعت مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان، والمحافظة عليها، جسدياً، وعقلياً، ونفسياً، كما تعددت التشريعات الإسلامية التي من شأنها أن تعين المسلم ليحظى بالصحة الجسدية والنفسية ومن ثم يقوى على عبادة الله ليكون قادراً لعمارة الأرض.

ولعل الوقف من التشريعات الإسلامية المهمة التي تهدف إلى تلبية ضروريات الحياة بما يصلح الدنيا والدين، وبما يوفر الحياة الكريمة ومتطلباتها وضرورتها، وعلى مر عصور التاريخ الإسلامي كان لمؤسسة الوقف دور إيجابي بارز في تنمية مجالات الحياة المختلفة وخاصة المجال الصحي. ومن ثم فقد حاولنا في هذا البحث التعريف بالوقف ومفهومه في الإسلام، ودوره في تحقيق الرعاية الصحية، وخلصنا إلى:

* إن الوقف تشريع إسلامي أصيل، استمد مشروعيته من الكتاب والسنة والإجماع، وهو سمة من سمات المجتمع الإسلامي، وأحد أنظمتها التكافلية الاجتماعية المهمة.

¹ زهر بن أبي مَرْوَانَ عبد الملك: فيلسوف وطبيب أندلسي من بني أياد، تلمذ على يديه عدد غير قليل من الأطباء، له العديد من المصنفات الطبية: (الطرر) في الطب، و (الخواص) و (الأدوية المفردة)... الخ. انظر: الزركلي، الأعلام، الطبعة الخامسة، ج3، بيروت، 1980م، ص50.

² ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519.

³ أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص 140.

⁴ سنن ابن ماجه، باب القناعة، ج2، ص 1387، (حديث رقم: 4141)

* كفلت الشريعة الإسلامية الرعاية الصحية للإنسان، من خلال مقاصدها الضرورية (الدين، والنفس، العقل، المال والنسل) و الحاجة والتحسينية، وهذه المقاصد الثلاثة كان للوقف دور بارز وإيجابي فيها. إن الرعاية الصحية من الضروريات اللازمة لحفظ النفس البشرية، ومن ثم فقد حقق الوقف بمؤسساته الخدمية المختلفة - التي وفرت المأكل والمشرب والمسكن والتعليم والعلاج- مقصداً مهماً من مقاصد الشريعة الإسلامية .

* كان الوقف هو الداعم الأساسي لصحة الإنسان؛ وقائياً بتلبية احتياجاته وهو صحيح، وعلاجياً بتوفير العلاج والدواء وهو مريض.

* إن البيمارستانات منشآت عمرانية - كالمساجد والتكايا والمدارس والحصون- شيدها المسلمون وعملوا على تطويرها وبذلوا الكثير من الأوقاف عليها، وكان من ثمارها أن تطور علم الطب عند المسلمين.

* أسهم الوقف في رعاية المرضى اجتماعياً، وذلك بتوفير مخصصات مالية أثناء مرضهم لتعين أسرهم وبعد شفائهم حتى لا يضطروا للعمل وهم في فترة النقاهة.

* لم تقتصر رعاية المرضى على ما يحتاجونه من العلاج البدني فحسب، بل تعدى ذلك إلى العلاج النفسي، فخصصت أوقاف للترويج عنهم ولرفع معنوياتهم، لما لذلك من أثر طيب من شأنه أن يساهم في شفائهم ومعافاتهم.

* أسهمت البيمارستانات الوقفية في النهوض بعلم الطب وتطوره، فهي لم تكن أماكن للعلاج فقط، بل ألحقت بها قاعات للتدريس وإلقاء المحاضرات على الطلبة، كما أتاحت للطلبة فرصة التدريب العملي.

* استمر عطاء الوقف المخصص للبيمارستانات والمرضى في ظل الحضارة الإسلامية لسنين عديدة، وفر العلاج للمرضى، ولبى احتياجاتهم، ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى تفعيل دور الوقف الصحي في مجتمعاتنا المعاصرة، وخاصة أن كثيرا من المرضى المعوزين أصبحوا لا يملكون ثمن العلاج و الدواء، في الوقت الذي لا يملكون فيه قوت يومهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 119، 1428م، قطر.
2. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، 1939م.
3. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، (د.ت).

4. عبد الله بن ناصر السدحان، توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف: الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية/ مكة المكرمة 2006م/1427م.
5. انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط3، بيروت، 1987م.
7. البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، المجلة الصحية المغربية، عدد3، أكتوبر 2012.
8. ، بيمارستان مراكش، المجلة الصحية المغربية، عدد6، ديسمبر 2013م.
9. بن زينة أحميدة، الرعاية الصحية للفرد في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006-2007م.
10. تاج السر حران، العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرياض، 2004م.
11. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
12. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، بيروت، 1983م.
13. حسن الوراكي، الأحباس العلمية عند المغاربة والأندلسيين. مؤتمر: أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، جامعة الشارقة / 9 - 10 مايو 2011م.
14. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، القاهرة، 1974م.
15. الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، بيروت، 1983م.
16. الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة، ج3، بيروت، 1980م.
17. زغريدة هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، فاروق دسوقي، الطبعة الثامنة، بيروت، 1993م.
18. الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبدة آل سليمان، ج2، 1997م.
19. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972م.
20. ، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، (د.ت.م.ن).
21. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والمرينية، الطبعة الثانية، تونس، 1966.
22. السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، الدار البيضاء، 1954م.
23. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج بفاس، المجلة الصحية المغربية، عدد4، أبريل 2013م.

24. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: حمد الحبيب بن الخوجة، ج3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م.
25. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، بيروت، 1415هـ.
26. عبد القادر ربوح، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006م.
27. مثنى فليفل سلمان، همسة صالح عبد القادر، الخدمات العامة في مملكة غرناطة، مجلة الأستاذ، العدد 213، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2015م.
28. المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4، بيروت، 1418هـ.
29. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد، سنن ابن ماجة، (د.ت).
30. محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج1، المملكة المغربية، 1996م.
31. محمد صالح سلطان، الوقف الصحي: رؤية مقاصدية تطبيقية، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 2017م.
32. محمود أحمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر، جدة، 1423هـ.
33. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، (ت:216هـ)، صحيح مسلم، بيروت، (د.ت).
34. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، القاهرة، 1998م.
35. ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية، ج2، مصر، 1955م.
36. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، بيروت، 2006م.
37. مؤمن أنيس عبد الله البابا، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2009م.

Analysis of University Students' Errors in English Language Prepositions (A Case Study of 1stYear English Language Students, the Faculty of Languages & Linguistics)

تحليل أخطاء طلاب الجامعة في استخدام حروف الجر باللغة الإنجليزية

دراسة حالة طلاب السنة الأولى لغة إنجليزية، كلية اللغات والعلوم اللغوية

Mr. Sharif Yousif KhatirAso/, Sudan University of Science and Technology

Dr. Abdallah Adam Osman Algazoly/University of Zalingei, Sudan

أ. شريف يوسف خاطرأسو/جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان

د. عبدالله آدم عثمان الجزولي/جامعة زالنجي، السودان

ملخص :

أجريت هذه الدراسة بهدف التعرف على مشكلات وتحليل الأخطاء في حروف الجر باللغة الإنجليزية التي تواجه طلاب اللغة الانجليزية السنة الأولى بكلية اللغات والعلوم اللغوية، جامعة زالنجي. استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي. يتكون مجتمع الدراسة من طلاب اللغة الانجليزية وأساتذة اللغة الانجليزية من بعض الجامعات السودانية. الأدوات المستخدمة لجمع البيانات هي؛ الاستبانة والاختبار التشخيصي. تم استخدام الحزم الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لتحليل البيانات. فشل أكثر من 80٪ من الطلاب في الاختبار التشخيصي لوضع حروف الجر في مواضعها الصحيحة. هذا ما يتطلب ضرورة إعطاء الطلاب أنشطة كافية على حروف الجر التي تركز بشدة على النصوص المكتوبة. يجب إعطاء الطلاب الأنشطة الكافية على حروف الجر وخاصة النصوص المكتوبة في السياق.

Abstract :

This study was carried out to identify and investigate the problems of error analysis in English language prepositions encountered by 1st year students at the Faculty of Languages and Linguistics, University of Zalingei. The researchers used a descriptive analytical method. The population of the study consists of students and teachers of some Sudanese Universities. The instruments were used for data collecting are; a questionnaire and diagnostic test. SPSS was used to analyze the data. More than 80% of the students failed in diagnostic test to put the prepositions in their correct positions. This justifies that students need to be given adequate activities on prepositions that focus heavily on written texts. Students should be given adequate activities on prepositions particularly, written texts in context.

Key words: error analysis, prepositions, problems, diagnostic tests

Introduction

One of the grammatical items that are difficult to be mastered is preposition. Prepositions are very important, especially in writing. Students may frequently be confused in the use of preposition in their writing because of the complexity of the use of prepositions. Many students keep making grammar errors, in as they use preposition. Those preposition errors can be found while they are composing a story, letter, their thoughts in their blogs or any other social networking website, and chatting with others through social networking website. There fore, the researcher would like to see whether there are errors in the students' recount text, especially their preposition. Most of the studies on error analysis focus on errors in prepositions and structure. Sanal (2007:597), stated that error analysis is a study to identify, describe and systematically explain the learners' error by using any of the principles and techniques provided by linguistics.

It can be said that error analysis as a process is based on analysis of the students' errors. Whereas, Brown as cited in Sanal (2007:598) asserts that error analysis is the activity to observe, analyze and classify the students' errors for conveying something of the system operating. The difference between first language (L1) and second language (L2) prepositions are assumed to be the major cause of second language learners' errors. Such errors are considered to be important tool for both teachers and L2 learners. The purpose of this study is to examine the acquisition of English grammar specifically the prepositions as they are considered to be problematic for the students of (L2) learning English as a foreign language.

1. Review of Related Literature

Students who learn English language are really urged to know about preposition. To know clearly about what is preposition, the researcher shows several concepts of definition of preposition based on several experts. According to Klammer and Schulz (1992), "preposition is reliable signals that a noun is coming. Sanford (1979) found, "a preposition connects the noun or pronoun that usually follows it to other words in a sentence" (p.54). Then, according to Essberger (2009), preposition is a word that comes before another word, such as a noun, noun phrase, pronoun, and gerund. Based on the expert's explanation above, preposition is a word that is used before noun or pronoun. Most of the studies on error analysis focus on errors in prepositions and structure. The difference between first language (L1) and second language (L2) prepositions are assumed to be the major cause of second language learners' errors.

Corder (1981: 260) has argued that errors are considered to be the features of the learner's utterances which are in one way or another different from those of the native speakers. He further states that the learners of a target language are not aware of their errors and thus are unable to correct these errors themselves.

Richard system (1985: 96 cited in Tomlinson, 2011) has contended that Error Analysis includes the study and analysis of the errors made by the learners of a second or a foreign

language In the EFL (English as a foreign language) context, knowledge of grammar, particularly prepositions, is considered to be the most crucial and difficult part for non-native learners to master properly. Analyzing the Errors made by the learners is the best way to show the true proficiency level of target language they are learning and acquiring at a particular point of time. It also helps the second language researchers to recognize the students' learning problems as well as the factors triggering it. The teachers, on the other hand, can provide their students with appropriate feedback and can use this information to prepare appropriate teaching materials and to design more effective lesson plans. As for the students/language learners themselves, the analysis is inevitable to language learning improvement.

(Corder, 1967, cited in Ellis, 1994). Norris and Ortega (2003: 717) have argued that error analysis is "used to elicit, observe and record the language (and language related behavior of second language learners) and to enable the resulting evidence in light of explanatory theories www.ccsenet.org/elt English Language Teaching Vol. 6, No. 2; 2013 of the language acquisition process". Most of the studies on error analysis focus on errors of prepositions and structure. The difference between first language (L1) and second language (L2) prepositions are assumed to be the major cause of second language learners' errors. Norrish, 1983; Ellis, 1985; Richards and Platt, 1997 cite in the Ravipimltiravivong's Research, 2002 tried to classify sources of errors. Among these different sources and overgeneralization, first language (L1) interference, incompleteness (i.e. incomplete application and/or ignorance of prepositions rules and rules restrictions). Such errors are considered to be important tool for both teachers and L2 learners. They can benefit from them to know what kind of errors occur and how these errors occur in order to understand the second language (L2) learners' learning problems.

2. Methodology

The descriptive analytical method was used to conduct this study in addition to the quantitative method. The instruments which were used in the study are; a questionnaire and

written diagnostic test to collect relevant data for this study. The SPSS program was used to analyze the data which were gathered from teachers and students.

3.1 Population

The population of this study included teachers in some Sudanese Universities and first year students of English Language from the Faculty of Languages and Linguistics at the University of Zalingei. The researchers selected (50) teachers and (50) students as a sample of the study, both male and female subjects are non-native speakers of English language; their native language sare either Arabic or other indigenous languages such as Fur, Zaqawa, Masaleet, Burgo, Midoub and so on. The participants are chosen due to the fact that, they are in a suitable environment; because, they have intensive courses in English Language which allow them to practice the English language daily at their Universities.

3.2 Instruments

The researchers designed two tools as instruments: a questionnaire was designed from (15)items and distributed to the some Sudanese University teachers and a diagnostic test which is consisted of (25) items were distributed to the first year English Language students at the Faculty of Languages and Linguistics, University of Zalingei.

3.3 Data Collection and Analysis

This part is devoted to the analysis, evaluation, and interpretation of the data collection and it is divided into two parts; the first one is the questionnaire which was constructed according to the five point-Likert Scale. It was given to the 50 respondents who represent the teachers' community in some Sudanese Universities, this step consists transformation of the qualitative (nominal) variables (strongly disagree, disagree, neutral, agree, and strongly agree) to quantitative variables (1, 2, 3, 4, 5) respectively, and the second one is a diagnostic test which was given to the 50 students of English language in the first year at the Faculty of Languages and

Linguistics, University of Zaylengi. The responses to the questionnaire and diagnostic test were tabulated and computed for later analysis.

3.4 Analysis of the Teachers' Questionnaire

The teachers' data is analyzed and results are tabulated as under.

Table 1: shows Chi-Square Test Results for Respondents' Answers of the Questions

No	Statement	mean	SD	Chi square	p-value
1	Students' errors in using prepositions are due to affect of L1 when transferring his/her knowledge of first language.	3.7	1.9	17	0.00
2	Students' errors in using prepositions is related to limited number of English classes dedicated for learning English as a whole.	3.8	2.6	18	0.00
3	Students' errors in using preposition is due to lack of practicing English	3.2	2.4	13	
4	Inappropriate use of prepositions by students can create misunderstanding.	3	0.8	25	0.03
5	Students' errors in using prepositions are relevant to insufficient practice in the classroom.	3.9	1.6	21	0.00
6	Students' errors in using English prepositions appropriately are due to the influence of the mother tongue.	3.8	1.4	11	0.00
7	Students' errors in using prepositions are related to direct translation of prepositions into L1.	3.1	2.6	15	0.00
8	Students should be exposed to realia (e.g. film audiovisual etc) focusing on prepositions.	3.9	0.8	20	0.001

9	The use of mother language should be minimized when learning prepositions.	3.5	0.7	21	0.008
10	Overgeneralization can negatively affect students' recognition of using English prepositions.	3.5	2.7	21	
11	Teachers should adopt the best techniques for teaching English preposition in the classroom.	3.9	3.5	24	0.00
12	Teachers should involve students in class activities for using prepositions.	3.8	2.7	33	0.00
13	English should be the only language used in the class to enhance students' use of prepositions.	3.03	4.6	41	0.00
14	Teachers of English should be exposed to real life of the native speakers when using English prepositions.	3.8	1.4	22	0.00
15	Student should be taught in context to overcome prepositions errors.	3.2	2.4	21	0.00

The calculated value of chi-square for the significance of the differences for the respondents' answers in question No (1) was (17) which is greater than the tabulated value of chi-square at the degree of freedom (4) and the significant value level (5%) which was (8.57). This indicates that, there are statistically significant differences at the level (5%) among the answers of the respondents, which support the respondent who agreed with the statement "Students' errors in using prepositions are due to affect of L1 when transferring his/her knowledge of L1.

The calculated value of chi-square for the significance of the differences for the respondents' answers in question No (2) was (18) which is greater than the tabulated value of chi-square at the degree of freedom (4) and the significant value level (5%) which was (8.57). This indicates that, there are statistically significant differences at the level (5%) among the answers of the

respondents, which support the respondent who agreed with the statement "Students' errors in using prepositions is related to limited number of English classes dedicated for learning English as a whole.

The calculated value of chi-square for the significance of the differences for the respondents' answers in question (3) was (13) which is greater than the tabulated value of chi-square at the degree of freedom (4) and the significant value level (5%) which was (8.57). this indicates that, there are statistically significant differences at the level (5%) among the answers of the respondents, which support the respondent who agreed with the statement " Students' errors in using preposition is due to lack of practicing English.

The calculated value of chi-square for the significance of the differences for the respondents' answers in question No (4) was (25) which is greater than the tabulated value of chi-square at the degree of freedom (4) and the significant value level (5%) which was (8.57). this indicates that, there are statistically significant differences at the level (5%) among the answers of the respondents, which support the respondent who agreed with the statement "Inappropriate use of prepositions by students can create misunderstanding.

The calculated value of chi-square for the significance of the differences for the respondents' answers in question No (5) was (21) which is greater than the tabulated value of chi-square at the degree of freedom (4) and the significant value level (5%) which was (8.57). this indicates that, there are statistically significant differences at the level (5%) among the answers of the respondents, which support the respondent who agreed with the statement (Students' errors in using prepositions are relevant to insufficient practice inside the classroom. According to the previous results; it can be concluded that the other results of the study indicate that, there are statistically significant differences at the level (5%) among the answers of the respondents.

3.5 The Responses to the Students' Diagnostic Test

The responses to the diagnostic test of the 50 students were tabulated and computed. The following tables indicate that, an analytical interpretation and discussion of the findings regarding different points related to the objectives and hypotheses of the study.

163

Table 2: Shows the Frequency Distribution and Decisions for the Respondent's Answers of All Questions

	Pass		Failure	
	<i>frequency</i>	<i>Percentage</i>	<i>frequency</i>	<i>Percentage</i>
Part 1	13	26%	35	70%
Part 2	11	22%	39	78%
Part 3	17	34%	33	66%
Part 4	15	30%	35	70%
Part 5	10	20%	40	80%
The mean of Overall	13	26%	35	70%

The above table illustrates the percentage and frequency of the answers of the all study sample that concern with the questions and shows that most of the sample answers were failure which are represented by the percentage (80%). This justifies that students need to be given adequate activities on prepositions that focus heavily on written and oral texts.

Table 3: Shows the T-TEST for the Students' Diagnostic Test

Question s	N	SD	t-value	DF	p-value
1	50	7.5	19	49	0.001
2	50	9.55	15	49	0.00
3	50	0.2	11	49	
4	50	2.6	12	49	
5	50	2.9	16	49	
For all	49	8.6	14	49	0.00

The calculated values of T – TEST for the significance of the differences for the respondent's answers in overall test which is greater than the tabulated value of T – TEST at the degree of freedom (49) and the significant value level (0.05%) which was (6.54). This indicates that, there are no statistically significant differences at the level (0.05 %) among the answers of the respondents.

3. The Findings

Research findings are presented based on the teachers' questionnaire and students' diagnostic test.

4.1 From Teachers' Questionnaire

1- More than 90% of the teachers strongly agreed and agreed that overgeneralization can negatively affect students' recognition of using English prepositions. This emphasizes that teachers should create drills for students to increase the use of English prepositions.

2- More than 60% of the teachers agreed that students should be exposed to realia (e.g. film audiovisual etc) focusing on prepositions. This illustrates that teachers should give students chance to practice English prepositions by using different means of learning.

3- More than 58% of the teachers' answers are strongly agreed that students' errors in using prepositions are due to effect of L1 when transferring his/her knowledge of Arabic language. This demonstrates that students should be well-trained in using English prepositions.

4- More than 54% of the teachers' answers are strongly agreed that students' errors in using preposition are due to lack of practicing English. Because, inappropriate of using prepositions by students can create misunderstanding. It's noticed that those participants' responses to strongly agree, and this is strengthening the view which is saying; students should be motivated to use prepositions appropriately.

4.2 From Students' Diagnostic Test

1- More than 80% of students failed in diagnostic test to put the prepositions in their correct positions. This justifies that students need to be given adequate activities on prepositions that focus heavily on written texts.

2- More than 70% of students failed to pass the test and this is very clear from the analysis of students' diagnostic test, it's shown the summary of the results in all test answers that the number of students who failed to pass the test is greater than the number of students who passed it.

3- The calculated values of T –TEST for the significance of the differences for the respondent's answers in overall test which is greater than the tabulated value of T TEST at the degree of freedom (49) and the significant value level (0.05%) which was (6.54). This indicates that, there are no statistically significant differences at the level (0.05 %) among the answers of the respondents.

4. Recommendations

1. Teachers of English language should expose their students to real life of native speakers using English language spontaneously and naturally via videos, tapes, films and... Etc when teaching English prepositions.

2. Students should be directed by their teachers to avoid mother tongue interference when using prepositions.

Références

1. Brown, H. Douglas. 1992. Principle of Language Learning and Teaching. New Jersey: Prentice-Hal Inc.
2. Corder, S.P. (1981) Error Analysis and Interlanguage. Oxford: Oxford University Press.1981. p .11.
3. Corder , S . P . , (1967) the significance of learner ' error . 5 . NO – 4 – (1967)
4. Ellis, R. (1994). The study of second language acquisition. Oxford: Oxford University Press.
5. Ellis, R. (1995). Understanding Second Language Acquisition. Oxford: Oxford University Press.
6. Ellis, R. (1997). SLA and language pedagogy: An educational perspective Studies in Second Language Acquisition, 19, 69-92.
7. James, C. (1989). Contrastive analysis. London: Longman.
8. J., & Long, M. C. (Eds), The Handbook of Second Language Acquisition. Malden, MA: Blackwell Publishing.
9. Norris, J., & Ortega, L. (2003). Defining and measuring SLA. In Doughty, C.



جميع الحقوق محفوظة
© مركز جيل البحث العلمي